دين الله

في كتب أنبيائه

(تأليف)

﴿ البحاثة الدكتور محمد توفيق صدقي افندي ﴾

« فتشوا الكتب لانكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية »
انجيل يوحنا ٥ : ٣٩

« لايصغون الى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق »
تي ١ : ١٤ .

« امتحنوا كل شيء . تمسكوا بالحسن »   اتس ٥ : ٢١

***

« والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى، فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب * أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار؟ »   سورة الزمر ٣٩ : ١٧ـ ١٩ — القرآن العظيم

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »
سورة النحل ١٦ : ١٢٥ — القرآن العظيم

(الطبعة الاولى)

بمطبعة مجلة المنار بمصر القديمة سنة ١٣٣٠ هـ ق — ١٢٩١ هـ ش — ١٩١٢ م

كتاب دين الله

« فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية »
انجيل يوحنا ٥ : ٣٩

« لا يصغون الى خرافات يهودية ووصايا اناس مرتدين عن الحق »
تي ١:١٤

« امتحنوا كل شيء . تمسكوا بالحسن » ١ تس ٥ : ٢١ .

***

« والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى ، فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب * أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ؟ » سورة الزمر ٣٩ : ١٧ – ١٩ — القرآن العظيم

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »
سورة النحل ١٦ : ١٢٥ — القرآن العظيم

تنبيه

نلفت نظر القارئ إلى الفكاهة المضحكة المذكورة في آخر هذا الكتاب على غلافه فليقرأها بعد الفراغ من تلاوته

﴿ العقائد الوثنية . في الديانة النصرانية ﴾

من أراد من المسلمين ان يلجم دعاة النصرانية الذين يطعنون في دينه ويدعونه الى دينهم ترجيحا له عليه ـ بل من أراد ان يبكتهم ويكبتهم ويبهتهم فليطالع هذا الكتاب الذي بين فيه مؤلفه الواسع الاطلاع (محمد طاهر افندي التنير البيروتي) أن جميع عقائدهم وأصول دينهم مأخوذة عن وثنيي الهند والصين والفرس وقدماء المصريين واليونانيين والرومانيين كالتثليث والصليب وفداء البشر وغير ذلك . وهذا الكتاب يباع في مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر القاهرة وثمنه خمسة قروش خلا اجرة البريد

﴿ شبهات النصارى وحجج الاسلام ﴾

كتاب لصاحب المنار قد اشتهر في الاقطار وهو في الرد على دعاة النصرانية الذين ينشرون الكتب والصحف في الطعن في الاسلام والدعوة الى دينهم وقد صدر منه الجزء الاول وثمنه اربعة قروش فقط خلا اجرة البريد

﴿ كتاب انتقاد تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

يصدر في هذه الاثناء كتاب انتقاد تاريخ التمدن الاسلامي للشيخ شبلي النعماني مذيلا بنقد تاريخ آداب اللغة العربية وطبقات الامم وثمنه خمسة قروش خلا اجرة البريد

﴿ فهرس كتاب دين الله ﴾

صفحة

أقدم هذا الكتاب

اولا ــ الى متبعي الاوهام، ومعظمي الصلبان، وعبدة (ابن الانسان) في عصر النور والعلم والعرفان،

وثانيا ــ الى المتأخرين الجامدين، الجاهلين من المسلمين، الذين جعلوا القرآن عضين، فوربي ليسألن أجمعون، عما كانوا يعملون، «يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم،»

المؤلف

محمد توفيق صدقي

(تنبيه) التصحيح الرائم المذكور في صفحة ٢٢٩ سطري ٧ و٨ جرى به القلم سهوا فنرجو القراء أن يضربوا عنه صفحا فان العبارة في الاصل لم تكن خطأ بل هي صحيحة

وفي صفحة ٤٩ سطر ١٢ لتصحح العبارة هكذا : ــ سمي بالابن الوحيد في انجيل يوحنا وبعض رسائله (يو ١ : ١٨ و٣ : ١٦ و١٨ و ١ يو ٤ : ٩)

وفي صفحة ٢١٤ سطرى ٨ و٩ لتكن العبارة هكذا : ــ وقوله (يقتلوا) بالتشديد يشعر بأن القتل لا يكون دفعة واحدة بل بعمل متكرر كما هو الحال في الرجم

وفي صفحة ٩١ سطر ١ صحة العبارة : ــ في انجيل يوحنا ومؤلفاته الاخرى

وفي صفحة ٧٧ سطر ١٦ صحة العبارة : ــ كما بين في المتن ومن أمثلة ذلك زيادتهم لفظ (الله) في رسالة يهوذا عدد ٤ ولذا يضعونها الآن بين قوسين في بعض نسخهم المصححة

وفي صفحة ٦٩ سطر ٣ الاسم (كاريس) صوابه (كاربس)

《 الفصل الثالث 》

صفحة

(الفصل الرابع)

١٠٥ « في بشائر محمد »

دين الله

في كتب انبيائه

(تأليف)

﴿ البحاثة الدكتور محمد توفيق صدقي افندي ﴾

(الطبعة الاولى)

بمطبعة مجلة المنار بمصر القديمة سنة ١٣٣٠ — ١٩١٢

﴿ المقالة الاولى ﴾

(نشرت في الجزء الاول من المجلد الخامس عشر من المنار)

القرابين والضحايا في الاديان

كثر لفظ المجلات التبشيرية النصرانية في هذه المسألة مفسرين لها بحسب أهوائهم وأغراضهم زاعمين أن وجود الذبائح والقرابين والضحايا في الاديان عموما وثنية كانت أو إلهية هو رمز الذبيحتهم العظمى وهو صلب المسيح بحسب اعتقادهم

عجيب أمر هؤلاء القوم !! فانهم منذ نشأتهم في العالم لما لم يجدوا لهم برهانا عقليا أو نقليا على إثبات دعاويهم وعقائدهم عمدوا الى طريقة هي من الغرابة بمكان عظيم . وذلك أنهم نظروا في كتب من سبقهم من بني اسرائيل وغيرهم فعرفوا بعض ما فيها من النصوص أو الشرائع والقصص وغير ذلك ثم اخترعوا للمسيح صلى الله عليه وسلم (١) ما شاءوا من الحوادث التي قد يكون لبعضها أصل تاريخي صحيح مراعين في ذلك أن يكون هناك شيء من التشابه بين ما يدعون وبين ما يوجد من النصوص في كتب المتقدمين ليتخذوا ذلك دليلا على صحة دعواهم أن السابق إشارة أو رمز إلى اللاحق مما يلفقون . ولم نجد لهم دليلا على عقيدة من عقائدهم سوى هذه الطريقة التي ملأوا الدنيا بها صياحا وعويلا مدعين أن كل

(١) حاشية : الاظهر أن لفظ المسيح كما قال صاحب المنار علم على عيسى بن مريم ولذلك قال تعالى (اسمه المسيح عيسى بن مريم) ومعنى المسيح الملك الممسوح لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم واللفظ اذا اطلق علما على شخص لا يجب أن يتحقق مدلوله في هذا الشخص فاذا سميت رجلا (صادقا أو سلطانا) فلا يجب أن يكون صادقا ولا سلطانا فلا عجب اذا سمي عيسى بهذا الاسم وان لم يمسح ملكا وهو أفضل من ملوك الارض وسلاطينها وأكثرهم تاسا ويطلق المسح أيضا على تولية الكهنة وغيرهم (راجع خروج ٤٠ : ٩ ــ ١٥)

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة بيننا و بينكم ، أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا * ولا نتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾

و بعد فهذه مجموعة مقالات نشرت سابقا في مجلة المنار وموضوعها الرد على النصارى . وقد جمعت في هذا الكتاب تسهيلا لاقتنائها ونرجو ممن اطلع عليها من القراء وخصوصا النصارى أن يمعن النظر فيها امعان نقد وتبصر ولا يضره تسرب الحق الى قلبه فقد قال مقدسهم ما معناه (افحصوا جميع الاشياء وتمسكوا بالافضل) والله الهادي الى أقوم طريق

هو الرمز المسيح وهو أمر لم يخطر على بالهم ؟ وهب أن جميع الامم الوثنية نسيت ذلك فكيف نسيه بنو اسرائيل وأنبياؤهم وهم أقرب الناس الى المسيحيين ؟ وكيف لا يوجد في كتب العهد العتيق المسلمة عند النصارى تصريح بهذه المسألة العظمى التي كان يجب أن تذكر صريحا في كل كتاب من كتب الانبياء السابقين ؟ وأن يخبروا أممهم بأن القرابين جميعها والذبائح ليست مقصودة بالذات بل هي اشارة الى ذبيحة كبرى ستأتي بعد ؟

(٢) اذا سلمنا أن الذبائح كانت اشارة الى هذه الذبيحة الكبرى (صلب المسيح) فماذا يقولون في القرابين الاخرى التي لم تكن من جنس الذبائح وهي كثيرة في الشريعة الموسوية كالمحرقات التي تقدم من اثمار الارض ومن الدقيق والزيت واللبان والفريك وغيرهما مما كان يحرق بالنار قربانا للرب ورائحة لسروره كتعبير التوراة

(٣) اذا سلم أن الذبائح اشارة الى الصلب فالى أي شيء يشير إحراق نفس الذبائح كلها أو بعضها بالنار ؟ فهل احرق المسيح بها ؟ !!

(٤) كيف يكون الذبح اشارة للمسيح عليه السلام مع انه مات صلبا — على قولهم — لا ذبحا أي أنه لم يهرق دمه حتى يموت بنزف الدم بل ظاهر عبارتهم أنهم اكتفوا بتعليقه على خشبة الصليب بثقب يديه ورجليه فقط ولم يكسروا عظما من عظامه (يوحنا ١٩ : ٣٦) فلذا لم يرد في الاناجيل أنهم ثقبوا عظم صدره بمسمار دق في قلبه كما قد يتوهم بعضهم والا لمات في الحال ولما بقي حيا من الساعة الثالثة الى التاسعة كنص انجيل مرقس ولو كان ثقب يديه ورجليه أحدث نزيفا عظيما لما بقي ست ساعات وهو حي ولما كان هناك وجه لتعجب بيلاطس من موته بسرعة (مرقس ١٥ : ٤٤) فالظاهر على هذا ان الدم الذي سال منه كان قليلا وانه لم يمت بسبب نزف دمه بل مات بسبب ألم الصلب والجوع والتعب واعاقة التنفس بتعليقه فكان الواجب لكي يتم التشابه بين الرمز والمرموز اليه ان تصلب الحيوانات عند بني اسرائيل وغيرهم حتى تموت مثله أو أن يذبح هو بيد تلاميذه قربانا لله لا أن يموت صلبا بيد أعدائه بدون أن يسفك شيء يذكر من دمه . نعم

ما سبقتهم من الـكتب هو تمهيد أو رمز الى دينهم وأن كل شيء خلق لاجلهم مع أن جميع الامم التي سبقتهم لم يكن يخطر على بال أحد منها أن ما عندهم من الشرائع رمز لدين آخر

لا يظن القارىء أني أنكر بذلك النبوات والبشائر التي وردت في كتب الأنبياء السابقين إخبارا عن الأنبياء اللاحقين اذا كانت صريحة في ذلك ، ولـكن الذي أنكره على النصارى هو أنهم جعلوا كل شيء في أديان من سبقهم حتى من الوثنيين رموزا للمسيح عليه السلام مع أن بعض هذه الرموز المزعومة ربما لا يكون لها أدنى علاقة به ولا بتاريخه عليه السلام وإنما هو التحكم يجعلهم يتوهمون أنها تنطبق عليه ولولا ذلك ما خطر على بال أحد هذا الانطباق البعيد العجيب ، فتراهم مثلا يجعلون خروج بني اسرائيل من ارض مصر إشارة الى حضور المسيح إليها ورجوعه منها الى بلده (راجع متى ٢ : ١٥ وهوشع ١١ : ١) وفي الاناجيل من مثل ذلك كثير . ولله در السيد جمال الدين الافغاني حيث قال ما معناه (ان مؤلفي العهد الجديد قد فصلوا قيصا من العهد العتيق وألبسوه لمسيحهم)

هـذه مسألة الضحايا والقرابين في الاديان لها فيها معان وأغراض أخرى ولـكن يتحكم النصارى فيها ويدعون أنها رمز الى (صلب المسيح) . ولنبين هنا كيف أنه لا يوجد أدنى انطباق أو أي علاقة بين هـذه المسألة وبين مسألة الصلب فنقول : ـ

(١) إن الضحايا والقرابين موجودة في جميع الاديان حتى الوثنية منها من قديم الازمان فاذا سلمنا أن ما يوجد منها في الاديان الالهية هو اشارة الى المسيح عليه السـلام فكيف نفسر وجودها في الاديان الوثنيـة وهي لا تعرف المسيح ولا دينه ؟! سيقولون ان الاديان الوثنية لها أصل صحيح وكانت فيها قديما هذه المسألة رمزا الى المسيح ولماطال الزمان نسي الناس ذلك . ونقول : كيف تتفق الامم في جميع الازمنة وفي جميع بقاع الارض على نسيان ذلك وهو كما يزعم النصارى أساس الدين كله ؟

وكيف لا يوجد أدنى أثر في كتبهم أو معتقداتهم يدل على أن الاصل في الذبائح

أو بدل أو غير ذلك ولينقطع أيضا أمله في الانتفاع بها وهي عند الفقير بركوب أو نسل أو لبن أو وبر أو صوف أو غير ذلك فيكون التصدق بها تاما وخالصا لوجه الله تعالى وليضطر الفقير أن يأكل منها هو وولده وأهله فانها إذا أعطيت له حية فانه يبخل بها على نفسه ويحرم أهله وولده من أكلها حبا في ابقائها أو بيعها أو كنز ثمنها فيبقى هو وأهل بيته محرومين من أكل اللحم طول حياتهم وهو من أشهى المأكولات وألذها وأكثرها تغذية وأبعدها عن الفقراء فالتوسيع عليه وعلى أهله أمرنا بذبحها ولتكثر تربية المواشي والانعام والانتفاع بها وهي أنفع الاشياء للناس خصوصا في الازمنة القديمة ولتتسع أيضا دائرة التجارة فيها فيربح منها التجار الاغنياء منهم والفقراء قال تعالى « لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق »

فان قيل — ولماذا لا يعطى ثمن الذبيحة للفقراء في الحج بدل الذبح ؟ — قلت ذلك لقلة النقود بين العرب وعدم انتشار استعمالها بينهم في ذلك الزمن لذلك كان أكثر تقدير أنواع الزكاة في الاسلام بالاعيان كالغلال وغيرها لا بالنقود وأيضا فان الفقير اذا أعطي نقودا بدل اللحم كنزها أو أنفقها في شيء آخر واما اللحم فانه يضطر أن يأكله هو وأهله ولا يحرمهم منه كما تقدم. ومن أحكام الذبح أيضا أن يذكر الذابح اسم الله تعالى على الذبيحة شاكرا له على نعمه وذاكرا أنه لولا أمره تعالى له بالذبح ما جاز له إزهاق روح هذا الحيوان للتمتع به وبذلك ترتفع قيمة الحياة والارواح في نظر الناس فلا يستهترون بها . قال الله تعالى في الحج « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ولذلك حرم أكل الحيوان اذا لم يذكر اسم الله عليه او ذكر اسم غيره تعظيما لأرواح الحيوانات . وقد جعل الله لكل أمة مذبحا يذكرون اسم الله فيه على ما يذبحون (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام)

(٢) أن الذبائح والقرابين قد تكون عقوبات او غرامات لمن يرتكب شيئا من الآثام أو من المنبهات كما قال الله تعالى بعد ذكر عقوبة من قتل الصيد وهو

ورد في انجيل يوحنا (١٩ : ٣٤) أن واحدا من العسكر طعنه بعد ان مات واسلم الروح بحربة في جنبه فخرج منه دم وماء ولكن هذا شيء والذبح شيء آخر كما لا يخفى ولم يخرج منه دم يذكر قبل مماته كما بينا ولم يكن خروج ما خرج منه من الدم سببا في وفاته . اما خروج الدم والماء منه بعد مماته فهو من الوجهة الطبية عجيب غريب وليس تفسيره بالسهل الجلي

ولنبدأ الآن ببيان الغرض الحقيقي من الضحايا والقرابين في الاديان فنقول:—

كان الوثنيون يقدمون هذه القرابين لآلهتهم لاعتقادهم أنهم ينتفعون بها كما كان يعتقد بعض الامم ان الاموات يأكلون ويشربون فيضعون في قبورهم شيئا من ذلك كثيرا . على ان بعض هذه المعبودات الوثنية كان ينتفع فعلا بأكل بعض القرابين كالعجول والثيران وغيرها فانها كانت تأكل مما يقدم لها من الحبوب والنبات ونحوها . وكانت الكهنة وسدنة الهياكل وخدمة الاصنام تنتفع أيضا بهذه القرابين فيرغبون الناس فيها للاكثار منها وكذلك أيضا كان بعضها يستعمل في الهياكل والمعابد لفرشها وإضاءتها وزينتها كما تنفع الآن نذور العامة لاضرحه الاولياء والقديسين فتضاء بها وتفرش ويأخذ منها الخدم ما يلزم لمنازلهم

ولكن الاديان الصحيحة لم تأمر بالقرابين لان الاله ينتفع بها — حاش لله (لن ينال اللهَ لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وانما أمرت بها هذه الاديان لفوائد أخرى نأتي هنا على بعضها :—

(١) الفقراء عيال الله فمن نفعهم رضي الله عن عمله وكأنه نفعه تعالى (او لم يكن غنيا عن العالم) ، وكما ان الله تعالى أمر الاغنياء ببذل شيء من مالهم للفقراء سواء كان نقودا أو ملبوسا (٢) أو حبوبا أو ثمارا أو أي مطعوم آخر أو مشروب كذلك أمر باطعامهم أنواع اللحوم فانها أشهى الى نفوسهم وأبعدها عنهم . وانما أوجب الاسلام في كفارة بعض جنايات الحج ذبح الذبيحة قبل اعطائها للفقراء ولم يبح اعطاءها لهم بدون ذبح ليتيسر توزيعها على عدة فقراء بدل اختصاص فقير واحد بها ولينقطع بذلك كل أمل للذابح في عودتها اليه واستردادها من الفقير بمال

(١) اشارة الى قوله تعالى (أو كسوتهم)

(٤) إن الناس بسبب ما يرتكبون من الذنوب يستحقون الهلاك العاجل والمحو من الوجود (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) فهم يقدمون هذه الذبائح اشارة إلى أنهم يستحقون أن يقتلوا أنفسهم لكثرة ذنوبهم ومعاصيهم ولولا لطف الله تعالى ورحمته بهم لما تقبل منهم سوى قتل أنفسهم فالذبائح تشير الى الشكر لله والندم على الذنوب والاعتراف باستحقاق عذاب الله ولذلك قال تعالى (ولكن يناله التقوى منكم) كما سبق .

(٥) ان ابراهيم بعد أن بنى الكعبة بيتا لله دعا الله أن يسوق الناس الى ذريته من اسماعيل الذين أسكنهم هناك ، وأن يرزقهم من الثمرات ، وأن يجعل بلدهم آمنا ، فأجاب الله تعالى دعاءه و (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وجلب اليهم من كل الثمرات والخيرات وأكثر بينهم من كل شيء حتى أنواع اللحم كله بأكلونه غريضا أو قديدا . ووجد لذلك مذبح المسلمين ومعبدهم وربما كان اختبار ابراهيم بذبح ولده في مكة لا في الشام فكرم نسل اسماعيل كما كرم نسل اسحاق كوعد التوراة (تكوين ١٧ : ٢٠) وقد جاء في انجيل برنابا ان الذبيح هو اسماعيل (١)

فهذه هي بعض حكم الذبائح والقرابين في الاسلام وغيره من الاديان وأما قول النصارى أنها رمز الى المسيح فقد أريناك ما فيه ونقول أيضا اذا سلم أن معنى الضحايا والقرابين في الاديان القديمة هو ما يزعمه النصارى الآن — وهذا المعنى لم يكن يخطر على بال تلك الامم القديمة كما هو ظاهر في كتبهم — فما فائدة الذبائح والقرابين إذا بالنسبة لهم وهم لم يفقهوا منها ما يفقهه النصارى الآن ؟ ألا تكون لهم لغوا وعبثا كانوا يفعلونه أزمانا طويلة وخصوصا لانهم لم يخبروا بالمراد

(١) حاشية : في هذه التوراة ان الذبيح كان ابن ابراهيم الوحيد فالظاهر أن تسميته بعد ذلك باسحاق تحريف من اليهود ليفتخروا بأنهم من نسله ولكراهتهم أن يشاركهم غيرهم من الامم في هذه من المزايا أو أن يختص بها وخصوصا بني اسماعيل والا فان اسحاق لم يكن ابن ابراهيم الوحيد بل كان مسبوقا باسماعيل والاختبار بذبح الابن الوحيد أشق على النفس من ذبح الابن الذي يوجد غيره معه . فلهذا ولغيره نرجح أن اسماعيل هو الذبيح لا اسحاق

مجرم (ليذوق و بال امره) وهذا الامر يظهر جليا خصوصا في ذبائح بني اسرائيل وقرابينهم التي كانوا يقدمونها كفارة لكثير من الذنوب ويحرقونها بالنار فكأنه كان في الشريعة الموسوية ان من يرتكب بعض الذنوب يعاقب عليها في الدنيا بفقد جزء من ماله كالغرامات الموجودة في سائر القوانين المدنية

(٣) ان الذبائح والضحايا يراد بها أيضا تعويد الناس على الاستعداد لبذل المال والنفس والولد في سبيل الله وحبا فيه فهي تذكرنا بأكبر حادثة من حوادث الاسلام لله تعالى والانقياد اليه في كل شيء واو أدى ذلك الى ضياع النفس أو الولد وهذه الحادثة هي ارادة ابراهيم عليه السلام ان يذبح ولده طوعا لامر الله وامتثالا له وذلك اكبر علامات صدق الايمان . قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا) ومن اعطى شيئا في سبيل الله فكأنما اعطاه لله تعالى نفسه كما قلنا سابقا (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) فالمؤمن الحقيقي او المسلم لله هو الذي لا يبخل بماله ولا بنفسه ولا بولده في سبيل الله لنفع الناس وهم عياله تعالى

فان قيل لماذا فدى الله تعالى ابن ابراهيم بالكبش ولم يكتف بنهيه له عن ذبحه ؟ قلت ليزيل كل شك في نفس ابراهيم ونفس غيره بأنه انما امتنع عن الذبح لضعف عزيمته فتأول كلام الله أو لم يفهمه على حقيقته فأظهر الله تعالى بهذا الفداء أن ابراهيم لم يمتنع عن الذبح لتأويل ضعيف أو اشتباه بل لنهي الله تعالى له عنه نهيا لاشك فيه ولا يقبل التأويل بظهور هذا الكبش الذي بعثه الله تعالى له ليذبحه بدل ابنه وكأنه لم يرجع حتى أنفذ أمر الله تعالى في هذا الحيوان الذي اولاه لأنفذه في ولده وفلذة كبده وفي هذا الفداء أيضا اشارة الى ان الله تعالى يتقبل من عباده المخلصين أعمالهم وان لم تتم ويكافئهم عليها بالجزاء العظيم كأنها أعمال تامة متى خلصت نيتهم وصحت عزيمتهم مهما كان العمل صغيرا أو حقيرا تفضلا منه وكرما . وهناك أيضا فائدة أخرى وهي أن يمثل الناس بعد ابراهيم هذه الحادثة على ممر الايام بالضحايا وليذكروها بالعظة والاعتبار تنبيها لهم على وجوب تقديم أنفسهم لله كأبيهم ابراهيم الذين سماهم لله مسلمين

أردتم أن تفروا من تناقض موهوم بين عدل الله ورحمته فوقعتم فيما هو شر منه وهو نسبة الظلم الى الله تعالى في مؤاخذة بني آدم بذنب ابيهم وفي مجازاة المسيح بغير رضاه بدلا عنهم . وأين تضحية الذات في سبيل نفع الناس التي تزعمون أن المسيح علمكم اياها وتطنطنون بها مع أنه كان يتمنى أن لا يصلب (متى ٢٦ : ٣٩ و ٤١ و ٤٢ و ٢٧ : ٤٦) ؟ واذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لانه مولود من مريم العذراء ومتكون في رحمها من دمها فهو كباقي أولاد آدم واقع في ذنب أبيه فهو أيضا يحتاج للكفارة مثلهم واذا يكون غير طاهر ولا معصوم من الذنوب كما تزعمون لانه (ابن الانسان) وناسوته مخلوق من العذراء بمقتضى التولد الجسداني ، وان كان لم يتلوث بذنب آدم فلم تلوث غيره . وكلنا من نسل آدم . وكيف اذا يعاقب بغير رضاه من أجلنا وهو بريء من كل ذنب ؟ فما بالكم ياقوم تدعون أنكم تعرفون معنى العدل الالهي وحدكم وأنتم في الحقيقة لم تدركوا شيئا من معناه ؟ ؟

العدل هو عدم نقص شيء من أجر المحسنين وعدم الزيادة في عقاب المسيء عما يستحق فهو توفية الناس حقهم بلا نقص في الاجر ولا زيادة في العقاب وعدم المحاباة ومعاملة جميع الناس بالمساواة (١) فلا ينافي ذلك أن يزيد الله تعالى في أجر المحسنين تفضلا منه تعالى وكرما ، ولا ان يعفو و يغفر للمسيء رأفة منه ورحمة . من الجمع بين العدل والعفو أن لا يضيع حقا من حقوق الآخرين الا برضاهم ، وأن لا يخص به فردا دون غيره من عبيده ، بل اذا عفا عن أحد منهم بسبب ما ووجد هذا السبب بعينه عند غيره عامله بالمثل لضرورة المساواة بين العباد في المعاملة والجزاء الاخروي . ومنه أيضا أن لا يساوي بين المحسن والمسيء في الثواب بل لكل درجات فعفوه تعالى عن المسيء يقابل اعطاء المحسن زيادة عما يستحق من الاجر ولكن لكل منهما مقام معلوم في الآخرة فلا ظلم في العفو عن المسيء كما أنه لا ظلم في زيادة أجر المحسنين . فهذا هو معنى العدل والغفران اللذين ظنوهما ضدين لا يجتمعان الا بطريقتهم العجيبة الملفقة ودعواهم أن لا غفران الا بصلب البريء (المسيح)

(١) العدل لغة المماثلة والمساواة ومنه قولك هذا الشيء يعدل هذا اي يساويه وقوله تعالى (أو عدل ذلك صياما) والظلم النقص كما يستفاد من كتب اللغة وقواميسا ونصوصها

منها ولم يعرف بينهم هذا المعنى الذي يدعيه النصارى اليوم . ولماذا أبطلت الذبائح في الديانة النصرانيـة ولم تبق فيها تذكارا للصلب والخلاص مع أنها لو بقيت في النصرانية لـكانت أفيد وأظهر من وجودها في الاديان القديمة من غير أن يفهم المراد منها ؟ ولماذا استبدلت الذبائح بالعشاء الرباني في المسيحية ؟ وأي مناسبة بين الخبز والخمر ، وبين الجسد والدم ؟ ولماذا فعل المسيح العشاء الرباني قبل الصلب مع أنه كان الاليق أن يُفعل بعده حين قيامته المزعومة ليكون هناك معنى لكونه تذكارا له ؟ والا فهل يعمل التذكار للشيء قبل وقوعه مع أن المناسب والمعتاد أن يكون بعده ؟

فكأن الذبائح والقرابين كان يجب عملها قبل المسيح حينما كان الناس لايفهمون أنها رمز أو إشارة الى صلبه ولم يكن غفران الذنوب حينئذ لاجلها في الحقيقـة كما يقولون ثم تركت بعد الصلب حينما كان يسهل على الناس فهم أنها للتذكار ففي الوقت الذي لايكون لها فائدة ما يجب أن تعمل وفي الوقت الذي يكون لها فائدة تترك وتهجر فما حكمة ذلك ياترى ؟

على أننا لانفهم كيف يكون المسيح كفارة لذنب آدم الذي عم بنيه كما يدعون ذلك لانه اذا كان ماينالنا في هذه الحياة الدنيا من المتاعب والمشاق هو جزاء لنا على ذنب آدم فهذا الجزاء لم يرتفع عنا بعد الصلب . وان كان الجزاء سيحصل لنا في الآخرة على ذنب آدم ففي الآخرة كل نفس (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (ولا تزر وازرة وزر أخرى) والا فأين العدل الإلهي الذي يكثرون الـكلام فيه؟ فهل من العدل عندهم أن يعاقب الابناء في الآخرة على ما ارتكبه أبوهم ؟ وهل من العدل أن يترك المسيئون (وهم آدم وبنوه) و يعاقب المسيح — وهو بريء — على ذنوبهم و بدون رغبته وارادته كما هو ظاهر من عبارات الاناجيل في وصف حالته قبل الصلب وحزنه وا كتئابه وكثرة تضجره وصلواته كقوله لربه (انّ أمكن فلتعبر عني هذه الـكاس) وقوله وهو مصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني) فان كان المسيح باعتبار ناسوته ـ كما يعبرون ـ غير راض بالصلب كما يظهر من هذه العبارات فهل من العدل أن يحمل ذنب غيره ويصلب بسببه رغم ارادته ؟ الحق أقول انكم

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * ـ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * ـ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة (١) ولا هم ينصرون * ـ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساءما يحكمون ، وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)

(تنبيه) : وقع في فاتحة هذا الكتاب خطأ مطبعي في آية قرآنية وصحتها هكذا (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا) الآية

---

(١) اما الشفاعة الثابتة في القرآن فهي ضرب من ضروب التكريم لبعض عباد الله الصالحين المقربين بأعمالهم فيأذن لهم فيتكلمون ويدعونه في وقت ترتعد فيه الفرائص وترتجف القلوب (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) و(لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) فالشفاعة هي تكريم للشافع ولا تنفع في الحقيقة أحدا من المشفوع لهم (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)

وسفك دمه ، فوقعوا بذلك في شر مما فروا منه على أن دم المسيح في الحقيقة لم يسفك (حتى على فرض وقوع الصلب) كما بينا سابقا

ولا ندري كيف اشترطوا وجوب سفك الدم ، للغفران وخضب الارض به ارضاء لالهم الذي يحب الدم كثيرا كما يزعمون ، وفاتهم أن ماسفك من دم المسيح كان قليلا جدا لايكفي للموت ولم يكن هو السبب فيه ولذلك لم يذكر في الاناجيل أن دمه فاض على الارض أو خضبها كدم الذبائح التي يزعمون أنها رمز له

وإن كان مجرد الموت يكفي للغفران لجميع الناس يموتون مع شيء من الالم قليلا او كثيرا بحسب الاحوال فلم لا يكفر موت كل شخص عن ذنبه ؟ ومن أين لهم اشتراط هذا الشرط (أي وجوب سفك الدم) للغفران ؟؟ وما هذا التحكم في معنى العدل الالهي وهو مما لا ينطبق على العقل ولا على اللغة . فان كانوا أخذوا هذا الشرط من وجوب الذبائح في الشرائع الالهية السابقة للمسيح فقد بينا لك حكمة الذبح فيها . وكان الواجب عليهم أن يشترطوا أيضا إحراق الكفارة بالنار لان القرابين كانت تحرق بها كما هو معلوم من التوراة . اما العدل الالهي الذي ضلوا في بيان معناه فقد بيناه لك هنا بما ينطبق على قواعد اللغة والعقل ويتفق مع ما جاء في الكتاب العزيز.

فكما أن الله تعالى يوصف بكونه عادلا أو حكما عدلا فهو كريم غفور رحيم منتقم جبار شديد العقاب خافض رافع معز مذل قابض باسط أول آخر ولم يقل أحد من العقلاء إن القائل بهذه الصفات قائل بالمناقضات أو الاضداد . وهاك بعض ما جاء في القرآن الشريف في هذا الموضوع وهو الذي يتفق مع العقل الصحيح والحكمة . قال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون * ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * ـ وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى * ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ،

من عقائدهم التي يخالفوننا فيها ، فعلى العهد القديم مبنى اعتقادهم وهو أساس دينهم، ولذلك كان البحث في هذه المسألة ونقضها بالدلائل نقضا للدين المسيحي الحالي كله من أساسه ، ولولا اعتداؤهم علينا في ديننا ما تعرضنا لهم بشيء من مثل هذا فهم البادئون ، والبادئون هم الظالمون ، فنقول وبالله تعالى وحده نستعين :

﴿ الفصل الأول ﴾

في بيان فساد ما يستشهدون به على الصلب من العهد القديم

(برهانهم الأول) قالوا إن النبي دانيال أخبر في كتابه عن صلب المسيح وأن ذلك كفارة لذنب أمته وأنه خاتم النبيين ولا نبي بعده ، ومع أن اليهود ينكرون مسيحنا إلا أن هذا الكتاب لا يزال عندهم وهم يعتقدون صحته (١) وهاك عبارة النبي دانيال في هذه المسألة . قال في الاصحاح التاسع من كتابه إن جبرائيل قال له (٩ : ٢٤ سبعون اسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين * ٢٥ فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة * ٢٦ وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضي بها ٢٧ ويثبت عهدا مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع

(١) حاشية كتاب دانيال هذا يقول فيه صاحب كتاب (اظهار الحق) انه لم يكن مسلما عند اليهود القدماء قبل عيسى عليه السلام ولا في زمنه ولم تكن اليهود تعترف بنبوة دانيال أيضا وانما كان تسليمهم بصحة هذا الكتاب ونبوة دانيال بعد عصر عيسى عليه السلام وعليه فجميع ما يأتي في هذه الرسالة هو على فرض أن هذا الكتاب كان معترفا به بين اليهود القدماء وهو وان كان مسلما به عند جميع النصارى الاقدمين الا أن البروتستنت تعترف أنه قد زيد فيه الاصحاح الثالث عشر والرابع عشر وكذلك نشيد الفتيان الثلاثة المقدسين فلذا حذفوا هذه الاشياء من نسخهم ولكن أبقاها الكاثوليك للآن عندهم

فلا يبعد أنه قد زيد فيه أشياء أخر ودخلت في أصله العبري قبل أن تعترف به اليهود ويعولوا عليه فاطلت عليهم هذه الزيادات فيما بعد (راجع الفصل الثالث من هذه الرسالة)

بشائر عيسى ومحمد (*)

(في العهدين العتيق والجديد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله . أما بعد فلا خلاف بين أحد من المسلمين أن أسفار أنبياء بني اسرائيل قد بشرت بالمسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلا ننكر على النصارى كثيرا مما يستشهدون به من العهد القديم على نبوة عيسى وكثير من أحواله وأخباره ، والذي ننكره عليهم إنما هو استشهادهم بالعهد القديم على صلبه وألوهيته. فتتميما لبحثي السابق في (القرابين والضحايا) أردت أن آتي هنا على أعظم حجج النصارى من كتب اليهود على صلب المسيح وألوهيته وأظهر بطلانها واحدة بعد أخرى ، ثم آتي ببعض الدلائل على فساد كتب العهدين وأختم مقالي ببيان أن التوراة والانجيل الحاليين - وإن كان قد دخلهما التحريف والتبديل - لا يزالان يشتملان على كثير من البشائر الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون)

ولا يخفى على الباحثين أن أساس الديانة المسيحية انما هو العهد القديم وما يستشهدون به منه على عقائدهم ولولاه ما كانت لهم حجة واحدة على عقيدة

(*) نشرت في المجلد الخامس عشر من المنار تباعا

ثم مات سنة ٤٠٥ ق .م و بعد موته لم يعين ملك فارس على أورشليم أحدا من اليهود لان بلادهم صارت جزءا من ولاية الشام فكان الحبر الاعظم يمارس الامور السياسية والدينية معا من قبل والي الشام و بعد مدة الفرس صارت أورشليم إلى اليونان واستقلت زمنا في عهد المكابيين وهم كهنة من سبط لاوي ومن عشيرة هارون ثم خضعت للرومان وفي أيام الرومان سنة ٧٠ بعد الميلاد حاربهم (تيطس) بعد أن كان طلب منهم أن يسالموه و يعاهدوه ولا يأخذ منهم خراجا مدة سبع سنين وكان أمر بابقاء الهيكل فاخذ احد الرومانيين نارا وألقاها في الهيكل فاشتعل الخشب وأمر تيطس أن يوقفوا النار ولكن تهافت الرومان على النهب والسلب والتخريب و بعد أن شتتوا اليهود منعوهم عن السكنى في أورشليم و بقي هذا المنع مدة إلى أن رفع ببذل المال فرجع إليها حينئذ كثير من اليهود وحسنوها وشيدوها

وكان قد بلغ الامبراطور أدريانوس أن اليهود يحصنون المدينة ليخرجوا من طاعته فأرسل عساكره فقتل اكثرهم وخرب المدينة وجعلها مساحة واحدة وفلحها وزرعها ملحا إشارة الى ابادتها وفي هذه الحرب انتهى خراب أورشليم وتلاشت قوة اليهود وانتشروا في الاقطار ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة وكانت هذه الحرب سنة ١٣٢ بعد الميلاد و بذلك تمت نبوة المسيح عليه السلام إذ قال (لا يترك حجر على حجر) « راجع تاريخ القدس لخليل افندي سركيس »

ثم دخل الفرس أورشليم سنة ٦١٤ ميلادية وخرجوا منها سنة ٦٢٨ أي بعد أن مكثوا فيها ١٤ سنة منعوا فيها اضطهاد النصارى لليهود فبطل إلقاء قاذورات النصارى في الهيكل عنادا لليهود و باعوا النصارى الذين في أورشليم لليهود وأحرقوا الكنائس ونزعوا خشبة الصليب من أورشليم وأرسلوها الى فارس

وفي سنة ٦٣٦ ميلادية أخذ المسلمون القدس وطهروه وبنى عمر رضي الله عنه مكان الهيكل المسجد الاقصى وصار اليهود في حمى الاسلام واستراحوا من ظلم المسيحيين وصاروا أحرارا في دينهم يسوسهم الاسلام جميعا بعدله ورحمته ، وصار هذا المسجد معبدا للمسلمين ولمن يدخل في دينهم من أهل الكتاب ونجت أورشليم من الخراب

يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب) وقبل تفسير هذه العبارة نأتي هنا على نبذة تاريخية في هذه المسألة فنقول

إعلم أن الله تعالى سلط على اليهود بختنصر ملك بابل بسبب عصيانهم وتمردهم فخاربهم عدة مرات وأخذ في أول مرة بعضهم أسرى الى بابل وفيهم دانيال النبي وفي آخر مرة سبى أكثر الشعب واخذ الملك صدقيا وقتل أولاده وأحرق الهيكل المقدس وخرب المدينة وكانت مدة هذا السبي سبعين سنة ، وكان اتيان بختنصر إليهم في المرة الاخيرة سنة ٥٨٨ قبل الميلاد وفي سنة ٥٣٦ ق . م . أذن كورش (وهو مؤسس المملكة الفارسية) برجوع اليهود من بابل وكان ذلك في السنة الاولى من ملكه فلما رجع اليهود إلى أورشليم شرعوا في بناء الهيكل وفي بناء بيوت لهم وتوفي كورش بعد أن حكم ٧ سنوات فقط وقد تم بناء بيت الله (الهيكل) في السنة السادسة من ملك داريوس بن هستاسبس (راجع سفر عزرا ٦ : ١٥) وفرحوا بذلك فرحا عظيما واحتفلوا بعيد الفصح سبعة أيام (عز ٦ : ٢٢) و بعد ٦٩ سنة من صدور أمر كورش برجوع اليهود الى أورشليم لبناء بيت الله وسكناهم فيها ولد لليهود في بابل رجل صالح تقي يدعى (نحميا) ولما كبر عين ساقي الملك أرتحشستا ولما بلغه أن سور أورشليم متهدم وابوابها لا تزال محروقة بالنار حزن وتكدر (راجع سفر نحميا ١ : ٣) وبكى ودعا الله كثيرا ولما رآه الملك كئيبا حزينا ارسله الملك إلى أورشليم لبناء سورها وعينه حاكما عليها وكان ذلك في سنة ٤٤٥ ق . م وعمره نحو ٢٣ سنة وكمل هذا السور في ٥٢ يوما (نحميا ٦ : ١٥) وصار عزرا الكاتب يعلمهم شريعة موسى ليعملوا بها واحتفلوا بأعيادها وأول عيد لهم بعد ذلك كان عيد المظال ومدته سبعة أيام في الشهر السابع (نحميا ٨ : ١٨)

وحكم نحميا في أورشليم ١٢ سنة و بعد ذلك عاد إلى بلاد فارس إلى حين ، وفي مدة غيابه خالف الشعب شريعة الله وتزوجوا بالنساء الوثنيات (نح ص ١٣) ولما رجع إليهم أصلح هذه الامور وبقي فيهم مصلحا إلى أن مات أو قتله بعض أعدائه (راجع ص ٦٠ من كتابه) والراجح أن عمره كان ٦٢ سنة فان آخر عمل عمله كان في السنة الخامسة عشرة من حكم داريوس نوثاس أي سنة ٤٠٨ ق . م

فاليوم هو اليوم المعتاد . واذا قيل للمسلمين مثلا (بعد خمسين عيدا من أعيادكم يحصل لكم كذا وكذا) كان المعنى بعد خمسين سنة لان أي عيد من اعيادنا لا يتكرر في السنة الواحدة وكذلك عند اليهود فاذا قيل لهم (بعد خمسين فصحا) كان المعنى (بعد خمسين سنة) ولما كان أعظم أعيادهم أسبوع أيام جاز أن يقال لهم (بعد خمسين أسبوعا) أي من هذه الاسابيع العيدية يحصل كيت وكيت والمعنى بعد خمسين سنة . وعليه فالاسبوع في مقام القضاء والجزاء غيره في مقام الفرح والسرور والاول بمعنى اسبوع سنين والثاني بمعنى اسبوع أيام من أسابيع الأعياد وهي لا تتكرر في السنة الواحدة فبعد اسبوعين منها أو ثلاثة مثلا يراد به بعد سنتين أو ثلاثة لان كل اسبوع منها يقع في سنة واحدة . ولا عيب في ذلك فقد ورد في أبلغ الكلام استعمال اللفظ الواحد بمعنيين (أو اكثر) مختلفين باختلاف المقام وقد عدوا الجناس من المحسنات البديعية ولم يقل أحد ان فيه ابهاما أو تعقيدا على أن الابهام والاشارات والمجازات والكنايات وغيرها هي كما لا يخفى من خصائص نبوات العهدين حتى خفيت معاني بعضها على كثير من الناس فلم يفهم المراد منها (راجع سفر الرؤيا مثلا) اذا علمت ذلك فاسمع الآن معنى نبوة دانيال :

كان دانيال مع الاسرى في بابل وكان حزينا جدا لاجل حالة أمته وكان يعلم أنه لا بد لأمته أن تقضي سبعين سنة في الاسر والذل فكان يسأل الله تعالى دائما أن يعيد مجد أورشليم ويعمر خرابها ويبني بيتها ويعتق أمته من الذل والاسر فأخبره الله تعالى بما سيحصل لأورشليم ولأمته وبأنه قضى عليها قضاء آخر اطول من قضاء السبعين سنة فقال ٩ : ٢٤ (سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة) والسبعون اسبوعا في مقام القضاء والجزاء هي ٤٩٠ سنة كما قلنا قضاها الله تعالى على بني اسرائيل وعلى مدينتهم أورشليم وهي تبتدئ من سنة ١٣٢ التي فيها تلاشت كل قوة لهم وتبددوا في الارض ولم تقم لهم قائمة ومحيت مدينتهم محوا تاما وتنتهي بسنة ٦٢٢ التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها كمل أمره وعظم شأنه أو سنة ٦٣٦ وهي سنة فتح المسلمين لأورشليم أي بعد إسقاط ١٤ سنه وهي المدة التي استراح فيها اليهود من ظلم النصارى واستراح فيها

وعاد اليها المجد والعمران والاكرام وكثرت ذبائح المسلمين فيها فى عيد الاضحى تذكارا لحادثة ابراهيم خليل الله وتمت نبوة حجي حيث قال (٢ : ٦ قال رب الجنود هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والارض والبحر واليابسة ٧ وأزلزل كل الامم ويأتي مشتهى (١) كل الامم فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود ٨ لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود ٩ مجد هذا البيت الاخير يكون أعظم من (مجده) الاول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود . فمن تخريب الرومان لأورشليم وتشتيت اليهود سنة ١٣٢ الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٦٢٢ تكون المدة ٤٩٠ سنة ولا يخفى أن الهجرة النبوية هي مبدأ التشريع الاسلامي ومبدأ عظمة النبي (ص) وظهور أمره وأيضا من سنة ١٣٢ الى دخول المسلمين أورشليم سنة ٦٣٦ تكون المدة ٥٠٤ سنين فاذا طرحنا منها ١٤ سنة وهي مدة الفرس التي فيها استراح اليهود من ظلم الرومانيين والمسيحيين تكون مدة الظلم والاضطهاد الخالصة هي ٤٩٠ سنة كان فيها اليهود في أتعس الحالات وأسوإها فكأنه بعد ٤٩٠ سنة من تشتت اليهود عظم شأن الاسلام وظهر أمره وأيضا بني الهيكل وعاد المجد لبيت الله وأنقذ اليهود من الظلم والاضطهاد وصاروا يرتعون حول هيكلهم في حمى الاسلام وحريته

هذا وقبل البدء في تفسير نبوة دانيال أقدم مقدمة أخرى وهي ان الاسبوع في اللغة العبرية والعربية معناه سبعة فهناك أسبوع أيام وأسبوع شهور وأسبوع سنين والاسبوع من الطواف هو سبع مرات وهكذا والقرينة هي التي تعين المراد ثم إن أعظم أعياد اليهود ثلاثة، عيد الفطير (أو الفصح وهو أهمها) وهو أسبوع أيام وعيد الاسابيع وهو بعد سبعة أسابيع من الايام وعيد المظال وهو أسبوع أيام أيضا والسنة اليوبيلية كانت بعد سبع مرات سبع سنين . واليوم من أيام قضاء الله وعقابه لليهود بسنة كما في سفر العدد ص ١٤ عد ٣٣ (و بنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ٣٤ كعدد الايام التي تجسستم فيها الارض أربعين يوما للسنة يوم) أما في غير ذلك

(١) حاشية في الاصل العبري (مشتهى) حمدوت أي الذي تحمده الامم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله أعطي السلام اشارة الى تحية المسلمين بقولهم السلام عليكم

أدنى قوة في أورشليم على الرومان ، ففي مدة السبعين أسبوعا انتهت معاصيهم بعد أن كملت و بطلت آثامهم وأصبحوا أذلاء مضطهدين مبددين معذبين وذلك هو جزاؤهم على ذنوبهم وتكفير لآثامهم الماضية بصفتهم أمة ومن آمن منهم بمحمد عليه السلام غفر له ما تقدم من ذنبه في الدنيا والآخرة . قال تعالى في القرآن الشريف « إن احسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) فكما ان أسر السبعين سنة في بابل قد كفر ذنوبهم كذلك ما لحقهم من الاضطهاد مدة السبعين اسبوعا كان كفارة لآثامهم (راجع ارميا ٣٣ : ٧ و ٨ وأيضا ٥٠ : ٢٠)

ثم قال جبريل لدانيال (وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم والبر الأبدي هو الدين الاسلامي الذي بدأ يظهر و يعلو وتوحى شرائعه العالية بعد سنة ٦٢٢ التي كانت فيها الهجرة النبوية و بمحمد صلى الله عليه وسلم ختمت الرؤيا والنبوة كما قيل لدانيال فالسبعون أسبوعا بدأت بعد أن كمل اثم اليهود سنة ١٣٢ التي بعدها زالت منهم كل قوة وأصبحوا أذلاء وتمت بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي فتح خليفته أورشليم و بنى بيتها المقدس وعمره بعبادة الله ومنع الظلم والأذى عن اليهود وصاروا فيها أحرارا إلى اليوم فكأن الله تعالى قال لدانيال إني سأجيب دعاءك لليهود ولمدينتهم ، لكن ذلك بعد أن اقتص منهم على ذنوبهم وأ كفرها عنهم بتعذيبهم سبعين أسبوعا وهو القضاء الآخر الذي قضيته عليهم غير قضاء السبعين سنة التي أسروا فيها في بابل

ثم بدأ الله تعالى يبين له حال أمته وما سيحصل لها بعد نجاتها من أسر بابل الى حين مجيء هذا القضاء الثاني عليهم . وأنه بعد هذا القضاء الثاني يمكنهم أن يسكنوا في أورشليم حول هيكلهم في حمى الاسلام آمنين مطمئنين ويبنى هذا الهيكل لعبادة الله تعالى و يعود اليه مجده كما أنبأ بذلك حجي الذي سبقت نبوته هنا فقال جبريل لدانيال (فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها) وهذا

الهيكل المقدس من إلقاء القاذورات والنجاسات فيه حينما استولى الفرس على بيت المقدس فالمدة من سنة ١٣٢ إلى هجرة المصطفى سبعون اسبوعا من السنين ومن هذه السنة أيضا إلى فتح أورشليم سبعون أسبوعا بعد اسقاط السنين التي استراح فيها اليهود من الظلم والاضطهاد ثم قال (لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الأثم) فالكلمة المترجمة هنا بتكميل المعصية أصلها في العبري يفيد معنى التغطية والستر . والكفارة هي الغفران والستر أيضا والمعنى: أن معاصي اليهود وأعمالهم السيئة تنتهي في مدة السبعين أسبوعا وتبطل لشدة ضعفهم وتبددهم وذلك أنهم في زمن المسيح عليه السلام كذبوه وعصوه وحاولوا قتله وصلبه وكان يقول لهم كما في متى ٢٣ : ٣٢ (فاملأوا انتم مكيال آبائكم ٣٣ أيها الحيات أولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ٣٤ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ٣٥ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح — الى قوله — ٣٨ هوذا بيتكم يترك لكم خرابا) فلم يكن ذنبهم اكمل في زمن المسيح عليه السلام . وهذا التعبير العبري قد ورد مثله في سفر التكوين في مقام آخر فقال (١٥ : ١٦ وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا لأن ذنب الامور بين ليس الى الآن كاملا) وقال في سفر دانيال (٨ : ٢٣ عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه) و بعد زمن المسيح صاروا يملأون مكيال آبائهم بقتل بعض الحوار بين واضطهادهم وإخراجهم من مدينة إلى أخرى و إيذائهم المسيحيين و بعد حرب تيطس عادوا إلى أورشليم وحسنوها وشيدوها. ولما ظهر منهم مدعي النبوة كذبا وهو الذي سمى نفسه (المسيح بن الكوكب) انضموا إليه وأيدوه وفتكوا بكثير من النصارى وجاءهم كثير من اخوانهم المشتتين في الآفاق وحاربوا الرومان فغلبوا وقتل مسيحهم هذا . وأخذ كثير منهم أسرى ومنعوا من الاقتراب من مدينة أورشليم إلا يوما واحدا في السنة لينوحوا على خرابها وكان ذلك في سنة ١٣٢ وحينئذ كان قد كمل ذنبهم ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة لشدة ضعفهم وتفرقهم وذلهم وتشتتهم في جميع الآفاق تشتتا لم ترجع لهم بعدم

أعيادهم كانت أسبوعية كما سبق وكل أسبوع من أسابيع الاعياد يقع في سنة ولا يتكرر فيها فيكون المراد بالاسبوع السنة كلها فكأن باقي السنة الخالي من الاعياد الاسبوعية لاقيمة له ولا يحسب عليهم . ومن عرف قدر فرح اليهود وسرورهم لخلاصهم من أسر بابل وعودتهم الى مدينتهم وأنهم حفظوا عيد المظال وغيره في أورشليم كما كانوا يحفظونه من قبل (راجع سفر عزرا الاصحاح الثالث والسادس) علم معنى التعبير عن السنة هنا بالاسبوع كأن السنة كانت تمضي عليهم كما يمضي أسبوع العيد هذا اذا صح أن أصل العبارة كانت كما وصلت الينا ويجوز أن يكون وقع فيها سهو أو خطأ من الكاتب فكتب هنا بدل سنين وسنة أسابيع وأسبوعا قياسا على الجملة السابقة وهي قوله سبعون أسبوعا والاعتذار عن مثل ذلك بخطأ الكاتب معهود عند النصارى في ألوف الغلطات الواقعة في كتبهم المقدسة (راجع كتاب خلاصة الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية صفحة ٥٦ ـ ٥٩ و ١٠٢) ولعل في قوله (سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) إشارة الى مدة حكم (كورش) فانه أصدر أمره في السنة الاولى من حكمه ومات بعد سبع سنين ولما كان هذا الملك عادلا محبوبا مبجلا عندهم (حتى دعته كتبهم مسيح الرب كما سبق) كان جديرا بأن تعرف مدة حكمه وتمتاز عن غيرها تذكارا له واجلالا لمقامه . وانما عبر في هذه النبوة بالاسابيع بدل السنين لان المعتاد في جميع نبوات العهدين أن يوجد فيها مثل هذا الغموض كما قلنا وكون المراد بالاسابيع هنا السنين مسلم به عند النصارى واليهود فهو ليس تأويلا خاصا بنا . ومن صدور هذا الامر الى ولادة نحميا ٦٩ سنة كما سبق بيانه في النبذة التاريخية

ثم قال (يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة) ومعنى ذلك عندهم بناء نحميا للسور حول أورشليم كما تقدم . وفي الترجمة الانكليزية بدل هذه الجملة (يعود ويبني الشارع والسور في أزمنة مضايقة) وذلك لانهم كانوا محاطين بكثير من الأعداء الحاقدين عليهم المهددين لهم الواشين بهم كما يعلم من سفر نحميا (وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له) أي وبعد ٦٣ سنة من ولادة نحميا

الامر قد خرج من كورش سنة ٥٣٦ قبل الميلاد برد اليهود الى أورشليم و بناء هيكلها الذي هو أعظم شيء فيها ولذلك قال لتجديد أورشليم و بنائها فكأنه إذا بني الهيكل فقد جددت أورشليم و بنيت وعمرت لانه صرح لهم بالرجوع اليها والسكنى فيها فمن الضروري أن يبنوا لهم فيها بيوتا فتعود المدنية كما كانت. وقوله (فاعلم وافهم أنه من خروج الامر الخ) يشعر بأن هذا الامر كان قد خرج في زمن دانيال وعلم به وهذا صحيح فان دانيال مات بعد صدور هذا الامر بسنتين أي في سنة ٥٣٤ ق.م ولو كان هذا الامر صدر بعد مماته كما تقول النصارى لقال له (فاعلم وافهم انه سيخرج أمر لتجديد اورشليم وبنائها ومن بعد هذا الامر إلخ إلخ) فمن خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها وبناء هيكلها (إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) والمسيح الرئيس هو نحميا الذي ولاه ارتحشتا الملك حاكما على اليهود فبنى سور أورشليم وأصلح أمورهم وأقام شريعة موسى لهم وهو أعظم من ولي عليهم بعد السبي بل هو الوالي الوحيد من بيت داود وأول من جدد مجد أورشليم وأعاد اليها رونقها القديم ولذلك قال الله عنه لارميا ٣٣ : ١٥ و١٦ (في تلك الايام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلا و برا في الارض . في تلك الايام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ما تتسمى به الرب برنا) وسمي نحميا بالمسيح الرئيس لانه كان كملك لهم وكانوا يسمون ملوكهم مسحاء وكذلك الكهنة والانبياء والرؤساء لانهم يمسحونهم بالزيت أو الدهن عند ابتداء تعيينهم لخدمة الله أو الشعب (راجع سفر الخروج ٤٠ : ٩ إلى ١٥) وسمي كورش أيضا (مسيح الرب) كما في أشعيا(٤٥ : ١) وقيل في سفر أخبار الايام الاول ١٦ : ٢٢ (لاتمسحوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي) وقال في سفر الملوك الاول ٥ : ١ (وأرسل حيرام الى سليمان لانه سمع أنهم مسحوه ملكا) أي ولوه وقال في ١ ملو ١٩ : ١٦ (وامسح إليشع نبيا عوضا عنك) . وسمي عيسى بن مريم بالمسيح لانه أعظم من بعث بعد موسى من أنبياء بني اسرائيل وأفضل من جميع كهنتهم وملوكهم

وقوله (سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) معناه ٦٩ سنة لان الاسبوع هنا غيره في مقام القضاء والجزاء فيراد به أسبوع الفرح والسرور أي الاعياد لان أعظم

كبرائهم ضبطوا طرق القدس لئلا يخرج غيرهم وأمر طيطس بابقاء الهيكل ولكن ألقى عليه أحد الرومانيين نارا فأحرقه وكان طيطس يسعى في إطفاء النار ولكن الرومانيين كانوا ينهبون ويقتلون ويخربون (وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة) لاحراق الهيكل وإبادته وقد بدأت حرب الرومان لهم سنة ٦٨ وتم خذلانهم واحراق هيكلهم في أواخر سنة ٧٠ أي في نحو ٣ سنين فأبطل الرومان الذبيحة والتقدمة في وسط الأسبوع . وكان (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير مع طيطس وكان ينصح أمته ويقول لهم (أني لست أعجب من خراب هذا البيت وهذه المدينة لكنني أعجب منكم وأنتم تقرأون كتاب دانيال النبي وتعلمون ما ذكره من إبطال الذبيحة وزوال التقدمة وترون ذلك قد صح وثبت) فلم يسمع عصاة اليهود له وهذا يدل على أن المراد بما ذكر في كتاب دانيال هو ما قلناه هنا وكذلك قوله (وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم و يصب المقضي على المخرب) وقرئ في بعض النسخ العبرية وفي الترجمة السبعينية (وفي الهيكل رجسة الخراب) وفي ترجمة الكاثوليك (تقوم رجاسة الخراب وإلى الفناء المقضي ينصب غضب الله على الخراب) وقال المسيح عليه السلام كما في انجيل متى (٢٤ : ١٥ فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس إلخ) فكل ذلك يدل على أن المراد بما ذكر في نبوة دانيال هو حرب الرومان لليهود لا صلب المسيح الذي يدعى النصارى أنه أبطل به الذبيحة والتقدمة فانها لم تنته بعد صلبه بل كان اليهود يحافظون عليها حتى خرب الهيكل وأحرق فبطلت حينئذ على أننا لا ندري لماذا يبطل الصلب الذبيحة والتقدمة فان كانت تعمل قبله رمزا إليه فلماذا لا تعمل بعده للتذكير به ؟ فان قيل إنها بعد الصلب لم يبق لها فائدة في غفران الذنوب قلت وكذلك هي قبل الصلب كما يزعمون فان الغفران لم يكن حينئذ لأجلها بل لأجل الصلب المنتظر كما يدعون (راجع مقالة القرابين والضحايا)

و بعد حرب سنة ٧٠ بمدة قليلة عاد اليهود الى أورشليم و بنوا وشيدوا ولا يبعد أنهم أقاموا محرقات في الهيكل وإن كان خربا كما أقامها الذين أتوا من بابل

يموت أو يقتله أعداؤه كما سبق فعمره كان ٦٢ سنة فقط وقوله (وليس له) (١) معناه ليس له ولد أو ليس له وارث فانه لم يعين عليهم أحد بعده واليا وكان نحميا من الاشراف ومن بيت داود ومع ذلك لم يذكر في الكتاب المقدس أنه كان له أولاد فهذه العبارة تشبه قوله في سفر التكوين ٣٨ : ٩ (فعلم أونان أن النسل لا يكون له) ويحتمل أنه سقط من الكاتب خطأ لفظ (ولد) وكان الاصل (وليس له ولد) وأمثلة سقوط كثير من الالفاظ من الكتاب المقدس كثيرة تراجع في كتاب إظهار الحق في فصل اثبات التحريف بالنقصان . ولنا أن نقول فيها أيضا نحو مايقول النصارى أن نحميا قتله أعداؤه الكثيرون بعد أن فكروا في ذلك كما يفهم من سفره (اصحاح ٦ : ١٠ ـ ١٤) ولم يقتل لاجل نفسه أي في سبيل مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية بل قتل في سبيل المصلحة العامة ونفع الامة فلم يكن أعداؤه ينقمون منه سعيه في سبيل نفع نفسه بل سعيه في نفع أمته وتقويتها والمحافظة عليها و بناء سور أورشليم وتحصينها ضد أعدائها فهو قتل لامته ولم يكن قتله لاجل نفسه أي لتحصيل منفعة خاصة به، و بعد موت نحميا كان اليهود حصلوا على شيء مما فقدوه من القوة ولكنهم بقوا في بلادهم خاضعين للاجانب الازمنا يسيرا الى أن حاربهم (تيطس) الروماني سنة ٧٠ بعد الميلاد ولذلك قال (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة والى النهاية حرب وخرب قضي بها) وقد خرب القدس (تيطس) وقتل منهم الالوف كما قال (ويثبت عهدا مع كثيرين في أسبوع واحد) وفي الترجمة الانكليزية (لاسبوع واحد) والمراد بالاسبوع هنا أسبوع سنين لانه ذكر في مقام القضاء والجزاء والمعنى كما قال علماء اليهود أن تيطس طلب منهم أن يسالموه ويقطعوا معه عهدا ولا يأخذ منهم خراجا المدة سبع سنين فخرج إليه كثير من كبراء اليهود فأمنهم وكان ينصحهم بعدم العصيان وأظهر لهم أنه لا يريد تخريب الهيكل ، ولما علم العصاة منهم بخروج

(١) حاشية قال أرميا في مراثيه ٥ : ٧ (آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين) ومن وضع بعض كلمات هذه العبارة في الترجمة الانكليزية بأحرف ايطالية (Italic) يفهم أن الاصل العبري كان (آباؤنا أخطأوا ليسوا) فالظاهر أن الايجاز في العبرية يكون بحذف بعض كلمات تفهم من المقام كما هو في العربية في نحو قوله تعالى (فأرسلون ، يوسف أيها الصديق) ويوجد لذلك أمثلة أخرى كثيرة في اللغتين وفي القرآن وفي كتبهم المقدسة

السنة كان قد مات المسيح لان عمره كان ٣٣ سنة وعلى القول الثاني تكون نهاية السبعين الاسبوع سنة ٣٦ ميلادية وهي بعد موت المسيح بثلاث سنين

(٤) قوله (من خروج الامر إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون اسبوعا) قال فيه صاحب كتاب الهدايه إنه فصل السبعة الأسابيع وحدها لانها مدة بناء أورشليم وهو خطأ لان سور أورشليم تم في ٥٢ يوما (نح ص ٦ : ١٥) ولم يبن نحميا غيره كما هو ظاهر من كتابه

(٥) قول دانيال (يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة) صريح في أن المراد بالمسيح هنا هو نحميا فقد حصل ذلك في زمنه لا في زمن المسيح بن مريم عليهما السلام

(٦) قوله (وبعد ٦٢ اسبوعا يقطع المسيح) لا يفهم أيضا معناه على قولهم لان عيسى لم يقطع بعد مجيئه باثنين وستين اسبوعا وتفسيرهم لها في غاية الركاكة والتعسف كما لا يخفى على من نظر كتبهم

(٧) قوله (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس الى قوله ويثبت عهدا مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة الخ) صريح فيما ذهبنا اليه وفي حمله على المسيح عيسى عليه السلام تفكيك للعبارة وقلب لجملها بالتقديم والتأخير ومع ذلك فالمسيح لم يبطل الذبيحة والتقدمة كما بينا ولم يثبت عهدا مع كثيرين لأسبوع أوفي أسبوع لان مدة نبوته كانت ثلاث سنين فقط

(٨) من تأمل في هذا الاصحاح كله علم أن دانيال كان يطلب من الله أن يرأف بأورشليم ويرحم أمته فجاءه جواب جبريل على قولنا بأنها ستعمر من تاريخ صدور الامر الى حين تخريب الرومان لها وفي هذه المدة يعين نحميا (وهو المسيح الرئيس) فيحصنها ويبني سورها ، وبعد تمام تخريب الرومان لها تمكث سبعين أسبوعا على تلك الحالة ثم يأتي البر الابدي لامته ويغفر ذنبها ويمسح قدوس القديسين (محمد) وهو الذي تعيد أمته لها العمران والمجد وأما على قول النصارى فيكون جواب جبريل لدانيال أن مدينتك ستمكث سبعين أسبوعا وبعدها تخرب خرابا أبديا فأي الجوابين هو الانسب لطلب دانيال ودعائه وصلواته ؟ وقوله ان

قبل بنائهم للهيكل الذي كان أحرقه بختنصر وخربه كما في سفر عزرا (٣ : ٦) ولكن بعد حرب سنة ١٣٢ محيت مدينتهم وتشتتوا في الأرض ومنعهم الرومان من الاقتراب من أورشليم وبعد سبعين أسبوعا قضيت عليهم وعلى مدينتهم جاء الاسلام فبنى بيت المقدس وأمن اليهود من ظلم المسيحيين وايذائهم لهم، وانصب غضب الله على المخرب (دولة الرومان) فأزال ملكها المسلمون من الأرض المقدسة وغيرها

وفي قوله (وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها) إشارة إلى دوام الحرب مدة طويلة فانه بعد سنة ٧٠ أتى الرومان سنة ١٣٢ وأهلكوا اليهود وشتتوهم ومحوا مدينتهم محوا تاما

أما قول النصارى (إن السبعين الاسبوع) تبتدىء من صدور أمر أرتحشتا لنحميا بالرجوع إلى أورشليم لبناء سورها فغلط لعدة وجوه

(١) إن نص عبارة دانيال أن الأمر كان لبناء أورشليم وبناء السور ليس بناء لأورشليم فان أورشليم كانت بنيت قبل نحميا لان هيكلها بني وبنيت بيوت اليهود حوله للسكنى فيها ولم يبن نحميا سوى السور كما هو ظاهر من كتابه والدليل على أن البيوت كانت مبنية قوله في كتابه ٣ : ٢٨ (وما فوق باب الخيل رممه الكهنة كل واحد مقابل بيته) وفي هذا الأصحاح يذكر بيوتا أخرى فالبيوت كانت مبنية قبل مجيء نحميا ولذلك قال ١ : ٣ (وسور أورشليم متهدم وأبوابها محروقة بالنار) فهو أصلح السور فقط وأبوابه وأما قوله للملك ٢ : ٣ (والمدينة بيت مقابر آبائي خراب وأبوابها قد أكلتها النار) فالمراد به سورها وإنما أورده كذلك مبالغة ليرثي الملك له وليشفق عليه فيرده إليها

(٢) قوله (من خروج الامر لتجديد أورشليم) يشعر بأن هذا الامر يعلمه دانيال وهو الواقع كما بينا وعلى قول النصارى يكون حصل بعده وما كان يعلمه وهذا يخالف مفهوم عبارته

(٣) إنهم اختلفوا في تاريخ صدور هذا الامر فقال بعضهم إنه صدر من أرتحشتا لنحميا سنة ٤٤٤ أو سنة ٤٤٥ قبل الميلاد وقال آخرون سنة ٤٥٤ فعلى القول الاول تكون نهاية السبعين الاسبوع سنة ٤٦ بعد الميلاد أو سنة ٤٥ وفي هذه

وهو أسير ذليل ولما أخذوا لبابل مات كثير منهم ومن رجع من اولادهم كان منظره متغيرا ٥٣ : ٢ (نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة) وهذا إشارة لآبائهم الذين كانوا في التيه فأبناؤهم الذين حضروا الى الارض المقدسة نبتوا في الارض اليابسة كما قال أرميا النبي ٢ : ٦ (الذي أصعدنا من مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر في أرض يبوسة ٧ وأتيت بكم الى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها) وهذا لايفهم له معنى في حق المسيح عليه السلام ثم قال ٥٣ : ٢ (لاصورة له ولاجمال) فلما أتوا من التيه الى الشام كانت صورتهم متغيرة كتغيرها بعد أسر بابل من الذل والفقر والمشاق وغير ذلك ٥٣ : ٣ (محتقر ومخذول من الناس) لانهم كانوا أسرى أذلاء ضعفاء وقوله ٦ (والرب وضع عليه اثم جميعنا ٧ ظلم أما هو فتذلل) يفسره قول النبي أرميا الذي شاهد بنفسه حادثة أسرهم الى بابل فقال في مراثيه ٥ : ٧ (آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم ٨ عبيد حكموا علينا . ليس من يخلص من أيديهم ١٠ جلودنا اسودت كتنور من جري نيران الجوع) وهذا كقول أشعيا فيما سبق (لاصورة له ولاجمال) الخ

وقوله ظلم هو كقوله في الاصحاح الذي قبله ٥٢ : ٤ (ثم ظلمه أشور بلا سبب) وكقول الله لارميا ٥٠ : ٣٣ (ان بني اسرائيل وبني يهوذا معا مظلومون) وقوله (كشاة تساق الى الذبح) (١) معناه أن ملك بابل ساقهم وهم أسرى كما تساق الشاة الى الذبح وقدمات أكثرهم هناك من الاضطهاد والجوع والتعب والتعذيب والقتل وغيره مما حل بهم ثم قال ٥٣ : ٨ (وفي جيله من كان يظن انه قطع من أرض الاحياء انه ضرب من أجل ذنب شعبي) وقد سبق تفسير ذلك من مراثي أرميا ٩ (وجعل مع الاشرار قبره ومع غني) لانهم كانوا يدفنون مع الوثنيين وهم أغنياء في بابل مدة سبعين سنة وأما المسيح فدفن وحده في قبر جديد في بستان لم يدفن فيه أحد قبله (يو ١٩ : ٤١) ولم يكن معه أحد من الاشرار ولا من الاغنياء كما قال أشعياء عن

---

(١) هذا التعبير ليس خاصا بالمسيح كما يزعم بعضهم فانه ورد مثله في الكتاب المقدس في مقامات أخرى لايمكنهم فيها ادعاء أنها إشارة الى المسيح كقول الله لارميا (٥١ : ٤٠) في أهل بابل (أنزلهم كخراف للذبح وككباش مع أعتدة)

السبعين الاسبوع قضيت عليهم يشعر بأنها أسابيع عذاب وخراب كما هو قولنا لأسابيع راحة وعمران كما هو مقتضى قول النصارى . والخلاصة أن تفسير النصارى لعبارة دانيال ركيك ومتكلف فيه وغلط وفيه من التعسف والخلط والخبط ما لا يخفى على بصير

(برهانهم الثاني) قالوا ان أشعيا النبي أخبر بحادثة الصلب وبحمل المسيح ذنوب الناس وبتقديم نفسه كفارة عنهم وذلك حسبما ورد في الاصحاح الثالث والخمسين من سفره

ونقول ان هذا الاصحاح متصل بالاصحاح الثاني والخمسين الذي قبله وكلاهما في موضوع واحد لا علاقة له البتة بالمسيح عليه السلام وموضوعهما أسر بني اسرائيل الى بابل فهما نبوءة عن حصول الاسر وعن نجاة بني اسرائيل منه قال ٥٢ : ١ (استيقظي استيقظي البسي عزك يا صهيون البسي ثياب جمالك يا أورشليم ...... ٢ انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون ٣ فانه هكذا قال الرب مجانا بعتم وبلا فضة تفكون ٤ لانه هكذا قال السيد الرب الى مصر نزل شعبي أولا ليتغرب هناك ثم ظلمه أشور بلا سبب ٥ فالآن ماذا لي هنا يقول الرب حتى أخذ شعبي مجانا الى قوله ٨ .... عند رجوع الرب الى صهيون ٩ أشيدي ترنمي يا أورشليم لان الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم ١١ اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا شيئا نجسا اخرجوا من وسطها تطهروا يا حاملي آنية الرب ١٢ لانكم لا تخرجون بالعجلة ولا تذهبون هاربين لان الرب سائر أمامكم وإله اسرائيل يجمع ساقتكم ١٣ هوذا عبدي يعقل ويتعالى ويرتقي ويتسامى جدا) والمراد بالعبد هنا شعب إسرائيل فان الكتاب المقدس يتكلم عنه كثيرا كشخص مفرد فمن ذلك قوله في سفر أشعيا هذا ٤١ : ٨ (وأما أنت يا اسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل ابراهيم خليلي .... وقلت لك أنت عبدي اخترتك) وقوله ٤٣ : ١ (يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا اسرائيل ... ـ ٢ اذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الانهار فلا تغمرك ٣ لاني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فديتك)

ثم قال أشعيا ٥٢ : ١٤ (كما اندهش منك كثيرون . كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم) وذلك اشارة للشعب ولتشوهه في بلاد الغربة

من أجل ذنب شعبي) فان أصله العبري (ضربوا من أجل ذنب شعبي) بالجمع لان الكلام في بني إسرائيل ولكن أبى النصارى إلا أن يترجموها بالافراد ليحملوها على المسيح تحريفا منهم للكلام وكذلك قوله (أحصي مع أثمة) ينطبق على بني اسرائيل أكثر من انطباقه على المسيح فانهم عدوا في بابل مع الكفرة الوثنيين وأما المسيح فقالوا إن ذلك إشارة لصلبه مع اللصين وكذلك قال مرقس في إنجيله ١٥ : ٢٨ مع أن لوقا يقول ٢٣ : ٤٢ إن المسيح قال لاحد اللصين (إنك اليوم تكون معي في الفردوس) فكيف يكون هذا آثما ؟ فحينئذ لم يكن معه سوى آثم واحد فقط ولكن أشعياء يقول (وأحصي مع أثمة) فلذا قلنا إنه أظهر في قولنا منه في قولهم. على أن صلب اللصين عجيب غريب لان شريعة موسى لا توجب القتل على السارق إلا إذا سرق إنسانا ولا توجب عليه الصلب وإنما يعلق على الخشبة بعد موته (راجع خر ٢١ : ١٦ و٢٢ : ١ وكذا تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣) والشريعة الرومانية لا يوجد فيها الصلب للصوص وهم أحياء بل كان الجلد عندهم عقاب السارق فكيف صلب هذان اللصان وهما حيان ؟ وعلى أي شريعة كان ذلك ؟؟ وكيف يجمع بين قول انجيل مرقس ١٥ : ٣٢ ان اللصين كانا يعيران المسيح وقول لوقا ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٣ إن الذي عيره واحد منهما ؟ فان قيل إنهما عيراه في اول الامر ثم تاب أحدهما . قلت هذا تلفيق واختراع لم يرد في الانجيل ما يشير إليه بل يفهم منه خلافه

وجملة القول ان الاصحاح الثاني والخمسين والثالث والخمسين لا علاقة لهما بالمسيح مطلقا وهما مختصان بشعب اسرائيل . وما في الاصحاح الثالث والخمسين من التعبيرات والافكار المتعلقة بالفداء وحمل الآثام وعقاب البريء بذنب المذنب حمله اليهود المتنصرون في مبدإ المسيحية كبولس وأضرابه الى دياناتهم الجديدة فأدخلوا فيها هذه العبارات والافكار وطبقوها على المسيح ثم توسعوا فيها شيئا فشيئا حتى وصلت عقائدهم الى ما نعرفه عنهم اليوم ومما ساعد على انتشارها بين الناس وجود أمثالها عند الأمم الوثنية من قديم الأزمان كما أثبته صاحب كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فأفكار اليهود في الخلاص من مصر ومن بابل تحورت في المسيحية وولدت عقائد الصلب والخلاص والفداء فيها وبعد

بني اسرائيل مدة أسرهم هـذه ١٠ (أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن) وصحة الترجمة أراد وفي نسخة الكاثوليك (رضي أن يسحقه بالعاهات أن جعل نفسه ذبيحة إثم) والنص العبري هكذا (أراد الرب أن يضر به بالحزن لانه جعل نفسه آثما) وهذا مثل ما سبق في مراثي أرميا وقال أشعياء أيضا ٥١ : ١٩ (اثنان هما ملاقياك «وذلك خطابا لأورشليم» من يرثي لك؟ الخراب والانسحاق والجوع والسيف . بمن أعزيك؟ ٢٠ بنوك أعيوا اضطجعوا في رأس كل زقاق) وقد لاقوا كل ذلك من ملك بابل فخرب أورشليم ومات منهم كثيرون بالقتـل والجوع وغيرهما . ثم قال ١٠ (يرى نسلا تطول أيامه) إشارة لرجوعهم الى وطنهم وتناسلهم فيه . وأما المسيح فلم يكن له نسل حتى تصح هذه العبارة فيه

ثم قال (وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين . وآثامهم هو يحملها) وقد حصل ذلك فأضطهد البار منهم وعذب وأسر بسبب ذنب الاشرار منهم . قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أي تعم الصالح والطالح ويؤخذ البريء بذنب المذنب في مثل هذه الاحوال . ويصح ان يكون المراد أن الشرير منهم إذا أطاع الصالح وتاب واستقام تمحى ذنوبه فكأن الصالح حملها ورفعها عن عاتقه أي أزالها عنه بهدايته له . ثم إن الله تعالى في مثل هـذه الاحوال ينجي الاشرار ولا يهلكهم إلا لأجل إكراما للابرياء الذين ظلموا معهم وأخذوا بذنبهم فـكأنهم حملوا آثامهم عنهم وقد قال في أرميا ٥٠ : ٣٣ (إن بني اسرائيل و بني يهوذا مظلومون وكل الذين سبوهم أمسكوهم) وقال أيضا ار ٣٣ : ٧ (وأرد سبي يهوذا وسبي اسرائيل . . . . ـ ٨ وأطهرهم من كل إثمهم وأغفر كل ذنوبهم) وقال أر ٥٠ : ٢٠ (في تلك الايام يطلب إثم اسرائيل فلا يكون وخطية يهوذا فلا توجـد لأني أغفر لمن أبقيه) فأسرهم إلى بابل وهم مظلومون طهرهم من الذنوب والآثام فحملت عنهم وغفرت كلها والحامل لها هم المأسورون المسبيون . وقوله ١٢ (وهو حمـل خطية كثيرين وشفع في المـذنبين) صحة ترجمتـه (وللعصاة يدعو) أي يدعو الله لهم بالتوبة والهداية . فالـكلام كله في شعب إسرائيل ولا علاقة له بالمسيح عليه السلام ومما يؤيد ذلك قوله فيما سبق (ضرب

يلبس شيئا فاخرا لتقشفه وزهده ولا يعقل أن الولاة أعطوه وهو محكوم عليه لباسا نفيسا حتى تهتم العساكر بقسمته بينهم ولكن النصارى كما قال السيد جمال الدين (فصلوا ثوبا من العهد العتيق وألبسوه للمسيح) فضلوا وأضلوا هداهم الله

واذا ترجمنا عبارة داود هكذا (ثقبوا يديّ ورجليّ) كما يترجمونها كان المعنى أنهم أتلفوهما وهو كناية عن تعطيل جميع قواه وقهره واذلاله بسبي نسائه ونساء رجاله وبنيهم وأخذهم الغنائم الكثيرة منهم (١صمو ٣٠ : ٣ و١٩) ألا ترى إلى قوله في نفس هذا المزمور ٢٢ : ١٤ (كالماء انسكبت . انفصلت كل عظامي . صار قلبي كالشمع . قد ذاب في وسط أمعائي) إلخ فهل هذه الاشياء وقعت بالفعل ؟ وهل انفصلت عظام داود أو المسيح حقيقة وذاب قلبهما ؟ أم كل هذا كنايات كقوله (ثقبوا يديّ ورجليّ) وكان داود يدعو الله أن ينصره على أعدائه ويخذلهم وينجيه من تعيير رجاله له ورغبتهم في رجمه . وقد كان ذلك كله فنصره الله عليهم وقتلهم واسترد منهم جميع ما أخذوه كما سبق (١ صمو ٣٠ : ١٧ – ١٩)

وأمثال هذه الكنايات كثيرة في المزامير وغيرها راجع مثلا قوله مز ٣ : ٧ (قم يارب . خلصني يا إلهي . لانك ضربت كل أعدائي على الفك . هشمت أسنان الاشرار) ومزمور ١٨ و٣٥

أما المسيح عليه السلام فلم ينجه الله تعالى على قولهم من يد أعدائه بل أخذوه وعذبوه وصلبوه وقتلوه مع أن مقتضى المزمور الذي نحن بصدده أن الله استجاب دعاء داود ونجاه من أعدائه ومن الكرب الذي كان فيه (انظر عدد ٢٤ منه) فكيف اذا ينطبق هذا على المسيح ؟!

(برهانهم الرابع) ما ورد في الأصحاح الثاني عشر والثالث عشر من سفر زكريا . إعلم أن الاصحاح الثاني عشر هو نبوءة عن يهوذا المكابي وملخص قصته كما في التواريخ المسيحية وكما في سفر المكابيين المقدس عند الكاثوليك وعند الأورثدكس أن ثلاثة من الكهنة الاشرار منهم واحد يسمى (الكميس)

أن كانت هذه العقائد في مبدإ المسيحية صغيرة كما في الاناجيل فان مؤلفيها كانوا يفهمون أن المسيح يخلص شعبه من خطاياهم (متى ١ : ٢١) شبت ونمت حتى وصلت الى ماوصلت اليه في رسائل بولس (راجع مثلا الاصحاح الخامس من رسالته الى أهل رومية) وصار الخلاص لجميع البشر من ذنب أبيهم آدم ولم يقل ذلك المسيح ولا مؤلفوا الاناجيل ثم توسعوا في هذه الافكار وهذه الخيالات حتى وصلت الى ماوصلت اليه اليوم مما نسمعه منهم ونقرأه في كتبهم التي صدعوا رؤوس العالم بها لاعجابهم بهذه العقائد التي لاتروق إلا لهم ولا تعجب الا عقولهم

(برهانهم الثالث) المزمور الثاني والعشرون وخصوصا قول داود عليه السلام فيه ١٢ (أحاطت بي ثيران كثيرة . أقوياء باشان اكتنفتني الى قوله ١٦ ثقبوا يدي ورجلي ١٧ أحصى كل عظامي . وهم ينظرون ويتفرسون في ١٨ يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) وفي النسخة العبرية بدل (ثقبوا يدي ورجلي) قوله (كأسد يدي ورجلي) ولذلك قال البروتستنت ان الكلمة المترجمة هنا (ثقبوا) يراد بها أيضا كأسد . والسيد داود عليه السلام يشير في هذا المزمور الى حادثة وقعت له وهي مذكورة في سفر صموئيل الاول (إصحاح ٢٩ و ٣٠) وكانت هذه الحادثة مع العمالقة في صقلغ وكان معه من بني اسرائيل جماعة ومنهم من أرضهم في باشان وهم الذين هموا برجمه لما سبيت نساؤهم وأولادهم (اصمو ٣٠ : ٤-٦) وقد سبيت امرأتاه أيضا فبكى هو ومن معه بكاء مرا ولكنه تشدد بالرب إلهه ودعاه بهذا المزمور فقوله (أقوياء باشان اكتنفتني) هم الذين كانوا معه من بني جاد ومن بني منسى لان أرضهم في باشان وهم الذين قالوا برجمه وقد سماهم ثيران (مز ٢٢ : ١٢) وقوله بعد ذلك (جماعة من الاشرار اكتنفتني) هم العمالقة الذين سبوا زوجتيه ولا بد أنهم أخذوا ملابسه معهم أيضا ولذلك قال ١٨ (يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) وقوله (كأسد يدي ورجلي) اشارة لشجاعته وشدته وقد نصره الله على العمالقة واسترد منهم كل ماأخذوه . فأي علاقة لهذا بالمسيح ؟ نعم انهم اخترعوا له أشياء تشبه بعض ماذكر في هذه الحادثة ليطبقوها عليه فقالوا ان العساكر اقتسمت ثيابه يوحنا (١٩ : ٢٣ و ٢٤) مع ان المسيح ما كان

طعنوه و ينوحون عليه كنائح على وحيد له ١١ في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) وصحة الترجمة (و يسلمون الي " « أمر » الذي طعنوا) بدون هاء الضمير وذلك أن الذين كانوا مع يهوذا المكابي تركوه خوفا من جيش العدو ولم يبق منهم إلا قليل هربوا أيضا حينما قتل وسلموا أمره إلى الله و إنما نسب الطعن إليهم لانهم تسببوا فيه بفرارهم من حوله . وايضا الان الجيش الذي طعنه كان فيه كثير من اليهود مع (الكيمس) الذي كان يرغب أن يكون كاهنا أعظم وأتى بجيش الملك لمحاربة يهوذا معه. وعلى فرض صحة ترجمة البروتستنت وأن المعنى (فينظرون إلي " أنا الذي طعنوه) فالذي طعنوه هو (يهوذا) و إنما أسند النظر والطعن إلى الله تعالى على حد قول الانجيل (متى ٢٥ : ٣٥ لاني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني) إلى قوله ٤٠ (بما انكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم) وقوله تعالى في القرآن الشريف (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) ولما كان يهوذا المكابي هذا مرضيا عند الله ومحبوبا وأعماله إنما هي لله ـ نسب تعالى طعن أعدائه له لنفسه تعالى كما نسب جوع الفقراء وعطشهم له . وقد أشار دانيال (كما قالوا) في آخر سفره لحوادث يهوذا المكابي هذا (دا ١٢:١٢)

هذا وقول زكريا (و ينوحون عليه كنائح على وحيد له ١١ في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) الى قوله ١٤ (كل العشائر الباقية عشيرة عشيرة على حدتها) يؤيد تفسيرنا هذا وأنه في حق يهوذا لا في حق المسيح فان الذين طعنوه وهم عسكر الرومان (يو ١٩ : ٣٤) لم ينوحوا عليه في ذلك اليوم ولا عشائر اليهود الذين تسببوا في صلبه. أما يهوذا فقد ناحوا عليه كثيرا كما تقدم في سفر المكابيين ، و يؤيد قولنا أيضا قوله قبل هذا ١٢ : ٢ (وأيضا على يهوذا تكون في حصار أورشليم) فانه لا ينطبق على المسيح فان أورشليم لم تكن محاصرة بجيوش حينما كان المسيح عليه السلام فيها ولم يكن ثم حرب .

ثم قال زكريا في الاصحاح الثالث عشر ١٣ : ١ (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود و لسكان أورشليم للخطية وللنجاسة) الى قوله (اضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يدي على الصغار) فالمراد بالراعي هنا (يوناثان) أخو يهوذا المكابي الذي تولى بعده .

جمعوا حولهم نفرا من قومهم اليهود وذهبوا إلى انتيوخس ملك سوريا اليوناني ووشوا إليه بالآخرين من أمتهم وحرضوه عليهم فانقاد الملك لرأيهم وسار إلى أورشليم وسلب ما في الهيكل فهرب من بقي في المدينة وولى على اليهود واحدا من قواده وأمره أن يطلب من اليهود أن يسجدوا لأصنامه وأن يأكلوا لحم الخنزير وأن يتركوا الختان وكان يقتل كل من لم يقبل ذلك وكان أكثرهم طاعة الكهنة الثلاثة المذكورون سابقا وحزبهم فتسلطوا على اخوانهم الذين لم يطيعوا وفي سنة ١٦٦ قبل الميلاد قام كاهن من اليهود الصالحين رئيسا عليهم فقتل أحد عساكر الملك وهو يهودي منافق وقتل القائد أيضا فقويت بذلك قلوب اليهود

ولما توفي خلفه ابنه (يهوذا) فالتف حوله جمع عظيم وحارب جيش الملك فهزمه، وأراد الملك أن يأتي بنفسه اليه ولكنه مات في الطريق، ولما فرغ يهوذا من محاربة اليونان دخل أورشليم وأزال الأوثان وطهر البيت وبنى مذبحا جديدا ثم قتل بعد ذلك في بعض وقائعه مع اليونان وكان في جيش عدوه (الكميس) وكثير من منافقي اليهود فبكاه شعب إسرائيل بكاءً عظيما وتولى أخوه يوناثان بعده (راجع الفصل ٩ من سفر المكابيين الاول عدد ٢٠) فلذا قال زكريا في كتابه ١٢ : ٢ (هانذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها وأيضا على يهوذا تكون في حصار أورشليم). (وفي نسخة الكاثوليك ويهوذا أيضا تكون في الحصار على أورشليم) إلى قوله ٣ (يجتمع عليها كل أمم الارض) أي الشعوب التي حولها فلا يدل هذا على التعميم كما يقولون هم في مثل قول لوقا ٢ : ١ (وفي تلك الايام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة) أي الارض التابعة للرومان فقط وفي قول التكوين ٤١ : ٥٦ (وكان جوع على كل وجه الارض ٥٧ وجاءت كل الارض إلى مصر) وكذا قوله تك ٧ : ١٩ (فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء) إلى قوله ٢٣ (فمحى الله كل قائم كان على وجه الارض) ثم قال زكريا ١٢ : ٤ (في ذلك اليوم أضرب كل فرس بالحيرة وراكبه بالجنون ٦ في ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح ٧ ويخلص الرب خيام يهوذا ١٠ وأفيض على بيت دواد وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إليَّ الذي

على عبارات العهد القديم ليوهموا الناس أن الانبياء السابقين أخبروا بجميع أحوال المسيح حتى موته وصلبه وألوهيته المزعومة وفي هذه العبارة كما في غيرها لم يحسنوا التلفيق فأخطأوا وذكروا اسم أرميا وكان الاولى أن يحسنوا السبك ويذكروا زكريا بدله وان كان كل من العبارتين مختلفا لفظا ومعنى •

(برهانهم السادس) جاء في سفر الاعمال ٢: ٣١ أن داود أنبأ عن قيامة المسيح (من الموت بعد الصلب) بقوله (انه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فسادا) يشير بذلك كاتب هذا السفر الى المزمور السادس عشر الذي قال فيه داود عليه السلام ١٦ : ٩ (لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي . جسدي أيضا يسكن مطمئنا ١٠ لانك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تقيك يرى فسادا ١١ تعرفني سبيل الحياة ــ الى قوله ــ في يمينك نعم الى الابد) وظاهر أن داود في هذا المزمور يتكلم عن نفسه . ولفظ (الهاوية) هنا أصله العبري (شأول) وهو اسم علم لدار الموتى سواء كانوا في سعادة أو في شقاء ولذلك قال يعقوب لبنيه حينما أرادوا أخذ بنيامين منه تك ٤٢ : ٣٨ (إن أصابته أذية في الطريق تنزلون شيبتي بحزن الى الهاوية)

وعليه فمعنى هذا المزمور أن جسد داود يسكن بعد الموت مطمئنا لانه يعلم أن الله لن يتركه ميتا الى الابد بل سيرد روحه اليه من عالم الارواح (شأول) ويبعثه يوم القيامة للحياة الباقية فيخرجه من دار الموتى الى نعيم الجنة

وأما قوله (لن تدع تقيك يرى فسادا . تعرفني سبيل الحياة) فالكلمة المترجمة هنا (بفساد) تفيد ايضا معنى (القبر) والمراد بها المعنى المجازي أي مكان الموت المعنوي وهو البعد عن الله فكأنه قال (إنك لن تدعني يا الله أرى مكان الموتى وهم الضالون الاشرار بل ستهديني إلى معرفتك التي بها الحياة الأبدية وتعصمني من الاقتراب منهم) فلهذا ولاعتقادي بالبعث والنشور أراني مطمئنا وسيسكن جسدي بعد موتي مستريحا واثقا بوعدك لي بالنعيم الخالد فلذا أحمدك وأشكرك لأنك نجيتني من الموت (الموت الادبي الروحاني) وذلك مثل قوله في مزمور آخر ٥٦ : ١٣ (لانك نجيت نفسي من الموت . نعم ورجلي من الزلق

ولما قتل يهوذا دخل جيش الملك ومعه اليهود المنافقون ونجسوا المدينة وكان رئيسهم (الكميس) فظلم اليهود الصالحين وأمر بهدم حائط بيت المقدس فلذلك قال (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطيئة والنجاسة) ثم أصيب (الكميس) بفالج ومات فرحل الجيش وتولى يوناثان أخو يهوذا ودخل المدينة وطهرها وأزال عبادة الاصنام كما قال زكريا ١٣ : ٢ (إني أقطع أسماء الاصنام من الارض) ثم قتله قائد يسمى (تريفون) بالخديعة وأخذ من أخيه (سمعان) مئة قنطار من الفضة وولدي (يوناثان) أيضا كما في سفر المكابيين ولما قتل تشتت جيشه وحصل لليهود رعب شديد وفزع ثم جمعهم (سمعان) أخوه وشجعهم واستأصل كل اثيم شرير من اليهود المنافقين (مكابيين أول ١٤ : ١٤) وانتهت عبادة الاصنام من بينهم فهذا هو معنى قول زكريا (استيقظ ياسيف على راعيّ . . . . . إضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يديّ على الصغار ولدي (يوناثان) ويكون في كل الارض (أي أرض إسرائيل) أن الثلثين منها يقطعان (وهم الاشرار الذين قتلهم سمعان) ويموتان والثلث يبقى فيها) وبعد سمعان لم تعد اليهود لعبادة الاصنام فلذلك قال في آخر هذا الاصحاح (زك ١٣ : ٩) هو (أي شعب اسرائيل) يدعو باسمي وأنا أجيبه . أقول هو شعبي وهو يقول الرب إلهي) فهذان الاصحاحان لاعلاقة لهما بالمسيح عليه السلام البتة ولا ينطبقان عليه . وهل المسيح كان له ولدان فأسرا حتى يقول (وأرد يدي على الصغار) ؟ وهل مات بالسيف مع أنه ماضرب بالحربة إلا بعد موته ؟ (يو ١٩ : ٣٣ و ٣٤) فما بالهم يريدون أن يجعلوا كل شيء رمزا لدينهم ولو بالقوة وان خالفوا اللغة والتاريخ والعلم والعقل والدين ؟!

(برهانهم الخامس) قال متى في انجيله ٢٧ : ٩ (حينئذ تم ماقيل بأرميا النبي القائل واخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني اسرائيل) فادعى متى وادعوا تبعا له أن الانبياء أخبروا أن المسيح سيباع بثلاثين من الفضة وهذه النبوءة لايوجد لها أثر في كتب العهد العتيق الاهم إلا في كتاب زكريا (لا أرميا) فانه يوجد بعض ألفاظ تشبه هذه العبارة (١١ : ١٢ و ١٣) ولكن لاعلاقة لها بالمسيح وإنما النصارى كما قلنا مرارا يخترعون من الحوادث للمسيح مايمكنهم أن يطبقوه

﴿ الفصل الثاني ﴾

« في ابطال ما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح من العهد القديم »

نبدأ هذا الفصل بالمقدمة الآتية ثم نتبعها بالكلام على شواهدهم التي يتمسكون بها من العهد القديم

المقدمة — لا يخفى أن اليهود من عهد موسى عليه السلام الى زمن المسيح كانوا دائما يميلون الى الوثنية مع ظهور آيات الله تعالى لهم العظيمة ومع كثرة أنبيائهم وشدة نهيهم لهم عن الشرك وعبادة غير الله نراهم كثيرا ما ارتدوا وعبدوا الاصنام وقربوا قرابينهم لمولك ولعشتورث ولكموش (١ مل ١١ : ٣٣) (١) وسجدوا لها وعبدوا في زمن موسى العجل الذهبي وغير ذلك كما تشهد به كتبهم . ولعل منشأ حب الوثنية في قلوبهم وجودهم أزمنة طويلة بين الوثنيين الذين كانوا في كثير من الاوقات سادات لهم في مصر وبابل والذين تغلبوا عليهم في أرض كنعان والمغلوب يميل عادة لتقليد غالبه ويعجب بما عنده من مظاهر الأبهة والعظمة والجمال . فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس (اليهود) الذين أشربوا في قلوبهم حب الوثنية من قديم الازمان أن يقولوا في مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ويظنون أنه سيكون ملكا عظيما ينصرهم على جميع الامم ويخلصهم من ظلم أعدائهم ومن سلطانهم عليهم ويجعلهم سادة الارض ويكون دينهم أبديا كما قالوا في الختان (تك ١٧ : ١٣) وفي مواسمهم وقرابينهم (راجع الاصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين) وكما قالوا في ملك سليمان إنه باق الى الابد (٢) (٢ صم ٧ :

(١) مولك اسم اله للعمونيين، وكان من نحاس جالسا على عرش من نحاس وعشتورث الهة الصيدونيين وكموش اله المؤابيين

(٢) حاشية يقول النصارى ان ذلك اشارة الى المسيح عليه السلام لانه أتى من نسل سليمان . ونقول ان من راجع نسب المسيح عليه السلام كما في انجيل لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٨ اتضح له أن المسيح من نسل ناثان بن داود لا من نسل سليمان فكيف يكون هو المراد بتلك العبارة ؟ وقد قالوا لرفع الخلاف الذي بين متى ولوقا في نسب المسيح أن ما ذكره لوقا هو نسب أمه مريم عليها السلام فهو نسبه الحقيقي أما ما ذكره متى فهو نسب يوسف النجار ولا يخفى أن يوسف ليس بأب المسيح وعليه فلا يكون المسيح عليه السلام من نسل سليمان الا بالادعاء من غير

لكي أسير قدام الله في نور الاحياء (أو الحياة) فالبعد عن الله هو الموت وهو الموصل للقبر ومعرفته تعالى هي الحياة الباقية . قال المسيح عليه السلام يو ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) وقال يو ١١ : ٢٦ (كل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الابد) وقال أيضا يو ٦ : ٤٧ (من يؤمن بي فله حياة أبدية) فهذه الاقوال كلها هي كقول داود (لن تدع تقيك يرى فسادا (أو قبرا) . تعرفني سبيل الحياة) إذ أن من عرف الله وآمن به واتقاه لا يرى الفساد ولا الشر وينجو من الموت النفساني ويبتعد عن مأوى الاشرار الفجار الذين ماتت نفوسهم فيحيا إلى الابد (كما قال المسيح عليه السلام) حياة طيبة مع الاطهار الابرار بعيدا عن مواطن السوء والشر والفساد (راجع أيضا متى ٦ : ١٣ ويو ١٧ : ١٥) قال الله تعالى في القرآن الشريف (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟)

أما اذا أصر النصارى على أن المراد بعبارة داود هذه الحقيقة لا المجاز وترجمت هكذا (لن تدع تقيك يرى قبرا) كانت منافية لقوله قبلها مز ١٦ : ٩ (جسدي أيضا يسكن مطمئنا) أي في القبر فان ذلك يعين أن ما جاء بعد من عدم رؤية القبر يراد به قبر موتى النفوس البعيدين عن الله (أي القبر المعنوي) فان المؤمن لا يموت أبدا وليس المراد القبر الحقيقي والا فان داود والمسيح عليهما السلام قد رأيا القبر ودفنا فيه وبقي المسيح فيه ثلاثة أيام ــ كما يقولون ــ ومن راجع المزامير كلها علم أن المجازات فيها ربما كانت أكثر من الحقيقة واني لاعجب لماذا يريد النصارى حمل كل ما جاء في العهد القديم على المسيح ولو كان بعيدا عنه حتى مج الانسان سماع هذه الاستشهادات منهم ! ! لكنني أتذكر فأقول : انهم لو وجدوا لديهم دلائل غيرها لما تهافتوا عليها تهافت الظمآن على السراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئا

فهذه هي براهينهم على الصلب من العهد القديم وقد انهارت جميعها على أسسها . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

أي إن الله أب له كما هو أب لهم وإله له كما هو إله لهم إلى غير ذلك من أقواله الشريفة التي أبقاها الله تعالى في الاناجيل إلى اليوم حجة ناهضة على النصارى، ولكن الناس في زمنه وبعده أبوا إلا أن يعبدوه من دون الله وإن رفض تواضعا منه أن يسمى صالحا وأولوا جميع أقواله هذه وغيرها بالتعسف والتكلف البارد الذي نسمعه اليوم من النصارى في هذه الاقوال الصريحة . وأي كلام لا يمكن تأويله بمثل هذه التأويلات السخيفة ؟ !

فاليهود الذين تنصروا حملوا الى المسيحية وثنيتهم القديمة رغما عن جميع أقوال المسيح عليه السلام نفسه وتعاليمه وأولوها حتى أخرجوها عن معانيها الحقيقية الظاهرة منها ظهور الشمس في رابعة النهار

والذي يدلك على ميل اليهود في ذلك الوقت لهذه الافكار الوثنية قول يوسيفوس مؤرخهم الشهير في حق المسيح ما يأتي - إذا صح أن النصارى لم يحرفوا كلامه (كما حرفوا غيره) على ما يقول كثير من فلاسفة العلم في أوربا اليوم - قال يوسيفوس - مع انه ما كان يعتقد صدق المسيح عليه السلام - في تاريخه القديم كتاب ١٨ فصل ٣ رأس ٣ (ونحو هذا الوقت نشأ يسوع إنسان حكيم إذا صح أن ندعوه إنسانا لأنه عمل أمورا عجيبة وكان معلما الجماعة قبلوا الحق بسرور وصار له مصدقون كثيرون من اليهود واليونانيين) (١) فأنظر وتأمل ! وقد ساعد اليهود على هذه الافكار وجودهم في ذلك الوسط الوثني وسط الرومانيين ووسط الفلسفة اليونانية وغيرها وانتشار مثل هذه العقائد بين جميع الامم الاخرى

فحمل الذين تنصروا منهم في ذلك الزمن إلى دينهم الجديد أفكارهم القديمة في مسيحهم المنتظر وغلوهم فيه فقالوا إنه أفضل جميع المخلوقات وأنه خلق قبل العالمين (وهو بكر الخلائق) وأن الله خلق الخلق بواسطته وأنه صيره إلها مثله وأنه سيأتي ويدين الخلائق بدلا عن أبيه إلخ إلخ وهذه الافكار هي التي نقرؤها في الاناجيل المتأخرة (كانجيل يوحنا) وفي رسائل بولس أعظم اليهود المتنصرين في مبدإ المسيحية .

(١) راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب

١٢ ـ ١٦ وأخبار الايام الاول ٢٢ : ١٠) فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس الذين علمت ميلهم للوثنية وأوهامهم وخيالاتهم في ملكهم وأمتهم ودينهم أن يقولوا في مسيحهم هذا إنه أعظم المخلوقات وأن الله تعالى خلقه قبل كل شيء وبه عمل كل شيء وأنه صيره إلها وأن ملكه سيبقى إلى الابد وأنه سيدين الخلائق جميعا يوم القيامة الى غير ذلك من هذه الاحلام اللذيذة والخيالات الجميلة التي كانوا يقولون نحوها حينما يرتدون في معبوداتهم التي عبدوها مرارا من دون الله مع كثرة نهي موسى والانبياء لهم عن الشرك والوثنية (راجع الاصحاح الثالث عشر من سفر التثنية وغيره)

فلما جاء المسيح عليه الصلاة والسلام نمت هذه العقائد في قلوبهم وحاول كثير ممن آمن به عليه السلام عبادته فكان يحارب هذه الافكار بمثل قوله في انجيل متى ٧ : ٢٢ (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط . إذهبوا عني يا فاعلي الاثم) وقوله مر ١٣ : ٣٢ (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب) وقوله يو ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) وزجره لمن ناداه بقوله (أيها المعلم الصالح) فقال كما في متى ١٩ : ١٧ (لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله) وقوله مر ١٢ : ٢٩ (الرب إلهنا رب واحد) وقوله متى ٢٢ : ٤٠ (بهاتين الوصيتين (أي محبة الله ومحبة القريب) يتعلق الناموس كله والأنبياء) وتسمية نفسه في أكثر الاوقات (بابن الانسان) إشارة إلى أنه إنسان مثلهم وقوله يو ٢٠ : ١٧ (اني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)

= برهان وان كان يوسف النجار هذا من نسله كما في انجيل متى (١ : ٦) الا أن يوسف هو زوج مريم فقط وليس هو أبو المسيح عليه السلام ولا ندري لماذا ذكر لوقا الآباء الحقيقيين لبعض جدود مريم تارة والآباء الشرعيين كما يقولون للجدود الآخرين ؟ ولماذا لم يجر على طريقة واحدة حتى فيذكر اما الآباء الحقيقيين كلهم أو الاباء الشرعيين ؟ وهل وجود ابن حقيقي للاب الشرعي يسوغ اهمال لوقا ومتى لذكره مع ذكر لوقا لبعض من لا ولد حقيقيا له لهذا السبب كما يدعون لرفع تناقضهما واختلافهما العظيم ولم يخجلوا من هذا الاضطراب والتضارب !!!

خلق كل شيء ومن نوره (١) خلق كل شيء كما كانوا يقولون مثل ذلك في المسيح من قبل ولولا أن نصوص الاسلام أصرح وأكثر من نصوص غيره في التوحيد والتنزيه ـ ولولا ارتقاء البشر في زمنه عمن سبقهم في العقل والفكر لعبد محمد صلى الله عليه وسلم من دون الله كما عبد غيره من الانبياء والمصلحين وغيرهم ولدخل المسلمون في عين جحر الضب الذي دخله من قبلهم

وعليه فاذا وجد في كتب اليهود ألف نص ونص على ألوهية بعض البشر أو مساواتهم لله تعالى في الازلية لما قبل منهم ولعلمنا أنه مما أدخلوه في عقائدهم ومما أفسدوه في دينهم

ولما وجد اليهود أن النصارى يتمسكون به عليهم لاقناعهم بدينهم وبمسيحهم ترك اليهود هذه الافكار القديمة في المسيح المنتظر شيئا فشيئا حتى محيت من بينهم ثقريبا ونسيت من أفكارهم ولم يبق لها الا آثار قليلة في بعض كتبهم القديمة وهذه الآثار هي التي يريد النصارى إقناع المسلمين بها اليوم

على أنها غير صريحة وليست نصا في الموضوع ويمكن تأويلها بنفس أقوال كتبهم الاخرى بدون تكلف ولا تعسف كما يفعلون هم في أقوال المسيح عليه السلام في التوحيد والتنزيه

وإذا سألت النصارى : لماذا لم تذكر عقيدة التثليث والتجسد والفداء في كتب أنبياء بني اسرائيل صراحة ؟ أجابوك لعدم استعداد البشر لها في تلك الازمنة . ونقول قد أثبت العلماء الباحثون وجود مثل هذه العقائد تماما عند أكثر الامم الوثنية القديمة إن لم نقل كلها (راجع كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فهل وصل إليها الناس بالعقل أم بالوحي ؟ فان كان الاول فما عدم الاستعداد إذا ؟ وإن كان الثاني فلم أوحيت إلى الناس كافة ولم توح إلى شعب إسرائيل ـ شعب الله المختار المفضل على العالمين ؟ ! وما معنى هذا الاستعداد ؟ هل كان

(١) حاشية : قال ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) في الجزء الثاني صفحة ١٩٨ ان جميع هذه الاحاديث الواردة في خلق العالم من نور النبي (كلها كذب) ولا يخفى على أحد علم ابن تيمية في الحديث ـ

بل مؤسس المسيحية الحالية الحقيقي تأمل في الاصحاح الاول مثلا من رسالته الى العبرانيين وفي قوله فيها ١ : ٤ (صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم .) وفي رسالته الى أهل كولوسي (١: ١٥ ـ١٧) فالظاهر من أقوالهم في تلك الايام أنهم كانوا يعتقدون أن المسيح لم يكن مساويا لله تعالى في الدرجة والمقام والجوهر بل مخلوقا منه قبل جميع الخلق (أي بكر كل خليقة كما قال بولس) وأقل درجة منه تعالى وهو الذي وهبه كل شيء حتى جعله بارا و إلها للعالمين كما جعل موسى إلها لفرعون على ما يقول سفر الخروج (٧ : ١) فلم تكن عقائد ألوهيته الأصلية الأزلية ولا عقائد التثليث ناضجة في اذهانهم كما هي اليوم ولذلك لا تجد بيانا مفصلا شافيا لهذه العقائد في العهد الجديد

هذه هي أفكار اليهود القدماء التي أدخلوها في المسيحية وكانت نشأت فيهم قبل وجود عيسى عليه السلام بسنين لاجل مسيحهم الذي ينتظرونه . ثم شبت ونمت حتى بلغت أشُدها في زمن بولس وشابت وهرمت بعده فقال أكثرهم : إن المسيح مساو لله تعالى في الجوهر والمقام، وأنه هو هو ، وبقي الآخرون على عقائدهم القديمة في عدم المساواة وقام منهم فرق عديدة ورؤساء لهم كأريوس وغيره مؤيدين كلامهم بمثل قول بولس أفسس ١ : ١٧ ـ ٢٣ (كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان في معرفته ـ الى قوله ـ الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الاموات وأجلسه عن يمينه في السماويات ـ الى قوله ـ وأخضع كل شيء تحت قدميه واياه جعل رأسا فوق كل شيء للكنيسة) وقول بطرس أع ٢ : ٢٢ (يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون)

ولكن فاز الفريق الاقوى والاكثر على الفريق الاقل لميل النفوس الى الغلو والمبالغة ولانتشار الوثنية في العالم . وبقي الاقلون الذين لا يعتقدون في مساواة المسيح بالله إلى زمن الاسلام فراقهم وأعجبهم فدخلوا فيه أفواجا أفواجا واستمر فريق منهم في أوربة الى اليوم ولكنهم بثوا أيضا في نفوس بعض الغلاة من المسلمين شيئا من أفكارهم القديمة فجعلوا محمدا صلى الله عليه وسلم مخلوقا قبل كل شيء ولاجله

أخوك يكون نبيك) وورد في المزمور الثاني والثمانين ٦ (أنا قلت انكم آلهة و بنو العلي كلكم) ثم ان اللفظ المترجم بإله هنا في الاصل العبري يحتمل معنى (القوي أو الجبار) وفي النسخة اليونانية الاسكندرانيـة بمعنى القوي ولا وجود له هنا في النسخة السبعينية . ويقول اليهود الآن : ان المراد بهذه العبارة هو حزقيا ومعنى حزقيا (قوة الله) وهو من أعظم ملوك اليهود ومعدود بين الملوك الثلاثة الذين كانوا من أحسن ملوك يهوذا وهم يهوشافاط وحزقيا ويوشيا . ويقول المسلمون إن عبارة أشعيا هذه هي بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي جلس على كرسي داود في الأرض المقدسة للآن وهو أب أبدي للمؤمنين رئيس السلام لغير المعتـدين (راجع فصل البشائر) وعلامة ملكه على كتفيه وهي المسماة في كتب الحديث « بخاتم النبوة » واسمه (محمد) لم يكن معتادا بين العرب قبله وهو قوي منصور وجميع هـذه الصفات لا تنطبق على المسيح مثل انطباقها على محمد صلى الله عليهما وسلم

وقوله (يولد لنا ولد) معناه على هذا أنه يولد لهم ولد من اخوتهم بني اسماعيل فان أبناء العم هم أخوة ومن وُلد لنا فقد ولد لهم فكأن بني اسماعل و بني اسحاق أسرة واحدة أو أهل بيت واحد فاذا ولد لاحدهم ابن فهو مولود للجميع وأبو الكل ابراهيم عليه السلام (تك ١٧ : ٤ انظر أيضا عدد ٢٠: ١٤ وتث ٢ : ٤ وتك ١٦ : ١٢ و٢٥ : ١٨)

سلمنا جدلا أن هذه العبارة في حق المسيح عليه السلام وأن الناس ستدعوه (إلها قديرا) وقد وقع ذلك بالفعل فأي دليل فيها على صحة ألوهيته ؟ غاية الامر أن أشعياء عليه السلام قد أخبر بقدره وعظمته حتى أن الناس ستتخذه إلها وان لم يكن الها حقيقيا ولذلك قال (يولد لنا . ونعطى . ويدعى اسمه كذا ..... وغيرة رب الجنود تصنع هذا) فالمولود والمعطى (بالفتح) والذي صنعه رب الجنود لا يكون إلها وان دعاه الناس بهذا الاسم : فان قيل لماذا لم ينبه أشعياء بأ كثر من ذلك على عدم ألوهيته قلت ان المقام مقام تنبؤ واخبار بما سيحدث لا مقام تحذير من الوثنية فلذا اكتفى بما ذكر ولعله أن كتابه وسائر كتب العهد القديم قد حذرتهم

الناس غير قادرين على فهم هـذه العقائد ثم فهموها مع أنها ما فهمت قط ولن تفهم أبدا ! ! فان قالوا إنها أوقعت قديما كثيرا من الناس في الشرك الحقيقي فلذا لم توح إلى بنى إسرائيل : قلت وهل سلمت اليهود من الشرك والوثنية وهم الذين عبدوا كثيرا من آلهة الكفرة والمشركين مع صراحة التوحيد في كتبهم وكثرة نصوصه ؟ وهل سلم النصارى من الشرك والوثنية وفيهم من عبد مريم العذراء والصليب والقديسين والقديسات ؟ وهم جميعا إلى الآن يعبدون المسيح كله مع قول جمهورهم إنه إنسان كامل وإله كامل ومع ذلك يعبدون الثالوث المركب من الابن الحادث واللاهوت القديم الذي هو الآب والروح. وما الفرق بين عبادة الثلاثة على أنها أقانيم وبين عبادتها على أنها ثلاثة آلهة ؟ وما الفائدة من التوحيد إذا ؟؟

الحق أن جميع الامم القديمة قالوا بهذه العقيدة (الثالوث) للجمع بين التوحيد الذي أوحي إليهم من الله وبين الشرك الذي لم يمكنهم أن يتصوروا وجود إلـه للعالم بدونه لقصر عقولهم واستبعادهم أن يدبر هذا الكون العظيم إلـه واحد ، ومثل هـذا السبب قد أوقع النصارى في نفس هذه العقيدة للجمع بين النصوص التي رأوها متناقضة في العهد الجديد . أما العهد القديم فدلائل التوحيد فيه بينة ظاهرة في جميع أسفاره من أولها إلى آخرها

واليك جميع الاقوال التي يتمسك بها النصارى من كتب اليهود على ألوهية المسيح وبيان معناها وهي التي تركوا لاجلها نصوص المسيح عليه السلام الفصيحة الصريحة ونصوص جميع الانبياء الآخرين فلا حول ولا قوة الا بالله

الشواهد من العهد القديم — (١) جاء في كتاب أشعيا ما يأتي ٩ : ٦ (لانه يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام ٧ لنمو رئاسته وللسلام لانهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق) إلخ فاذا صح أن هذا الكلام في حق المسيح فهو من أوهام اليهود في مسيحهم الذي ظنوا أنه سيجلس على كرسي داود الى الابد كما قالوا في سليمان على ما تقدم . على أن تسميته (إلها) قد ورد مثلها في حق موسى عليه السلام كما في سفر الخروج ٧ : ١ (فقال الرب لموسى أنظر . أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون

أي أورشليم واتيان الله كناية عن مجيء عذابه لأعدائهم ورحمته لهم وخلاصهم وقد ورد مثل هذه الكناية كثيرا في الكتب المقدسة (مزمور ٧٨ : ٦٥ـ٧٠) و (أشعيا ١٩ : ١ و٤٢ : ١٣ و٤٥ : ٢١ و٤٠ : ١٠) و (تث ٣٣ : ٢) و ورد في القرآن الشريف قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور) . ومما يدل على أن عبارة أشعياء هذه ليست في المسيح أن المسيح لم يأت بالانتقام والجزاء بل هو الذي أخذ وصلب وقتل على قولهم على أننا لا ننكر ان المسيح صلى الله عليه وسلم جاء ليخلص اليهود وينقذهم من الآثام والعصيان والكفر والضلال بالتوبة والايمان والهداية . ولو أنهم تركوا أعمالهم السيئة وآمنوا به جميعا واتبعوه واهتدوا بهديه لخلصوا أيضا من الذل والهوان وتسلط الأمم الأجنبية عليهم ولصارت لهم دولة عظيمة يرأسها عيسى (يسوع) عليه السلام . ولعل في اسمه (يسوع) أي المخلص والمعين والمنقذ إشارة إلى ذلك وإن كان اسما شهيرا سمي به كثيرون من اليهود قبله و بعده تفاؤلا به للخلاص مما هم فيه من البلايا والمحن والمصائب

(٣) قول أشعياء ٧ : ١٤ (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) أي الله معنا والكلمة المترجمة هنا بالعذراء معناها الفتاة سواء كانت بكرا أو غير بكر وكذلك وردت في سفر الامثال ٣٠ : ١٨ و١٩ (ثلاثة عجيبة فوقي وأربعة لا أعرفها ، طريق نسر في السموات ، وطريق حية على صخر ، وطريق سفينة في قلب البحر ، وطريق رجل بفتاة) فصحة الترجمة (ها فتاة تحبل وتلد إبنا وتدعو اسمه عمانوئيل) وهي بشارة لآحاز أن ملك (رصين) ملك آرام (وفقح) ملك اسرائيل سيزول فلا يحق له أن يخاف منهما وعلامة ذلك أن فتاة تحبل وتلد ابنا وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير من الشر فخربت أرض (فقح) بعد احدى وعشرين سنة . واختلفوا فيمن هي هذه الفتاة ؟ فقال بعضهم : إنها امرأة أشعياء وقال آخرون : إنها امرأة آحاز أو امرأة أخرى كانت معلومة لهم ولذلك قال أشعياء بعد هذه العبارة ٧ : ١٦ (لانه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الارض التي أنت

من عبادة غير الله وملئت صفحاتها بذلك وخصوصا سفر التثنية (٥: ٧ــ ٩ و١٣: ١ــ٥ و١٥: ٤ــ١٩) وغير ذلك كثير راجع أيضا أصحاح ٤٥ و٤٦ من سفر أشعياء)

أما قول اشعياء في العدد السابع من هذا الاصحاح انه سيجلس على كرسي داود الى الابد فالنصارى أولى بتأويله منا فانه لم يجلس على كرسي داود ولا ساعة واحدة في الدنيا وان كان المراد به ملكه الروحاني كما يعبرون (أي تسلطه على النفوس) فنحن لا ننكره بل قال كتابنا الشريف (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) فهو وان بقي جالسا على كرسي داود المعنوي الى الابد الا أنه سيكون مع ذلك تابعا لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ لا منافاة بين هذا وذاك ويجوز أن نقول في هذه العبارة مثل مايقولون هم في وعد الله لسليمان بتثبت ملكه الى الابد (١ أيام ٢٢: ١٠) وفي بقاء أورشليم عامرة الى الابد (أرميا ٣١ : ٤٠) ان ذلك مشروط باستقامة بني اسرائيل وحفظهم لعهد الله وشريعته كما في سفر أخبار الايام الثاني (٧: ١٨ ــ ٢٢) فزوال الملك من اليهود وعدم تملك المسيح عليهم وعدم دوام ملكه الدنيوي فيهم الى الابد وخراب أورشليم انما نشأ من كفرهم وعصيانهم وخروجهم عن طاعة الله فلو أنهم آمنوا به واتبعوه لبقي ملكهم الدنيوي الى يوم القيامة وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يزيل منهم هذا الملك بل يقويه ويعززه بوجود مُلك آخر عظيم لاخوانهم بني اسماعيل (١) ويكون الجميع يدا واحدة على كل عدو لهم قال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم (اي القرآن) لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) اي افاضت عليهم الخيرات والبركات من الارض والسموات

(٢) قول أشعياء ٣٥ : ٤ (قولوا لخائفي القلوب تشددوا . هوذا إلهكم . الانتقام يأتي . جزاء الله . هوذا يأتي ويخلصكم) وهذه نبوءة بخلاصهم من أسر بابل بدليل قوله في آخر هذا الاصحاح ١٠ (ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون)

---

(١) حاشية : هم الذين قالت عنهم التوراة تث ٣٢: ٢١ (فأنا (الله) أغيرهم بما ليس شعبا بأمة غبية أغيظهم) وهم أمة غبية لجهلهم وأميتهم وقلة الانبياء فيهم وقال عنهم المسيح لليهود كما في متى ٢١ : ٤٣ (ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره)

ابناء الله كما هو معلوم والظاهر من الاناجيل الاخرى أن المسيح لم يذهب إلى مصر وخصوصا انجيل لوقا الذي ذكر تاريخ المسيح بالتفصيل ولكنه لم يذكر هذه الحادثة بل قال ٢ : ٤١ (وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح) فالغالب أن متى اخترع مسألة ذهاب المسيح مع أبويه الى مصر ليلصق به عبارة (هوشع) النبي كما هو شأنهم في تاريخ المسيح عليه السلام فقد أخذوا كل ما قيل عن خلاص اليهود من مصر ومن بابل وادعوا أنه رمز أو إشارة لخلاص البشر بصلب المسيح كما قلنا سابقا

وعلى فرض أن المسيح هو المراد بما قاله (هوشع) فأي شيء فيه يدل على ألوهيته مع أن اسرائيل (أي بنيه) قد سمي بالابن البكر في العهد القديم (خر ٤ : ٢٢) وكذلك افرايم (أر ٣١ : ٩) وداود (مز ٨٩ : ٢٧) فاذا لم يكن الابن البكر إلـها فكيف يكون المسيح إلـها لهذه التسمية

فان قيل إن المسيح سمي بالابن الوحيد في انجيل يوحنا (١ : ١٨ و ٣ : ١٦ و ١٨) قلت إن بحثنا الآن فيما ورد في كتب اليهود (العهد القديم) أما العهد الجديد فليسمه النصارى فيه بما شاءوا وشاءت أهواؤهم على ان هذا الابن الوحيد (المسيح) قد سبق منذ زمن بعيد بالابن البكر (وهو عادةً مُفَضَّل) فالمسيح وإن سمي في زمنه بالابن الوحيد لأنه كان اعظم إنسان حينذاك لكن كان لالـههم ابناء غيره سبقوا عيسى في الملك والوجود (كداود) . فالحق ان جميع هـذه الاسماء مجازية لا حقيقية وهي لا تدل على الوهية احد منهم — هذا ولم يسم المسيح نفسه (بالوحيد) بل ذلك مما سماه به يوحنا — اما المسيح بحسب اناجيلهم فقد سمى نفسه (وغيره ايضا) بابن الله راجع ما قاله عليه السلام في هذا الموضوع في الاناجيل (يوحنا ١٠ : ٣١ — ٣٨ ومتى ٥ : ٩ و٤٤ و٤٥ ولو ٣٠ : ٣٦)

(٥) قال ميخا ٥ : ٢ (أما أنت يا بيت لحم افراتة «وأنت» صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الازل) والذي يفهم من هـذه العبارة أن الله قضى بخروجه

خاش من مالكيها) راجع الأصحاح السابع من سفر أشعياء فأي علاقة لهذه المسألة بالمسيح ومتى سمي المسيح (عمانوئيل)

فالحق يقال إن متى الانجيلي أخطأ في زعمه أن هذه نبوءة عن المسيح كما في إنجيله ١١ : ٢٣)

وعلى فرض أنها في المسيح فالمسلمون لا ينكرون أن أمه كانت عذراء لم يمسسها بشر(١) وأما اسم (عمانوئيل) فهو علم عبري دعي به كثير من اليهود والنصارى فليس من يسمى به يكون إلها كما لا يكون إلها من سمي بالاسماء الآتية : أشعياء (أي خلاص الله) يهوشافاط (الله يقضي) يهوصاداق (الله يبرر) يهوشع (الله يمين) يهوه شاوم (الله سلام) يهوياداع (الله يعلم) يسوع أو عيسى (الله يعين) أليشع (الله خلاص) إلى غير ذلك من أسماء اليهود التي فيها لفظ الجلالة (الله) فهل كان كل هؤلاء آلهة لانهم سموا بهذه الاسماء ؟ إن أمر النصاري والله لعجيب

(٤) قال متى ٢ : ١٥ (وكان هناك أي في مصر) إلى وفاة هيرودس . لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل (من مصر دعوت ابني) والنبي المشار إليه هنا هو (هوشع) الذي قال ١١ : ١ (لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابني) ومعنى هذه العبارة ظاهر لا يخفى على أحد إلا من أعماه الله وهو أن المراد منها بنو اسرائيل وخروجهم من أرض مصر وقد سموا هم وغيرهم

(١) حاشية : اسم أبي مريم في القرآن الشريف هو عمران وهو تعريب اسمه العبري (عمرام) الذي معناه (شعب عال) فهو يفيد معنى العلو أو السمو . ويسمى في انجيل لوقا (٣:٢٣) (هالي) ومعناه أيضا (عال) وهذا الانجيل يوناني الاصل فالظاهر أن صاحبه سمي أبا مريم بمعنى اسمه لا بلفظه الاصلي . ويوجد في كتب العهدين كثير من اسماء الاعلام التي لم تنقل كما هي من لغاتها بل ترجموها ففي الترجمة العربية لسنة ١٨٤٤ تجد لفظ (شيلون) (تك ٤٩ : ١٠) مترجما (بالذي له الحكل) وفقا للترجمة اليونانية مع انه اسم علم ولذا بقى في التراجم الحالية كما هو وكما ابدلت في العربية ميم (عمرام) نونا فصارت (عمران) كذلك في الانكليزية كثيرا ما يبدلون ميم اللغات الاخرى بالنون . مثال ذلك Collodium و Ectropium اليونانيتان صارتا في الانكليزية Collodion و Ecotrpion وغير ذلك كثير

فهذه ياقوم احدي غلطات القرآن في عقل صاحب كتاب الهداية المنصف المحقق !! هداه الله قبل أن يهدي غيره

هو إلها ؟ وهـذا أيضا دليل على أن مراده من قوله (مخارجه منذ القديم منذ أيام الازل) هو ما قلناه سابقا وأننا لسنا متعسفين ، ويجوز أيضا أن ذلك مما حرفه اليهود في كتبهم لاجل مسيحهم المنتظر كما سبق في المقدمة فلما جاءهم كفروا به أو مما حرفه النصارى كما سيأتي في الفصل الثالث وان كان له أصل صحيح

(٦) قال في مزمور ٤٥ : ٦ (كرسيك يا الله (١) إلى دهر الدهور) ولفظ (الله) هنا في العبرية (ألوهيم) ويطلق أيضا على القوي من أفاضل البشر وقد بينا لك فيما سبق أن موسى سمي (إلها) وكذلك غيره فلا حاجة للتكرار والذي يدلك على أن المراد بهذا اللفظ ليس الاله الحقيقي قوله بعد ذلك ٧ (مسحك الله إلهك) والاله الحقيقي لا إله له على أن هذا المزمور هو قطعا في حق محمد صلى الله عليه وسلم بدليل ذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم فيه التي لا تنطبق على المسيح كقوله ٣ (تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ٥ نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ٩ بنات ملوك بين حظياتك ١٦ يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الارض إلخ إلخ) والمسيح لم يكن له سيف ولا نبل ولا نساء ولا بنون ويجوز أن يكون سقط من الكاتب لفظ (عبد) قبل لفظ (الله) سهوا كما يعترفون هم في كثير من المواضع التي وقع فيها خطأ الكاتب كما ستعرف

(٧) قال داود عليه السلام مز ١١٠ : ١ قال (الرب لربي اجلس عن يميني) ولا يخفى أن لفظ الرب يطلق في اللغات التي نعرفها على السيد فكذلك هنا المعنى (قال الرب لسيدي) كما في حاشية الكتاب المقدس للبروتستنت وكما ترجمها الكاثوليك في نسخهم وهذا أمر معروف فلا حاجة لذكر شيء من شواهده هنا ولذلك قال قاموس الكتاب المقدس للدكتور (بوست) « إنها تستعمل أحيانا بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والاكرام »

هذا وقول اليهود ان هذا المزمور هو لداود معناه عندهم انه في حقه كما يقولون

---

(١) حاشية : (الله) هنا أصلها في العبرية (ألوهيم) كما قلنا بمعنى اله أو أي قوي من البشر فترجموها في هذا المزمور بلفظ (الله) وقد وردت هـذه الكلمة عينها في سفر أشعياء ٩ : ٦ فترجموها بلفظ (اله) كما سبق والفرق بين لفظ (الله) بالتعريف وبين لفظ (اله) بدونه لا يخفى على لبيب

منذ الازل وهذا لا نزاع فيه . أما اذا كانوا يفهمون منها أن خروج المسيح كان منذ الأزل فهو خطأ لانه باعتبار ناسوته ما خرج منذ الازل باعترافهم و باعتبار لاهوته لا معنى لخروجه فان ذاته هي عين ذات الله على حسب اعتقادهم وذات الابن لم تفارق ذات الله تعالى أزلا ولن تفارقه أبدا فانها لا تقبل الانقسام ولا التفرق فكيف إذا يفسرون هذا اللفظ (مخارجه) ؟ ولماذا أتى جمعا لا مفردا ؟ والذي يدلك على صحة تفسيرنا ـ أن المراد خروجه في علم الله وقضائه أزلا ـ قول سفر الرؤيا ١٣:٨ كما في الترجمة الانكليزية (في سفر حياة الخروف الذي ذبح منذ تأسيس العالم) والمراد به عندهم صلب المسيح الذي وقع في عهد بيلاطس لا منذ تأسيس العالم وإنما قال ذلك لانه واقع في علم الله تعالى منذ الازل كما يزعمون . وقال بولس في رسالته إلى أهل أفسس ١ : ٤ (كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم) مع أنهم ما كانوا موجودين في ذلك الوقت وإنما يريد انه اختارهم في علمه . وقال في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ١ : ٩ (بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الازمنة الازلية) فكيف تعطى لمن ليسوا موجودين ؟ ـ اللهم إلا في علم الله فكذلك عبارة ميخا يراد بخروجه فيها خروجه في علم الله ولذلك لما نقل متى هذه العبارة في انجيله نقلها هكذا ٢:٦ (وانت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل) فلو كان قول ميخا يفهم منه ألوهية المسيح لما تركه متى . فالمراد بجميع هذه العبارات المتقدمة أن الله تعالى قضى في علمه بوقوع هذه الاشياء منذ الازل فهي واقعة لا محالة ولا يمكن أن يتخلف شيء مما قضاه تعالى فقوله (مخارجه منذ القديم منذ ايام الازل) المراد به أن خروجه لا بد من وقوعه لانه مقضي أزلا . قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) راجع أيضا قول المزمور ٤٤ : ١ (أباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القدم) وقول أشعياء ٦٤ : ٤ (ومنذ الازل لم يسمعوا ولم يصغوا)

ثم قال ميخا بعد هذه العبارة السابقة في حق المسيح ٤ (ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه) وهذا نص على أن الله إلهه . فكيف يكون

لهم الشريعة ويفتونهم ويقضون بينهم في بعض المسائل ويرشدونهم الى كيفية تأدية عباداتهم

فالكاهن اذاً هو عبارة عن إمام لهم في عباداتهم ورئيس لهم في دينهم ومعلم — ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو رئيس المسلمين وامامهم الاعظم فكان يعلمهم الدين ويقضي بينهم وينظر في جميع مصالحهم ويرأسهم في عباداتهم ويأتمون به في جميع صلواتهم وفي حجهم ويخطب فيهم في أيام أعيادهم وجمعهم وموقفهم بعرفة ويقلدونه في ضحاياهم وذبائحهم ويقتدون به في كل شيء وهو الذي أحيا فيهم سنن ابراهيم في الحج والذبح وغيرهما وكان كما رواه ابو داود يضحي عن نفسه وعمن لم يضح من أمته وهم الفقراء فلهذا كله كان صلى الله عليه وسلم هو كاهنهم الاعظم وكل امام لهم غيره انما هو نائب عنه فهو امامهم في كل مكان وزمان وبمثل تعبيرهم هو كاهنهم الاعظم الى الابد فهو رئيس وكاهن ومعلم لابراهيم وصحب له كملكي صادق من كل وجه

ولا شك أن المسيح كان أقل درجة من محمد في كل تلك الوظائف الكهنوتية السابقة ولم يكن له من الشأن في قومه مثل ما لمحمد فلذا كان محمد أولى بالتشبيه بالكاهن (١) من المسيح عليه السلام

واذا لاحظنا أن صلب المسيح المزعوم لم يكن برغبته ولا بارادته كما سبق بيانه (في مقالة القرابين والضحايا) وسنزيد ذلك ايضاحا أعني انه لم يقرب نفسه باختياره . ولم يعمل أي عمل أثناء صلبه من أعمال الكهنة في القرابين كالاحراق ورش المذبح بالدم فهو لم يمتز في هذه المسألة بشيء عن محمد عليهما السلام بل هو فيها لم يكن بكاهن مطلقا بل كان نفس (القربان) ولذا تسميه كتبهم ويسمونه (الخروف المذبوح) (راجع مثلا سفر الرؤيا ٥ : ١٢) وشتان ما بين القربان نفسه وبين الكاهن ففي حادثة الصلب كان اليهود والرومانيون مقربوه أحق باسم الكاهن . فان قيل انهم ما كانوا يقصدون تقربه لله قلت وكذلك

(١) الكاهن المراد به في هذا الكتاب هو المعروف عند النصارى واليهود لا كاهن العرب الذين يزعمون اتصاله بالجن ويخبرهم عن المستقبل مدعيا علم الغيب

إن مزمور (٧٢) هو لسليمان ويريدون انه هو المقصود به وأنه في حقه لا أنه هو قائله

أما قائل هذا المزمور (١١٠) فهو (على قول كثير منهم) أحد أتباع داود يقصد به داود نفسه وحربه مع أعدائه وانتصاره عليهم . وفي قول آخر لهم ان قائله اليعازر الدمشقي خادم ابرهيم عليه السلام (تك ١٥ :٢) وأنه يريد به ابراهيم سيده حينما حارب الملوك الخمسة وكسرهم

وعليه فقول النصارى : إن اليهود تعترف ان قائل هذا المزمور هو داود كذب عليهم . ويوجد مزامير أخرى كثيرة لا يعرف من الذي قالها ويقال : إن موسى هو القائل المزمور التسعين فليست جميع المزامير لداود ولم تؤلف كلها في زمنه كما يتوهم الجاهلون بل منها ما كتب قبله وبعده بسنين (راجع قاموس پوست م ١ ص ٥١٣-٥١٦)

والمسلمين ان يقلدوا المسيحيين ويقولوا في هذه العبارة انها في حق محمد صلى الله عليه وسلم فانها كأغلب نبوات العهدين ليست نصا في شيء معين بل هي مبهمة ويمكننا حملها عليه بأحسن مما يفعلون

فاذا تذكرنا أن محمدا أحيا دين ابراهيم وسماه أبا المسلمين وأوجب عليهم تعظيمه وأن يصلوا على نبيهم محمد كما صلى الله على ابراهيم الذي يتبعونه في ملته واسلامه لله ــ اذا تذكرنا ذلك تجلى لنا مغزى قول داود فيما بعد مز ١١٠ : ٤ (أنت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق) فان ملكي صادق كان أطعم ابراهيم وسقاه وباركه وأكرمه (تك ١٤ : ١٨ و١٩) فكأن حب محمد وتعظيمه لابراهيم هو كحب ملكي صادق واكرامه له ولذلك تجد المسلمين يذكرون ابراهيم دون غيره من الانبياء في كل صلاة من صلواتهم الكثيرة في كل يوم

ولا يخفى أن الكاهن عند أهل الكتاب هو الذي يرأس الحفلات الدينية الخاصة بالعبادة ولما كانت أهم عبادة للقدماء هي تقديم القرابين والضحايا كان الكهنة يساعدون الناس في تأدية هذه الفروض الدينية فيرشون دم الذبائح على المذبح ويحرقون المحرقات والقرابين وقد يذبحون لهم بعض الذبائح أيضا وان كان الذبيح في الغالب هو الشخص المقرب نفسه

وزيادة على ذلك كان الكهنة ينظرون في بعض مصالح العباد ويفسرون

من بابل وسكنوا في أرضهم ومعنى اسمه (نحميا) (من يعزيه الله) وكان أيضا يسمى (الرئيس) فكلمتا (الرئيس نحميا) تقرب من كلمتي (الرب - أي السيد - برنا) في المعنى فكأنه قال (السيد الذي به تعزيتنا وصلاحنا) وعدم انطباق هذه العبارة على المسيح عيسى عليه السلام ظاهر فيها من أولها إلى آخرها إذ لم يأت في زمنه بنو اسرائيل من بابل إلى أرضهم وعلى فرض أنه هو المراد بها فليس في هذا الاسم شيء يدل على ألوهيته فاذا كان معناه (هو الرب وهو برنا) أي (هو السيد وهو برنا) فالأمر ظاهر. وإن كان المعنى أنه يسمى بهذه الجملة (الرب برنا) فمن سمي بالجمل الآتية لم يكن إلهاً فمن باب أولى من سمي بهذه فمن بني اسرائيل من سمي (يهو صاداق) أي (الله يبرر) يوئيل (يهوه الله) أليهو (الله هو أي يهوه) يواخ (يهوه أخ) ياهو (هو يهوه) أليشع (الله خلاص) يشوع (الله يعين) يازيز (من يحركه يهوه) (يهوه شمه) وهو اسم أورشليم ومعناه (يهوه هناك) ويهوه هو اسم الله بالعبرية والاسمان الاخيران أدل على الحلول الالهي من اسم عمانوئيل السابق الذي معناه (الله معنا)

وهذه هي طريقة اليهود في كثير من اسمائهم كما تقدم (١) ويشوع بمعنى (الله يعين) هي (عين يسوع) اليونانية (وعيسى) العربية وهو اسم لكثير من اليهود قبل المسيح وبعده كما قلنا فهو ليس خاصا به ولم يكن من سمي به إلها ولا مخلصا بموته من الآثام على أنا لا ننكر أن المسيح عليه السلام كان (منقذا

(١) حاشية: يحتمل أن الاصل العبري لعبارة أشعياء المذكورة في صفحة ٤٤ أن المولود يسمى بهذه الجملة (الله قدير) كما سمي بمثلها غيره هنا والتشابه بين هذا الاسم (الله قدير) وبين اسم (حزقيا) ومعناه (قوة الله) لا يخفى على بصير وهذا مما يؤيد تفسير اليهود لهذه العبارة واهل النصارى حرفت الترجمة أو حصل تحريف في الاصل العبري من الكاتب سهوا أو قصدا (راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب) وقول أشعياء في آخر نبوءته هذه ٩ : ٧ (من الآن الى الابد) يشعر بأن هذا الامر قريب الحصول وأنه يقع في زمن أشعياء نفسه وقد كان ذلك فقد ولد (حزقيا) لآحاز ملك يهوذا في مدة أشعياء النبي وبشر أشعياء حزقيا أيضاً باطالة الله تعالى لعمره (١٥) سنة كما في (٢ مل ٢٠ : ٥ و ٦) وانما لم يبق الملك الى الابد في نسله كما أنبأ أشعياء لعصيان اليهود وخروجهم عن طاعة الله تعالى وكفرهم وعبادتهم الاصنام (راجع اصحاح ٢١ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ من سفر الملوك الثاني) وقد بينا ذلك في صفحة ٤٦ من هذا الكتاب (راجع أيضاً سفر أخبار الايام الثاني ٧ : ١٨ — ٢٢)

هو ما كان راغبا في ذلك القربان وكان يود أن يعتق منه بخلاف محمد وأصحابه فأنهم كانوا يدخلون القتال وكانوا يتمنون أن يستشهدوا في سبيل الله وفي سبيل هداية الناس وانقاذهم من الضلال (راجع الفصل الثالث) وعليه فالتشبيه بالكاهن وبملكي صادق غير منطبق على المسيح تماما كانطباقه على محمد عليهما السلام

وقول داود في هذا المزمور ١١٠ : ٢ (يرسل الرب قضيب (أو صولجان) عزك من صهيون) وهي أورشليم معناه أنه يخرج الصولجان منها ويبعثه اليه في بلاده وهو كناية عن نقل الملك والوحي والنبوة من اليهود والنصارى الى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته التي قال فيها المسيح لليهود كما في متى ٢١ : ٤٣ (ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره)

وقول داود بعد ذلك ٥ و٦ « الرب عن يمينك يحطم في يوم زجره ملوكا. يدين بين الامم . ملأ جثثا أرضا واسعة سحق رؤوسها » اشارة واضحة لحروب النبي صلى الله عليه وسلم وانتصاراته الباهرة على أعدائه وهي لا تنطبق على المسيح

فأنت ترى مما تقدم أن محمدا أولى بهذا المزمور من المسيح ولكننا نحن المسلمين ولله الحمد في غنى عن مثل هذه البراهين ولذلك لا نعبأ بها كثيرا كما تفعل النصارى لشدة احتياجهم وفقرهم اليها وانما اطلنا الكلام هنا فيها مجاراة لهم لعلهم يرشدون

(٨) قال أرميا ٢٣ : ٥ (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجري حقا وعدلا في الأرض ٦ في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذي يدعونه به « الرب برنا ٧ لذلك ها أيام تأتي يقول الرب ولا يقولون بعد حي هو الرب الذي أصعد بني اسرائيل من أرض مصر ٨ بل حي هو الرب الذي اصعد وأتى بنسل بيت اسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الاراضي التي طردتهم إليها فيسكنون في أرضهم »

فالظاهر من هذه العبارة أن المراد بها نحميا كما سبق بيانه وهو الذي كان أعظم من حكم أورشليم بعد السبي بل هو الوالي الوحيد من بيت داود بعد تمام عمارتها الذي كان في عصره ببنائه اسوارها وفي أيامه رجع إليها جمهور المسبيين

الباهرة ومنه يفهم أن اطلاقه عليه هو من باب اطلاق اسم آلهة عليهم لأنه حقيقة ابن الله تعالى عن ذلك وجل شأنه

ومما يدلك على بطلان قول النصارى بألوهية المسيح ماجاء في سفر أخبار الايام الثاني ٦ : ١٨ وهو قوله (لأنه هل يسكن الله حقا مع الانسان على الارض هوذا السموات وسماء السموات لاتسعك فكم بالاقل هذا البيت الذي بنيت) ثم ان قول دانيال (وجاء الى القديم الايام فقربوه قدامه فأعطي سلطانا ومجدا الخ) يدل على أن الله تعالى هو الذي أعطاه هذه الاشياء فهي ليست له من ذاته وعليه فهو ليس إلها حقيقيا اما قوله (لتتعبد له كل الشعوب) فالمراد به لتخضع وتطيع وتنقاد قال في سفر القضاة ٣: ١٤ (فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك مواب ثماني عشرة سنة) أي خضعوا له . وفي سفر التكوين ٤٤:١٨ (ثم تقدم يهوذا وقال استمع ياسيدي . ليتكلم عبدك كلمة الى قوله ١٩ سيدي سأل عبيده) . وفي سفر القضاة ٨: ١٤ (وكان جميع الادوميين عبيدا لداود) أي خاضعين له . وفي الترجمة الانكليزية تستعمل كلمة عبدَ (Serve) بمعنى (خدَمَ) أيضا وجاء في سفر أرمياقوله في بختنصر ٢٧ : ٧ (فتخدمه كل الشعوب) وهي عين الكلمة المترجمة في العربية في بعض المقامات الاخرى (بتتعبد) كقول داود في سليمان ابنه مز ٧٢ : ١١ (كل الامم تتعبد له) او تخدمه والمعنى تنقاد وتخضع له . وفي القرآن الشريف (وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني اسرائيل) أي استعبدتهم . أما قوله (ان سلطانه سلطان أبدي مالن يزول وملكوته مالاينقرض) فالمسلمون يسلمون ذلك ويقولون ان عظمة المسيح عليه السلام وسلطانه على النفوس والقلوب ان يزولا أبدا ولذلك قال تعالى في القرآن الشريف (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) كما تقدم فاتباع المسيح من النصارى أو اتباعه الحقيقيين من المسلمين هم فوق الذين كفروا به (وهم اليهود) إلى يوم القيامة (*) .

(*) استدراك : فاتنا أن نذكر وجها آخر لتفسير عبارة دانيال في صفحة ٢٤ من هذا =

من الضلالة) (منجيا من الغواية) (مخلصنا من الشيطان) (مرشدا للهداية ولعبادة الرحمن)

هذا وقد قال أرميا أيضا في الاصحاح الثالث والثلاثين في حق أورشليم ما يأتي ١٦ (في تلك الايام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ماتتسمى به (الرب برنا) فهنا أيضا سمى أرمياء أورشليم (الرب برنا) فعلى قول النصارى تكون إلهة !! ان أمر النصارى والله لعجيب !!

فأي شيء من هذه الاسماء يدل على الالوهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(٩) قال دانيال ٧ : ١٣ (كنت أرى في رؤيا الليل واذا مع سحاب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الايام فقربوه قدامه ١٤ فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والامم والالسنة . سلطانه سلطان أبدي مالن يزول وملكوته مالا ينقرض) فهذه البشارة لا يوجد فيها شيء يدل على أنها خاصة بالمسيح عليه السلام أما قوله فيها (ابن الانسان) فكل الناس أبناء الانسان راجع مثلا الترجمة الانكليزية لسفر أشعيا (٥٢ : ١٤) وكذلك حزقيال سمي فيها (ابن الانسان) في كثير من المواضع من كتابه وسمي في الترجمة العربية (ابن آدم) وكذلك قال أيوب ٢٥ : ٦ (فكم بالحري الانسان الرمة وابن آدم الدود) وفي الانكليزية (وابن الانسان) وفي المزمور الثامن : ٤ (فمن هو الانسان حتى تذكره وابن آدم « الانسان » حتى تفتقده) . وفي سفر العدد ٢٣ : ١٩ (ليس الله انسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم) وقال أشعيا ٥١ : ١٢ (أنا أنا هو معزيكم . من أنت حتى تخافي من انسان يموت ومن ابن الانسان الذي يجعل كالعشب) وعلى فرض أن هذا اللقب خاص بالمسيح يسوع أفلا يدل على أن المراد باختصاصه به أن الله تعالى يريد أن ينبه الناس على انه ليس إلها ولا ابن إله (بالمعنى الحقيقي) كما يزعمون ؟ ومن راجع انجيل يوحنا (اصحاح ١٠ : ٣١ ــ ٣٨) في محاورة المسيح مع اليهود في اطلاق لفظ (ابن الله) عليه وجد ان المسيح يعترف انه أطلق عليه لانه أولى به ممن أطلق عليهم اسم آلهة لانه رسول من الله عظيم مؤيد بالمعجزات

عن نفسه (يو ١ : ٢١) والظاهر من عبارة ميخا أنه يريد مجيء إيليا الحقيقي قبل يوم القيامة . فلننتظر ! !

هذا كل ما يستشهدون به على ألوهية المسيح من العهد القديم وقد أريناك ما فيه وقبل ترك هذا الموضوع نسأل النصارى : —

لماذا لم يشرح المسيح ولا تلاميذه في الاناجيل عقائدكم شرحا مفصلا وافيا كما تفعلون أنتم في كتبكم الآن ؟ وما هذا التدرج في نشوءها الذي نراه فيها في العهد الجديد كما سبقت الاشارة إليه وإذا كان المسيح عليه السلام باعتبار ناسوته بشرا مثلكم وكان يعبد الله كثيرا ويصوم له طويلا ويدعوه ليلا ونهارا فلماذا تعبدون ناسوته مع لاهوته (١) وما الفرق بينكم وبين من عبد غير الله وعبدَ عِباد الله أو الاصنام أو الآلهة الباطلة المنهي عن عبادتها في كتبكم من أولها إلى آخرها ؟ وإذا كانت ذات الآب (أو جوهره كما تعبرون) لم تحل في المسيح ولم تتحد به فكيف حل الابن مع أن ذاته هي عين ذات الله التي لا تقبل التفرق ولا الانقسام ؟ ولماذا قام جسد المسيح من الاموات ؟ ولماذا لم ير نفسه للمكابرين من اليهود وغيرهم ؟ وأين هو الآن وماذا يفعل ؟ وهل وجود جسده الآن ضروري للعالم أو غير ضروري فان كان ضروريا فما فائدته ؟ ولِمَ لَمْ يكن ضروريا منذ الازل . وإن كان غير ضروري فلماذا أقامه الله من الأموات وماحكمة ذلك والحال أنه لم يره إلا المؤمنون به من قبل كما يدعون (٢) ؟؟ وهل يبقى لاهوت الابن متحدا به إلى الأبد أم

---

(١) هذا الكلام موجه للبروتستنت والكاثوليك الذين يعتقدون انه انسان كامل واله كامل ومع ذلك يعبدونه كله لا نصفه

(٢) حاشية : جاء في انجيل متي ١٢ : ٣٨ — ٤٠ ان اليهود طلبوا من المسيح عليه السلام معجزة (فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال) وجاء ايضاً في هذا الانجيل ١٦ : ١ — ٤ ان الفريسيين والصدوقيين جاءوا اليه ليجربوه وطلبوا منه آية فأجاب (جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي ثم تركهم ومضى) فبقطع النظر عن كون المسيح لم يمكث في بطن الارض كل هذه المدة المذكورة هنا بل مكث يوما وليلتين فقط نجد أن المسيح لم يظهر لهؤلاء الناس الذين طلبوا منه =

هذا اذا سلم أن هذه البشارة هي في حق المسيح والصواب أنها في حق محمد صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه كل هذا الاصحاح السابع من سفر دانيال (راجع كتاب فتح الملك العلام في بشائر دين الاسلام) ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا فلذلك سماه (ابن انسان) وليست هذه العبارة خاصة بالمسيح كما تقدم ولذلك قال القرآن له (قل إنما انا بشر مثلكم) و بتعبير كتبهم انسان أو ابن انسان مثلهم وفي قوله (في رؤيا الليل ومع سحاب السماء) إشارة صريحة إلى معراجه الروحاني (فانه كان في رؤيا الليل أيضا) (١) وقد أوتي فيه سلطانا ومجدا وشرعا وملكوتا وتتعبد له كل الشعوب والأمم و لألسنة . وسلطانه أبدي لا يزول ولو كره الكافرون صلى الله عليه وسلم

(١٠) قال ملاخي في كتابه عن الله ٤ : ٥ (ها أنذا أرسل إليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف) والمراد بيوم الرب يوم القيامة كما يفهم من باقي هذا الاصحاح فانه هو اليوم العظيم المخيف وأما يوم المسيح فلم يكن كذلك ولم يخف منه أحد بل أخذ على قولهم وصلب وقتل . واذا سلم جدلا أن المراد به يوم المسيح فلفظ الرب كما قلنا يطلق على السيد

على أن إيليا لم يأت الآن وأما يوحنا الذي يقولون إنه جاء بروح إيليا (أي على طريقته ومثاله) (لوقا ١ : ١٧) فهو ليس إيليا الحقيقي كما قال هو

= الكتاب وهي قوله ٩ : ٢٦ (وبعد اثنين وستين اسبوعا يقطع المسيح وليس له) فقوله يقطع أصله العبري ينقطع وقد ورد مثله في سفر أرمياء (راجع أصحاح ٣٣ منه عدد ١٧ و ١٨) والمراد بذلك أنه بعد ٦٢ سنة بموت نحميا وبموته ينقطع جلوس أحد من بيت داود على كرسيه ويزول الملك من نسله فلا يكون منه مسيح على اليهود (انظر أيضا مزمور ٨٩) وقد كان ذلك . فلم يتول عليهم أحد من نسل داود بعد (نحميا) فانقطع مسيحهم أي زال ملكهم وانقضى

ولم يكن زوال ملكهم لذنب فعله نحميا البار بل لما أتاه قومه ويأتونه من المنكرات والذنوب والآثام (راجع مثلا نح ١٣) فهي التي انقطع بسببها جلوس ابن لداود مسيحا عليهم ومحت كل أثر من آثار ملكهم ولذلك قال دانيال (يقطع المسيح (أو ينقطع)وليس له) أي ان انقطاع مسيحهم وانقراض ملكهم ليس لاجل فعل (نحميا) نفسه بل بسبب أفعالهم السيئة ومعاصيهم ونقضهم لعهد الله كل حين وآخر كما قال أرميا ٣٣ : ٢٠ و ٢١ (ان نقضتم عهدي .... فان عهدي أيضا مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن مالكا على كرسيه) ولولا ذلك لوجد لنحميا أو غيره نسل يملكهم ولبقي فيهم كرسي داود الى الابد

(١) حاشية : في اعتقادنا أن المراج كان روحانيا لا جسدانيا

(الانسان الكامل) وهل تعبدونه بعد ذلك أم ماذا ؟ وما الداعي إلى هذا كله ؟ ألأجل آدم وبنيه يبقى رب العالمين مقيدا في هذا الجسد إلى أبد الآبدين ؟!! مع أن الارض وما عليها ليست إلا ذرة من ذرات هذا الكون العظيم الكبير (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل . لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم (١) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

« تذييل لهذا الفصل »

يحتج النصارى على المسلمين بقوله تعالى « وأيدناه (أي المسيح) بروح القدس » زاعمين أنها تدل على ألوهيته ونقول قد قال القرآن أيضا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ذلك وهو قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) بل قال أيضا في حق المؤمنين جميعا (وأيدهم بروح منه) وهو (إذا صح قول النصارى) أدل على الألوهية من قوله (وأيدناه بروح القدس) فانه لم يقل إن روح القدس هذه هي من الله

أما قول القرآن هذا فقد ورد مثله في العهد الجديد فقال إن الروح نزلت على المسيح كالحمامة واستقرت عليه (يو ١ : ٣٢) وقال إن ملكا نزل من السماء ليقويه (لو ٢٢ : ٤٣) وأن الروح القدس نزل على التلاميذ بعده (أع ٢ : ٣ و ٤)

فاذا كان المسيح عليه السلام إلها كاملا وإنسانا كاملا كما يقولون وأقنوم الابن متحدا به وهو الله عندهم فأي حاجة بعد ذلك لنزول روح القدس عليه

«١» راجع مثلا انجيل متى ٧ : ٢٢ و ٢٣

يفارقه ؟ فان كان باقيا فيه إلى الابد فلماذا ذلك ؟ وإن فارقه فاين يذهب

= آية مع انه أخبرهم انهم ان يروا منه سوى هذه المعجزة وحيث انهم لم يروها ولم يعطوا غيرها كما قال لهم فيستفاد من هذه العبارة أن المسيح ما أتي بمعجزة ما كما هو ظاهر من قوله هذا فلولا أن القرآن شهد بمعجزاته لجاز للانسان أن يقول ان المسيح باعترافه لم يأت بالمعجزات ولا اظهر واحدة منها لخصومه فجميع ما ينسبه اليه تلاميذه في الاناجيل بعد ذلك من الآيات هو كذب في كذب

على أن ظهور هذه الآيات ليس — بحسب كتبهم — دليلا على صحة النبوة لانها قد تظهر على أيدي الكذابين والدجالين . جاء في سفر التثنية ١٣ : ١ — ٥ أنه اذا ادعى شخص النبوة ودعا لعبادة غير الله وأظهر معجزة أو آية فهو مع ذلك كاذب ويجب قتله . وقال المسيح كما في انجيل متى ٧ : ٢٢ (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الاثم) وقال أيضاً كما في متى ٢٤ : ٢٤ (لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا)

ومما سبق يتبين لك الامور الاتية : —

(١) ان المسيح باعترافه لم يأت الا بآية واحدة لم يرها أحد ممن وعدهم بها فكأنه لم يظهر للناس أي معجزة كانت ولا يهمنا بعد ذلك تأويلهم لعباراته وهي صريحة في نفي المعجزات عنه

(٢) لولا القرآن لما صدقنا جميع ما روي عنه من الايات والمعجزات ولقلنا انها أكاذيب واختراعات كما يقولون هم فيما يرويه المسلمون من المعجزات لنبيهم

(٣) ان المعجزات كثيرا ما تظهر على أيدي الانبياء الكذبة والدجالين لاضلال الناس كما هو نص التوراة والانجيل

(٤) لو صح قول النصارى لكان عيسى داعياً لعبادة نفسه وكل من دعى لعبادة غير الله فهو كنص التوراة كاذب ويجب قتله ولو أتى بالمعجزات والايات فابالك اذ اعترف أنه لم يأت بها

(٥) ان كثيرين سيقومون بعد المسيح ويتنبأون باسمه ويصنعون عجائب وآيات كثيرة ومعجزات باسمه أيضا ومع ذلك هم كما قال عليه السلام كذبة دجالون ملعونون فكيف بعد ذلك يمكننا الايمان بتلاميذه وبصدق بولس؟

فيا أيها المبشرون ! أنتم تدعون المسلمين لترك دينهم وكتابهم والكفر بربهم ونبيهم فهل بعد ذلك أعددتم لهم براهين لاقناعهم بصدق مسيحكم فضلا عن صحة ألوهيته ؟ فاذا كذب المسلمون القرآن فبأي شيء تقنعونهم بصدق المسيح وبصدق تلاميذه ؟ وهم يروون عن نبيهم وعن اوليائهم أضعاف ما تروون من المعجزات للمسيح ولتلاميذه « الرسل » !! على أن المسيح اعترف بانه لم يأت بالمعجزات واذا سلم أنه أتى بها فهي ليست دليلا على الصدق كما قال . ومن ادعى الالوهية وجب قتله بنص التوراة ولو أتى بالمعجزات فبماذا اذن تقنعون المسلمين اذا هم رفضوا دينهم كما ترجون ؟ أبنبوات العهد القديم وقد أظهرنا لكم بطلانها وأنها لست تنطبق على المسيح دون غيره وبماذا تثبتون لهم صحة هذه الكتب وصدق انبيائها بعد ما علموا أن المعجزات والنبوات ليست دليلا على صحة النبوة وكثيرا ما تخترع للناس وتنسب اليهم كذباً فاتقوا الله أيها النصارى في عقولكم وفي دينكم فانكم بمحاربتكم الاسلام تحاربون دينكم أيضا فانتم ساعون الى حتفكم بظلفكم وذلك جزاء الظالمين

هذه العبارة فيه في حق عيسى عليه السلام ولم تذكر بهذا اللفظ في حق غيره من الانبياء عليهم السلام (١)

ولتعلم النصارى أن روح القدس المذكور في القرآن المراد به الملك جبريل . كما يفهم من مجموع هذه الآيات (من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك) الآية

«١» حاشية : — يحار بعض الناس لعدم ذكر القرآن أسماء الانبياء فيه مرتبة بحسب ازمنتهم أو درجاتهم أو منازلهم عند الله كما في سورة النساء المدنية « ٤ : ١٦٣ و ١٦٤ » وكما في سورة لانعام المكية « ٦ : ٨٤ — ٨٦ »

والسبب في ذلك والله أعلم أن قرآن جاء للقضاء على خصلة سيئة في البشر وهي أنهم كثيرا ما يتشاجرون ويتغاضبون للخلاف في بعض مسائل تافهة وأشياء صغيرة ما كان يليق بالعقلاء أن تكون سببا للنزاع بينهم لانها ليست من جوهر الامور بل من عرضها

ومن هذه المسائل تفضيل بعض النبيين على بعض والتنازع في ذلك لدرجة أخرجت الدين عن المراد منه فبعد ان كان الدين يراد به التوفيق بين الناس صار اعظم سبب للتفريق بينهم فمن الناس من يظن ان السبق فى الزمن أو التأخر فيه أو كثرة المعجزات أو كثرة الاتباع أو سعة الملك اونحوذلك سبب في اكرام بعض النبيين والحط من قدر البعض الاخر منهم والتفريق بينهم

فالقرآن الذي علم المؤمنين ان يقولوا « لا نفرق بين احد منهم » لم يرد ان يذكر النبيين بحسب اي ترتيب كان مما قد يتخذه بعض ضعاف العقول سببا في تفضيل بعضهم على بعض ليرشد المسلمين بذلك الى انه لا يليق بهم ان يتنازعوا أو ينازعوا غيرهم فى مثل هذه المسائل الصغيرة والمباحث العقيمة بل يجب عليهم أن يتركوا ادانة الخلق والحكم عليهم لخالقهم مالك يوم الدين وحده فهو أعلم بقدر عباده وبضمائرهم وسرائرهم وأعمالهم ظاهرة وباطنة ويجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ألا ترى أن يحيى (يوحنا) الذي يظنه الناس نبيا صغيرا قال فيه عيسى انه لم تلد النساء نبيا أعظم منه (لوقا ٧ : ٢٨)

فتأدبا مع الله ومع انبيائه ورفعا لسبب من اسباب الشقاق والتباغض والتنافر بين الناس وترفعا عن سفاسف الامور نجد القران الشريف يذكر الانبياء بدون أي ترتيب بل اذا كرر ذكرهم قدم واخر في أسمائهم حتى لا يتهم احد من ذكرهم أي وجه لتفضيل بعضهم على بعض ولو امكن النطق بأسمائهم جميعا دفعة واحدة لفعل ذلك بدلا من ذكر بعضهم معطوفا على بعض بالواو وان كانت لاتفيد ترتيبا ولا تعقيبا فكأن الغرض وضعهم جميعا في مستوى واحد بلا تفرقة بينهم

وقد جرى محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الادب العالي الذي جاء به القرآن فنهى الناس عن تفضيل بعض الانبياء على بعض فقال كما رواه القاضي عياض في الشفاء (لا تفضلوا بين الانبياء) وروى عنه أنه قال (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)

نعم قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) ولكن هذا شيء مما اختص بعلمه سبحانه وتعالى ولم يعلمنا به أو يرشدنا اليه لكي يزول من بيننا سبب من اسباب الشقاق والنزاع لمثل هذه المسائل التافهة فان الدين جاء للتوفيق لا للتفريق بين عباد الله

ولماذا لم يقم الروح بوظيفته فيه بدون حلول كما كان يقوم بها في الآب بعد حلوله في الابن واذا كان أقنوم الابن واقنوم روح القدوس متحدين به ولم يكفيا لتقويته فهل الملك الذي نزل عليه (لو ٢٢ : ٤٣) كان أقوى من هذين الاقنومين الالهيين المتحدين به ؟ والا فما معنى قول لوقا ان الملك نزل عليه لتقويته ؟ وهل بعد ذلك يكون المسيح إلها وهو محتاج لتقوية هذا الملك ؟ وهل لا يدل ذلك على أن كلا الابن وروح القدس ليسا أقنومين إلهيين ولذلك احتاج ناسوت المسيح مع وجودهما فيه لنزول هذا الملك عليهما مقويا له ؟ أم يقولون ان هذا الملك كان أقوى من الله تعالى ولذلك نجح في تقوية المسيح دون الاقنومين الالهيين اللذين احتاجا اليه لتقويته معهم ؟ اني والله لا أفهم ولا يمكن لعقلي الضعيف أن يدرك هذه الاقوال المتناقضة المتضاربة ! !

ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم حكمة قول القرآن الشريف (وأيدناه بروح القدس) لينبه النصارى الى هذه المسألة وهي مذكورة في كتبهم كما بينا . فكأنه يقول (إنكم تسلمون أنه مؤيد بروح القدس كما في كتبكم فكيف بعد ذلك تقولون إنه إله أو إبن الله مع اعترافكم أن الروح القدس نزلت عليه فهل أقنوم الابن الذي فيه من قبل لم يكن كافيا ؟ وإذا كان المسيح إلها بوجود هذين الاقنومين الالهيين فيه فكيف بعد ذلك يحتاج لتقوية الملك ؟ فهل الله يحتاج لتقوية عبيده له ؟ وإذا كان ناسوته محتاجا فلم لم يكفه وجود الاقنومين الالهيين المتحدين به ؟ وإذا كان وجود روح القدس فيه يدل على أنه إله فلماذا لم يصر الحواريون أيضا آلهة وهم ممتلئون منه (أع ٢ : ٤) ؟ وإذا كان حلول الله أو أحد أقانيمه في الناس لا يجعلهم آلهة فلماذا صار المسيح إلها لحلوله فيه ولماذا يعبد ناسوته مع لاهوته ولا تعبد أيضا تلاميذه الممتلئون من روح الله ؟ الحق أن كل محتاج لا يكون إلها فلا الابن إله لانه احتاج لروح القدس ولا الروح إله لانه احتاج للملك ليستعين به على تقوية المسيح فالكل ليسوا آلهة) وعليه فقول القرآن الشريف هذا مبطل لقول النصارى من أوله الى آخره ولذلك تكررت

مكتوبة بقلم القدرة الالهية على لوحين من الحجر وأمرهم بحفظها وشدد عليهم في ذلك تشديداً عظيما. والشريعة الموسوية هذه مع الوصايا العشر توجد ملخصة في كتاب على حدتها يسمى الآن (سفر التثنية) لان موسى أعادها فيه كما قلنا بعد أن كان بلغها لهم من قبل. وهذا السفر يسمى في العهد القديم سفر التوراة وسفر الشريعة (تث ٣٠ : ١٠ و٣١ : ٩ و١١ و١٢ و٢٤ ونحميا ص ٧ : ٨ ودا ٩ : ١٣ و٢ أي ٢٥ : ٤) ولا يوجد عند أهل الكتاب دليل على أن موسى كتب الاسفار الاخرى المنسوبة اليه غير سفر التثنية

وهذا السفر حافظت عليه الامة اليهودية محافظة شديدة (إلا في أوقات إرتدادها وهي كثيرة) لانه كان مرجع جميع الانبياء من عهد موسى عليه السلام الى عيسى عليه السلام ومن راجع هذا السفر ظهر له أنه لم يدخله شيء يذكر مما دخل غيره من الفساد الكبير نعم قد زيد عليه الاصحاح الاخير منه المتعلق بموت موسى عليه السلام وغلط في عده الارنب الجبلي من الحيوانات المجترة (١٤: ٧) وربما زيد عليه بعض كلمات قليلة في أوله وما عدا ذلك يمكننا أن نقول إن جل ما جاء فيه هو من التوراة الحقيقية (أو هو ملخص الشريعة الموسوية) التي أوحاها الله تعالى الى موسى وهذا السفر هو الذي كان معروفا بين بني اسرائيل (باسم التوراة) و (سفر الشريعة) كما يظهر من باقي كتب العهد العتيق و يعرف أيضا في العهد الجديد بالناموس (١) (متى ٢٢ : ٤٠)

(١) حاشية : (الناموس) كلمة يونانية معناها أيضاً (الشريعة) وكانت في الاصل عند اليهود الاقدمين تطلق خاصة على سفر الشريعة أو التوراة (وهو المسمى الآن بالتثنية) ولكن توسع فيها اليهود المعاصرون للمسيح والذين بعده وصاروا يطلقونها أيضا على أي كتاب من كتب العهد القديم ولو كان خاليا من الشريعة كالمزامير (راجع انجيل يوحنا ١٢ : ٣٤) ومن ذلك نشأ عند أهل الكتاب من العرب اطلاق لفظ (التوراة) على كتب العهد القديم كلها سواء كانت لموسى ولغيره وعليه فيجوز في بعض المواضع من القرآن أن يذكر لفظ «التوراة» بهذا الاصطلاح ويريد بها كتاباً آخر من كتب أنبياء بني اسرائيل فاذا قال القرآن الشريف ان كذا وكذا موجود في التوراة ولم نجده في (سفر التثنية) كان ذلك مما فقد من كتب موسى كما سيأتي أو كان موجودا في كتاب آخر من كتب أنبياء بني اسرائيل الموجودة الآن أو المفقودة فتنبه لذلك تسلم من الخلط والخبط

وقوله (نزل به الروح الامين على قلبك) وقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) ومعنى روح القدس الروح الطاهرة وهو جبريل ملك الوحي والالهام الإلهي (انظر دا ٨ : ١٦ و٩: ٢١ ولو١: ١٩ و٢٦) وهو عبد من عبيد الله الواحد الاحد تعالى الله عما يشركون

أما قول النصارى ان روح القدس هي الاقنوم الثالث أو هي الله وأنها تشكلت بصورة حمامة (متى ٣ : ١٦) فلا أدري كيف يتفق ذلك مع قولهم ان السموات والارض لا تحصره تعالى ولا تحيط به وأنها كلها في قبضة يده راجع سفر أخبار الايام الثاني ٦ : ١٨ وقول سفر التثنية ٤ : ١٢ (فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا ....
١٥ فاحتفظوا جدا لانفسكم . فانكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب ....
١٦ لئلا تفسدوا وتعملوا لانفسكم تمثالا منحوتا صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى
١٧ شبه بهيمة ما مما على الارض شبه طير ما ذي جناح مما يطير في السماء) الخ الخ
ومع ذلك فقد عبد النصارى صورة الحمامة وصورة الثالوث كله وصور أخرى كثيرة ولا يزالون يعبدونها الى الآن الا طائفة منهم ظهرت منذ زمن غير بعيد مستنيرة بنور الاسلام. فانظر وتعجب لميل هؤلاء الناس الى الوثنية ـ كما قلنا ـ من قديم الازمان

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في التوراة والانجيل »

التوارة كلمة عبرية معناها الشريعة وتطلق في الأصل على كل ما أوحاه الله تعالى الى موسى عليه السلام ليبلغه للناس من مواعظ وقصص وشرائع وغير ذلك وسميت كل هذه الاشياء بالتوراة لان أعظم شيء فيها هو (الشريعة)

ويرى الناظر في كتب العهد القديم أن موسى عليه السلام اعتنى بشريعته اعتناءاً كليا وجزئيا حتى أنه أعاد تبليغ هذه الشريعة لبني اسرائيل بعد أن لغها لهم المرة الاولى وكتبها لهم بنفسه وسلمها لهم مكتوبة هي والوصايا العشر التي كانت

كثيرا وكتابنا «الدين في نظر العقل الصحيح» فقد ذكرنا فيه بعض هذه الشواهد) .
قال الدكتور پوست في قاموسه صفحة ٤٣٢ مجلد أول (أنه من المؤكد أن موسى عليه السلام لم يكن يعرف دان (تك ١٤ : ١٤) ولا حبرون (٣٧ : ١٤) (بهذين الاسمين) إذ هما من الاسماء التي استجدت بعده ووجودهما في هذه الاسفار مما يدل على أن واحداً غيره كتبهما بعد وفاته أو غيّرهما فيها

ونحن نستدل أيضاً من ذكر لفظ (الله) فيها بالجمع (تك ١ : ١) [1] وذكر مصارعة الله ليعقوب (تك ٣٢ : ٢٤ — ٢٩) وقصة زنا لوط (* بابنتيه وشربه

١) حاشية : اعلم أن النصارى تتخذ مثل هذه العبارة (وهي ذكر الله بلفظ الجمع في العبرية) اشارة الى التثليث مع أنهم يقرون في بعض المواضع الاخرى أن كتابهم المقدس قد يستعمل الجمع بدل المفرد لاجل التعظيم والتفخيم كما هو معروف في كثير من اللغات الاخرى . مثال ذلك أن المرأة التي كانت تستحضر الارواح قالت لشاول لما رأت روح صموئيل (رأيت آلهة يصعدون من الارض) تريد روح صموئيل فلذا اجابها شاول ما هي صورته لانه يعلم أنها تريد بالجمع هنا المفرد لتعظيم صموئيل كما كان معهودا عندهم فلذا سمته (بالآلهة) راجع سفر صموئيل الاول (٢٨ : ١٣ و ١٤) ومثل ذلك قول القرآن في سورة يونس (على خوف من فرعون وملأهم) بدل ملأه

فكذلك عبارة سفر التكوين هذه (١ : ١) وغيرها ان لم يكن المراد بالجمع فيها التعظيم تكون اشراكا بالله تعالى وهو ما تنزه الديانة الموسوية عنه لمخالفته سائر نصوصها الصريحة في التوحيد والتنزيه

*) حاشية — يكثر في كتب اليهود والنصارى أمثال هذه الحكايات التي تخجل السيدات والعذارى ولا يليق أن تنتشر بين الناس. فلا أدري ما الحكمة من الاكثار من ذكر مثل القصص الآتية :—

(١) سكر نوح وانكشاف عورته (تك ٩ : ٢٠ — ٢٧)

(٢) سكر لوط وزناه بابنتيه

(٣) خداع أمنون بن داود لاخته العذراء وافتضاضه لها (٢ صمو ١٣) والذي دبر له هذه الخدعة يوناداب ابن عمه وسماه الكتاب المقدس (رجلا حكيما جدا) لانه دبر له هذه الحيلة الدنيئة (٢ صمو ١٣ : ٣) ولما قتل أمنون هذا حزن عليه داود وبكاه بكاء مراً طول حياته مع أنه فسق بابنته (٢ صمو ١٣ : ٣٦ و ٣٧)

(٤) زنا داود بامرأة أوريا وتعريضه زوجها للقتل في الحرب بكتاب أرسله مع أوريا نفسه مع أنه كان جاراً له (٢ صمو ١١)

(٥) احضارهم الى داود في آخر أيامه فتاة جميلة جداً عذراء (وهو تعبير كثير =

أما باقي الكتب المنسوبة الى موسى عليه السلام فلم تسم (بالتوراة) ولا (بسفر الشريعة) بين اليهود الاقدمين كما هو ظاهر من كتب العهد القديم والغالب أنها ما كانت كثيرة التداول بينهم قبل أسر بابل ولا كانت معروفة لجميع الناس اللهم الا الشرائع التي تتضمنها هذه الكتب فالظاهر ان فسادها قليل جدا كالكلام على اجترار الارنب الجبلي مع أنه لايجتر (تث ١٤ : ٧ ولا ١١ :٦) ومثل شريعة برص الثياب (لا ١٣ :٤٧ ـ ٥١) وبرص البيوت (لا ١٤ : ٣٣ الى ٥٥) فانها كلها شريعة لافائدة منها ولا يفهم أحد لها معنى الآن

ولا ننكر أن موسى عليه السلام بلغهم كثيرا من القصص التي في تلك الكتب ولكنه لم يكتبها لهم فهي بمنزلة الاحاديث عندنا ويجوز أن يكون بعض الناس كتب شيئا منها في زمنه عليه السلام كما كتب بعض الاحاديث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن ينهى عن كتابتها . وكثير مما في هذه الكتب من التواريخ قد حضره بنو اسرائيل بأنفسهم وعلموه فهو لا يحتاج لتبليغ موسى بل تناقله اليهود فيما بينهم بالروايات الشفوية أو بكتابة بعضه كما قلنا فدخله كثير من التحريف والتبديل والنقص والزيادة

وقبل سبي بابل لم تجتمع هذه الكتب على هيئتها الحاضرة كما جزم بذلك علماؤهم (راجع قاموس الكتاب المقدس لبوست مجلد ١ ص ٥٥٩) ولا يعرف باليقين من كتب الاسفار الاخرى غير سفر التثنية والظاهر أنها كتبت في أوقات مختلفة وتم وجودها بين اليهود قبل سنة ٧٢٠ ق . م . أي قبل وجود السامريين وكانت جمعت من الروايات الشفوية ومن بعض المحفوظات القديمة المكتوبة فهي ككتب السير والتواريخ عند المسلمين وليست متواترة عند اليهود بخلاف سفر الشريعة (التوراة) الذي كانت الانبياء تقيم أحكامه من عهد موسى إلى عيسى عليهما السلام (انظر متى ٥ : ١٧ و ١٨)

وقد استدل كثير من العلماء بوجود بعض عبارات من حوادث متأخرة ومن وجود بعض أسماء لم تكن معروفة في زمن موسى بل حدثت بعده ـ أنه عليه السلام لم يكتب كل هذه الأسفار المنسوبة إليه (راجع كتاب اظهار الحق تجد من ذلك

الله تعالى على خلقه الانسان وحزنه لذلك (تك ٦ : ٦) وقصة الحية وأكلها التراب

= خصوصية؟ جاء في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ما يأتي ٤ : ١٣ (الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربس احضره متى جئت والكتب أيضاً ولاسيما الرقوق ١٩ (سلم على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسفورس ٢٠ أراستس بقي في كورنثوس وأما تروفيمس فتركته في ميليتس مريضاً ٢١ بادر أن تجيء قبل الشتاء) الخ الخ وفي رسالته إلى فليمون : ٢٢ (ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلا) فهذه بعض أمثلة جاءت في كتبهم التي يقولون أنها لا تتكلم الا في المسائل الهامة العامة والتي (كما يقول صاحب كتاب الهداية) يتعبدون بها في صلواتهم ويرتلونها في كنائسهم . . أما عناية القرآن بالمرأة وهي الجنس الضعيف المظلوم وكثرة نزول آيات في أمورها وأحوالها وكيفية معاملتها وحفظ حقوقها الخ فهو عند النصارى منتقد ولا يليق ذكره

واجع مثلا سورة التحريم ـ وهي السورة التي يكثر انتقاد النصارى لها ـ تجد أنها عامة لا خاصة وتعلم الامة الادب والكمال واللطف واللين في معاملة النساء والصبر على أعمالهن وتخويفهن بالحسنى وزجرهن عن إفشاء سر أزواجهن ثم بث النصح لهن وأمرهن بالتوبة والتقوى وضرب الامثال الصالحة لهن الى غير ذلك مما تجده مبسوطاً في تفسير (نظام القرآن) المطبوع بالهند ومنه يتبين نفع هذه السورة لسائر البشر

ثم قارن هذه السورة وسائر القرآن الشريف بكتبهم المقدسة وما ذكر فيها من الحكايات في السكر والفسق والقتل واهلاك الحرث والنسل يتبين لك الفرق بين آداب القرآن وآدابهم وأن مبشريهم ودعاتهم متعصبون عليه متحاملون أو جاهلون وانهم كما قال سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام ينظرون القذى (على فرض ان هناك قذى) الذي في عين اخوانهم ولا يفطنون للخشبة التي في أعينهم

يقولون إن اله المسلمين ليس اله قداسة وطهارة لانه رضي لمحمد تعدد الزوجات ولا ندري لماذا رضي لهم إلههم الطاهر القدوس ولانبيائهم كل تلك الجرائم والجنايات ولم يخسف بهم الارض كما فعل بقوم لوط ؟ وكيف يتعبدون بمزامير داود وهم الذين قصوا علينا من أعماله ما قصوا وكيف محيت ذنوبه وغفرت له ولا يغفر لمحمد ما فعله مما أباحته كتبهم وأتت أنبياؤهم بأضعاف أضعافه وقد بينا حكمة أعمال النبي هذه في كتابنا (الاسلام)

فان قالوا ان المسيح لم يفعل مثله قلت يوجد بين الانبياء مثل يوحنا (يحيى) =

الخمر وسردها بطريقة لا تشعر بشناعتها و بشاعتها (تك ١٩ : ٣٠ — ٣٨) وندم

= الورود في الكتاب المقدس) لتحتضنه ولتضطجع معه ليدفأ (املو ١:١ ـ ٤)
(٦) دخول أبشالوم على سراري أبيه أمام جميع اسرائيل (٢ صمو ٢٢:١٦)
(٧) زنا يهوذا بن يعقوب بامرأة ابنه فأتت بفارص أحد أجداد المسيح (تكوين ٣٨ ومتى ١ : ٣)

فهذا قليل من كثير مما ورد في هذه الكتب المقدسة! من الحكايات التي لا ترتضي نشرها الآداب وتنفر منه الفضيلة وتشمئز منه أصحاب النفوس العالية ولو ورد أمثالها في جريدة من الجرائد السيارة لنبذها الناس نبذ النواة

فما الفائدة من الاطناب والاكثار من حوادث السكر والزنا وفسق الانسان ببناته وأخته وامرأة جاره ونساء أبيه وامرأة ابنه في كتب مقدسة جاءت لنشر الآداب والفضائل بين الناس مع أن أمثال هذه الحكايات يسهل على الاشرار ارتكاب مثلها ـ بعد أن كانوا يظنون أن جرائمهم شاذة لم يسبقهم اليها أحد وأنهم باتيانها صاروا عارا على المجتمع الانساني ـ فكيف بهم اذا وجدوا في كتبهم المقدسة أن أنبياءهم وهم قدوة الناس وأولاد أنبيائهم أتوا بما هو أشنع مما اقترفوا ؟ وقد غفر الله تعالى لاكثرهم ما فعلوا ! !

ومع ورود هذه القصص في الكتب المقدسة ترى النصارى يطعنون في الآداب الاسلامية ويفضلون المسيحية عليها ويعيبون القرآن ويشنعون عليه لذكره بعض أشياء قليلة ـ بكل أدب ونزاهة وكمال ـ تتعلق بنساء النبي في سورة أو سورتين مع أن هذه الاشياء فضلا عن كونها تمثل الفضيلة تعلم الناس شيئاً من أخلاق النساء وطباعهن وكيف تكون معاملاتهن وتأديبهن باللطف واللين والصبر عليهن أو انذارهن انذاراً بسيطاً وترشد النساء عامة الى أنهن مسئولات وحدهن عن أعمالهن أمام الله تعالى ولا ينجيهن من الحساب نسبتهن لأزواجهن مهما كانوا عظاما وكباراً

ومن العجيب أنك ترى النصارى يعيبون القرآن لايراد بعض هذه الاشياء القليلة جدا المتعلقة بنساء النبي والتي يراد بها تعليم الامة وإرشادها ولا يعيبون رسائل بولس لورود أشياء شخصية خصوصية فيها لا فائدة منها لاي فرد من أفراد البشر مع زعمهم أن هذه الرسائل ليست خصوصية بل هي مكتوبة بالوحي والالهام لمنفعة جميع الامم . فما فائدة العالم من ذكر الاشياء الآتية فيها؟ ولم لم تذكر في رسائل أخرى؟ =

نستدل بهذا أن موسى ما كتب هذه الكتب بل كتبها أناس مجهولون في أزمنة مختلفة وما ذكرناه من سفر التكوين يدل على أن الذي كتبه رجل لم يقدر الله تعالى حق قدره ولا انبياءه وربما كان مشركا به أي من اليهود المرتدين الذين عبدوا الاصنام ولا مانع من أن اليهود حوروه بعد ذلك وتوسعوا فيه

فهذه الكتب الاربعة المنسوبة لموسى عليه السلام تشتمل على تاريخ اليهود منذ الخليقة الى زمن موسى وبعض رواياتها صحيح والبعض الاخر كذب أو خطأ فلذا لا نعول عليها

وكما نسبوا اليه هذه الكتب نسبوا إليه غيرها ومثل (كتاب المشاهدات وكتاب التكوين الصغير وكتاب المعراج وكتاب الاسرار وكتاب الاقرار) وكتاب التكوين الصغير هذا كان باللسان العبري إلى المئة الرابعة بعد المسيح واستشهد به بعض النصارى الأولين وكانت ترجمته موجودة إلى القرن السادس

= على شيء من ملاذ الحياة يقرب مما كان يحصل عليه مثله بلا تعب ولا نصب وهو هادئ البال مستريح الفؤاد؟ لا تنس انغماس العرب في اللذات والشهوات اذ ذاك

وما الذي منعه عن الانغماس مثلهم فيها في بعد أن دانت الرقاب له؟ وخضعت له العباد وأتته الدنيا بخيراتها وهو لايزداد إلا بعد عنها فهل هذه حياة الشهوانيين؟ وما الذي منعه عن السكنى في القصور وعن التزين بالذهب اوالحرير وكنز القناطير المقنطرة من الاموال وملء بيته بألذ المأكولات وأطيبها وأشهاها وبالخدم والحشم والعبيد وبالعذاري الجميلات الفتيات وقد كان له أن يحتذي بمن سبقه من الانبياء كداود وسليمان . ما الذي حمله على اضاعة جميع أوقاته في الكد والتعب والنصب ليلا ونهاراً في الحروب وفي العبادات وفي ارشاد الناس وتربيتهم ؟ وما الذي منعه عن أن يملأ بطنه ويقضي ليله في معانقة الغيد الحسان والكواعب الابكار بدل قيام الليل في عبادة الرحمن ؟ هل هذا شأن الشهوانيين ؟ اللهم لا ! وما الذي ناله المسيح عليه السلام من الحياة حتى يقارن بمحمد الذي كان كأعظم الملوك وأكبر القياصرة والسلاطين . فمن امتنع عن اللذات مع القدرة ليس كمن لم يجد منها شيئا فاتقوا الله أيها السبابون في خير نبي أخرج للناس

(تك٣ : ١٤) والكلام على برص الثياب والبيوت (لا ١٤ : ٥٥) وغير ذلك

= وغيره كثيرون لم يبلغوا ما بلغه موسى وداود وسليمان ومحمد من الملك وسعة السلطان وطول العمر فلم يفعلوا ما فعلوه ؟ ولا ندري أن لو طال بهم الزمان وبلغوا ما بلغه هؤلاء من السلطان ماذا كانوا يفعلون فالمقارنة يجب أن تكون بين مثلين متحدين في الاحوال والظروف لا بين مختلفين فيها والا كنا جائرين ظالمين

ولنذكر هنا شيئاً من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدعي النصارى ظلما وزوراً أنه كان شهوانياً

(١) أما أكله فقد كان يطوي الليالي وهو جائع ويشد الحجر على بطنه من ألم الجوع واذا أكل لا يشبع ولا يأكل الاأصنافاً تافهة ولم يجمع بين إدامين في إناء واحد ولا أكل طعاماً ذا نارين وكان يصوم شهر رمضان من كل سنة وأياما من كل شهر

(٢) وأما لبسه فقد كان يرقع ثوبه ويخصف نعله بيده ولا يلبس حريراً ولا ثوبا فاخراً وقد حرم على رجال أمته لبس الحرير

(٣) وأما مسكنه فقد كان في حجرات حقيرة

(٤) وأما نومه فقد كان ينام على الارض أو على أحقر الفراش ويبيت أكثر الليل قائماً يصلي كما أمره القرآن واذ انام قليلا منه اضطر الى اليقظة قبل طلوع الشمس لأداء فريضة الفجر ولا يخفي ما كان يتكبده من المشاق للتطهر قبل الصلاة كالاغتسال في ليالي الشتاء وكثرة الوضوء

(٥) وأما نهاره فيقضيه في الصلوات الخمس في أوقاتها مع النوافل وفي قضاء حاجاته وحاجات الناس والنظر في مصالحهم وتعليمهم الدين والقرآن ومحاربة الاعداء وغير ذلك

(٦) وأما النساء فقد قضى شبابه مع عجوز واحدة ولم يتزوج غيرها إلى ما بعد الخمسين ولم يكن بين نسائه بكر غير عائشة وكانت في سن لا تشتهى فيها ثم حرم عليه النساء بعد ذلك مطلقاً غير التسع وما كان يجوز له ان يبدلهن بغيرهن (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن)

(٧) وأما المال فكان طول حياته فقيراً يقترض المال من اليهود وما اكتنز شيئا لنفسه قط

فهل هذه حياة الشهوانيين ؟ وهل لمثل ذلك يتكبد دعوى النبوة وهو لم يحصل =

وفي سنة ٢٨٥ ق . م اجتمعت لجنة من اليهود بأمر بطليموس فيلادلفوس وترجموا ما عندهم من الكتب العبرية الى اللغة اليونانية وكان عددهم ٧٢ نفرا وسميت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية أو اليونانية وكانت تشتمل على كثير من الكتب الابوكريفية , أي غير القانونية) وهذه الترجمة كانت مستعملة بين النصارى من عهد وجودهم الى القرن الخامس عشر وهي الآن مستعملة في الكنيسة الشرقية. وبينها وبين العبرية اختلافات كثيرة في كثير من العبارات والفقرات والالفاظ ومع ذلك لم يقتبس مؤلفو العهد الجديد إلا منها وكانت أيضا محترمة عند اليهود

أما هذه الكتب الابوكريفية (أي المكذوبة الموضوعة) بحسب اعتقاد البروتستنت فهي أربعة عشر (١) اسدراس الاول (٢) اسدراس الثاني (٣) طوبيت (٤) يهوديت (٥) بقية أصحاحات سفر استير غير الموجودة في العبراني والكلداني (٦) حكمة سليمان (٧) حكمة يشوع بن سيراخ (٨) باروخ (٩) نشيد الثلاثة الفتية المقدسين والاصحاح الثالث عشر والرابع عشر من سفر دانيال (١٠) تاريخ سوسنة (١١) تاريخ انقلاب بيل والتنين (١٢) صلاة منسى ملك يهوذا (١٣) مكابيين ١ و (١٤) مكابيين ٢ . وهذه الكتب موجودة في الترجمة السبعينية كما قلنا وفي الترجمة اللاتينية وفي التوراة الكاثوليكية الرومانية وكانت مسلمة عند

= الاول عندهم . وأما الالواح الاخرى فكانت تشتمل على الشريعة (التوراة) والذي كتبها هو موسى بعد ان سمعها من الله تعالى بامره (خر ٢٤ : ٤ و ٣٤ : ٢٧ و ٢٨) فكانت منزلة هذه الالواح اقل من منزلة اللوحين الاولين المشتملين على اصول الدين وأساس الشريعة فلذا اقتصرت كتب اليهود على ذكر هذين اللوحين العظيمين اللذين كتبهما الله تعالى لان كسرهما أمر كبير ولم تذكر الالواح التى كتبها موسى عند الكلام على قصة العجل لان قيمتها اقل من قيمة لوحي العهد الربانيين ولا يخفى أن عدم ذكرها في هذه القصة لا يدل على عدم وجودها

وفي آخر حياة موسى عليه السلام نسخ من هذه الالواح الحجرية كتابا سلمه للاويين ليضعوه بجانب تابوت عهد الرب المشتمل على لوحي الشهادة (تث ٣١ : ٢٤ — ٢٦) وانما فعل موسى ذلك ليكون حجم التوراة أصغر وحملها أيسر من حمل تلك الالواح الحجرية الثقيلة

وقول القرآن (وكتبنا له في الالواح) لا يستلزم أن الله تعالى هو الذي كتبها كلها بنفسه بل منها ما كتبه هو ومنها ما أملاه على موسى وأمره بكتابتها وكل عمل للعبد تصح نسبته للمولى تعالى

عشر ثم رفضوه ففقد . ويجوز ان هذه الكتب المذكورة هنا كانت تشتمل على بعض روايات صحيحة عن موسى عليه السلام . ومما فقد أيضا من الكتب المنسوبة لموسى عليه السلام كتاب يسمى (حروب الرب) ذكر اسمه في سفر العدد ٢١ : ١٤ ولا وجود له الآن . وكذلك ضاع كلامه عن البعث والنشور فلا يوجد في هذه الاسفار ذكر لهذه العقيدة الكبرى التي تضارع الايمان بالله ولا يعقل أن موسى لم يخبرهم بها صراحة

والخلاصة أن شريعة موسى عليه السلام (التوراة بالمعنى الاصلي) أو ملخصها موجودة مع شيء قليل جداً من الغلط كما بينا وتكاد تكون متواترة بين اليهود في سفر التثنية لولا كثرة إرتدادهم وأما باقي الكتب فهي تشتمل على روايات منها الصحيح ومنها الكاذب ومنها الغلط

فتوراة موسى بالمعنى الاعم (أي كل ما أوحي إليه وبلغه الى الناس) لم تصل إلينا بل بعضها فقد وبعضها زيد فيه وبعضها تحرف فهي كالاحاديث عند المسلمين

وبعد سنة ٧٣١ ق . م أي بعد انقراض مملكة اسرائيل وجد السامريون وكانت الوثنية فاشية في آبائهم وفيهم وما كانوا يهتمون بالتوراة ولكنهم بعد ذلك اتخذوا لهم نسخة من هذه الكتب تشتمل على الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى وعلى سفري يشوع والقضاة وتختلف نسختهم عن نسخة اليهود العبرية في كثير من المواضع كأعمار القدماء وكجبلي جرزيم وعيبال ويوجد في السامرية وصية زيادة عن الوصايا العشر (١)

(١) في سفر التثنية أن الوصايا العشر كانت مكتوبة على لوحين كسرهما موسى حينما رأى قومه يعبدون العجل (تث ٩ : ١٧) والقرآن الشريف يذكر هذه الالواح بالجمع فالمراد بالجمع هنا ما زاد عن الواحد وهو معروف في اللغة العربية . وقوله تعالى (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء) معناها كل شيء من أصول الدين واسسه التي يبنى عليها والوصايا العشر هي كذلك ففيها تفصيل جميع أصول الدين الموسوي وقد قال المسيح في وصيتين اثنتين فقط (متى ٢٢ : ٤٠) (بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء) . وورد في القرآن في قصة ملكة سبأ قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) أي من لوازم الملك في ذلك الزمن فهو مثل قوله (وتفصيلا لكل شيء) ويجوز ايضا أن هذه الالواح المذكورة في القرآن الشريف كانت عديدة وكان منها لوحان فيهما الوصايا العشر المشهورة وكتبها الله تعالى بنفسه عليهما وكان لهما المقام =

تنتظره الامم من قديم الزمان وهو مشتهى كل الامم (حجي ٢ : ٧) الذي به ملئ بيت أورشليم مجدا وعمرانا وعادت إليه عبادة الله بدون شرك ولا تشبيه وبمجيئه يعلم قرب مجيء يوم الدين يوم القصاص العادل بين عباد الله أجمعين وانصاف المظلومين ورحمة المتقين الصابرين وخلاص المؤمنين

هذا والانجيل لم يكتب في زمن عيسى عليه السلام . و بعدزمنه بقليل وجدت أناجيل عديدة (لوقا ١ : ١ ـ ٣) تشمل كثيرا من أقواله وأفعاله مع زيادة ونقصان وتحريف وتبديل وكذب فاختارت النصارى منها أربعة لا يعرف باليقين من كتبها ومتى كتبت وهي منسوبة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا واثنان من هؤلاء من الحواريين كما يقولون واثنان ليسا منهم وهم مرقس ولوقا وهذه الاناجيل مختلفة اختلافا عظيما ومشتملة على كثير من الخطأ والغلط والوهم وقد ذكرنا أمثلة لذلك في كتابنا (الدين في نظر العقل الصحيح) واستقصى هذه المسألة كتاب اظهار الحق فليراجعه من شاء

وهذه الاناجيل الحالية كتب أصلها باللغة اليونانية ما عدا انجيل متى فانه كان بالعبرية كما اتفقت على ذلك شهادة جميع الآباء من النصارى الاقدمين ولكنه فقد و بقيت ترجمته اليونانية ولا يعرف من ترجمها ولا متى ترجمت . وقولهم الآن : إن متى كتبه أيضا باليونانية ، لا يوجد عليه دليل عندهم و إنما هو ظن لا يوثق به ولم يقل بذلك أحد من قدمائهم

واعلم أنه لا يوجد عند أهل الكتاب نسخة عبرية من كتبهم قبل القرن العاشر وأهم ما عندهم من النسخ اليونانية القديمة ثلاث : ـ

(١) النسخة السينائية و يظنون أنها كتبت في القرن الرابع

(٢) والنسخة الفاتيكانيه ويقال إنها كتبت في القرن الرابع أيضا

(٣) والنسخة الاسكندرية و يظنون أنها كتبت في الخامس

ولا دليل لهم قاطعا على شيء من هذه الظنون واختلف علماؤهم في ذلك إختلافا كبيرا

أما السينائية فوجدت في دير في طورسيناء وتشتمل على كتب العهد الجديد وجزء من العهد القديم وهي توجد الآن في بطرسبورج

جميع فرق النصارى قبل وجود البروتستنت ماعدا كتابي اسدراس وصلاة منسى ولا تزال كذلك الى اليوم عند الاورثوذكس والـكاثوليك

وأما أبو كريفا العهد الجديد فتحتوي على كثير من الاناجيل والرسائل وعددها ٧٤ كتابا ولا يعتقد فيها النصارى الآن وكانت قديما منسوبة الى المسيح عليه السلام وإلى تلاميذه والى بولس فانظر كيف كان هؤلاء الناس يدسون الـكتب الـكثيرة بين كتب الله!

أما كلمة (الانجيل) فهي يونانية ومعناها البشارة وسمي الوحي الى عيسى بذلك لانه جاء مبشرا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى عن لسانه (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) فعيسى عليه السلام بشر الناس بقرب مجيء خاتم النبيين لهم بأكمل شريعة وأرقى دين لأرقى أطوار البشر وأنسب شريعة لطبيعة الإنسان في كل زمان ومكان والتي ترفع ما وضع على الامم السابقة من الاصر والاغلال وأجمع دين لمصالح الدنيا والآخرة ولحاجات الروح والجسد فقال عليه السلام (يو ١٦ : ١٢ - ١٤ ان لي أمورا كثيرة أيضا لاقول لـكم ولـكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن ١٣ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لايتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ١٤ ذاك يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم)

وكان عيسى عليه السلام وتلاميذه يبشرون دائما بمملـكة محمد (ص) تلك المملـكة المجيدة الجليلة التي زانها الحق وعبادة الله تعالى وحده فلذا سماها المسيح (ملـكوت السموات) أو (ملـكوت الله) لأنها مملـكته تعالى في الارض وقانونها هو كتابه ورؤساؤها هم خلفاؤه (راجع انجيل متى ٣ : ٢ و ٤ : ١٧ و ٢٣ و ٦ : ١٠ و ١٣ : ٣١ و ٣٢ و ٢٠ : ١ - ١٦ و ٢١ : ٣٣ - ٤٤ واوقا ١٠ : ٩ و ١١) وهم الصديقون الذين يرثون الارض ويسكنونها إلى الابد (مزمور ٣٧ : ٢٩) ويدخلون باب الرب (مز ١١٨ : ٢٠) ومملـكتهم هي المملـكة التي لا تنقرض أبدا كما قال دانيال (٢ : ٤٤) وتفنى مملـكتي الفرس والرومان (راجع فصل البشائر)

فلذلك سمي الوحي إلى عيسى عليه السلام بالبشارة لان أعجب شيء فيه وأعظمه انما هو البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقرب مجيئه وهو الذي كانت

أنها زائدة ولذا يضعونها في نسخهم بين قوسين إشارة لذلك . فهذا شيء من

= جميع هذه النصوص ولذلك يسميه دائما بولس وغيره (الرب يسوع) كلما ذكروا اسمه مع الله الآب (أنظر مثلا اتسالونيكي ١ : ١ ويعقوب ١ : ١ و ٢ بطرس ١ : ٢ وغير ذلك كثير) والرب هو السيد فلذا ميزوه عن الآب بهذا اللقب فهو على زعمهم رب العالم والهه الثانوي ولكن الله سيده والهه وخالقه والمعطي له كل سلطة وسيخضع الابن له كما قال بولس (١ كو ١٥ : ٢٨) ألا ترى الى قوله ١ كور ١١ : ٣ (ان رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله) وقوله ١ كور ٨ : ٦ (لكن لنا اله واحد الآب الذي منه جميع الاشياء ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به) وهما صريحان في أن المسيح أقل درجة من الله وأن الله رئيسه وأن الاله واحد وهو (الاب) وأن المسيح هو سيد فقط وقد عمل الله الواحد به جميع الاشياء . ومن الغريب أن النصارى لما وجدوا بولس وغيره لا يسميه الها في رسائله الا مجازا كما سمي موسى في التوراة (خر ٧ : ١) ولا يساويه بالله الآب عمدوا الى التحريف فزادوا اسم (الله) في حق المسيح ليساووه بالاب وقد عرف ذلك بمقابلة النسخ الحالية على النسخ القديمة وأقر بذلك علماؤهم كما في الرسالة الاولى الى تيموثاوس ٣ : ١٦ فلم يكن فيها لفظ (الله) وأصل العبارة (الذي ظهر في الجسد) وكذلك أبدلوا لفظ (الرب) بلفظ (الله) في سفر الاعمال ٢٠ : ٢٨ «كما قال كريسباخ أحد المحققين منهم» ولا يبعد على مثلهم التحريف في غير هذين الموضعين كما بين في المتن ولكن المبشرين يكابرون ويزعمون أن كتابهم لم يمس بسوء

وقد اعترف المسيح نفسه كما في انجيل يوحنا أن الفاعل للاعمال التي يعملها والاقوال التي يقولها هو الله الاب كما سبق ولو كان أقنوم (الابن) الموجود فيه الها لقال ناسوت المسيح ان العامل فيّ لكل شيء هو (الله الابن) لكنه لم يقل ذلك قط . ولم يرد لفظ أقنوم في كتابهم مطلقا وترى النصارى الان لا تقول بحلول أقنوم الاب في المسيح مع أن المسيح يقول (الاب الحال فيّ) (يو ١٤ : ١٠) فلا ندري أيها نصدق ولماذا أختلفوا ؟

واذا كان الاب حالا في المسيح كما قال وكذلك الابن والروح القدس (يو ١ : ٣٢) فالمسيح حامل للثالوث كله الذي لا تسعه السموات والارض (٢ أي ٢ : ٦) فلماذا اذاً يسمونه (الابن) مع أن فيه الثلاثة لا الابن وحده ؟ ولماذا نرى المسيح يطلب من الاب وحده كل شيء ؟

ولماذا لا يجعلون الاقانيم أربعة أخذا من قول لوقا ١ : ٣٥ (الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك) فيكون الاقنوم الرابع اسمه (قوة العلي) ؟

ولماذا لم تمكن مريم الهة مع أن روح القدس حل عليها وعلى غيرها أيضا كما سبق (أع ٢ : ٤) ؟

واذا كان الله حالا في الكل وعلى الكل وبالكل كما قال بولس في رسالته الى أهل أفسس (٤ : ٦) وأنهم هيكل الله الحي (١ كور ٣ : ١٦) فلماذا اختص المسيح بالالوهية والعبادة مع أن الله ليس موجودا فيه وحده بل في غيره أيضا ؟ فهذه يا قوم هي العقائد السامية في اللاهوت التي تدعونا النصارى اليها وهي كما ترى متضاربة متناقضة غير صريحة في كتبهم وناقصة ولم تكمل في اذهانهم الا بعد المسيح وتلاميذه وبعد انتهاء زمن تأليف الاناجيل وبعد أن اختلفوا واقتتلوا فيها دهورا طويلة سالت فيها دماؤهم أنهارا ولا يزالون الى الان مختلفين فانظر وتعجب !!

وأما الفاتيكانية فوجدت في مكتبة البابا بالفاتيكان برومة وفيها العهد القديم والجديد ولا تزال برومة

وأما الثالثة فوجدت في الاسكندرية وتشتمل على العهدين مع كتب أخرى غير قانونية وتوجد الآن في لندن .

ولما قابلوا الكتب التي في أيديهم على هذه النسخ القديمة وجدينها ألوف من الاختلافات بالزيادة والنقص والتبديل وهم يقولون إنها اختلافات طفيفة وليست جوهرية ولكنا نورد هنا شيئا من هذه الاختلافات التي نقول إنها هامة :ـ

(١) ما في مرقس١٦ : ٩ ـ ٢٠ وهذه العبارات تتضمن ظهور المسيح بعد قيامته لتلاميذه ودعوة العالم كله للنصرانية وغير ذلك . وهي غير موجودة في النسخة السينائية ولا في الفاتيكانية وعليها علامات الريب في نسخ اخرى قديمة وأنكرها في القرن الرابع كل من أوسابيوس وايرونيموس

(٢) ما في يوحنا ٧: ٥٣ ـ ٨ : ١١ وهو قصة عدم رجم المسيح للزانية وهي غير موجودة في أكثر النسخ القديمة ولا في السينائية والاسكندرية والفاتيكانية

(٣) مافي رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧ وهي العبارة الصريحة الوحيدة في عقيدة التثليث (* وهي غير موجودة في النسخ القديمة ومعتبرة عند أكثر المحققين منهم

*) حاشية : مما يزيدك وقوفا على أن عقائد النصارى لم تكن ناضجة في أذهان كتاب العهد الجديد وأنها كانت في طور النشوء والتكون ما جاء في انجيل يوحنا وهو عند المسيحيين أصرح الاناجيل وأرقاها بالنسبة لعقائدهم هذه . قال عن المسيح ١٤ : ١٠ (الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال في هو يعمل الاعمال) وقال ١٤ : ٢٤ (والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي ارسلني) وكلاهما يدل على أن أقنوم الابن المتحد بالمسيح والحال فيه ليس الها حقيقيا لان العامل في المسيح والمتكلم فيه هو الآب والا فلماذا ترك ذكر الابن ولم ينسب اليه أي عمل أو قول اذا كان أقنوم الابن الها كما يزعمون ؟ ولماذا قال ان الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئا (يو ٥ : ١٩) ولماذا صلى الابن للاب حينما أراد احياء العازر من الموت (يو ١١ : ٤١ ـــ ٤٢) ؟؟

فالظاهر من العهد الجديد كله أن الابن لم يكن الها حقيقيا مساويا لله تعالى وانما صنعه الله قبل جميع الخلائق فهو بكرها كما قال بولس (كولوسي ١ : ١٥) وأخضع له كل شيء (أفسس ١ : ٢٢) وبه عمل العالمين (عب ١ : ٢) فالله تعالى هو العامل فيه كل شيء (أع ٢ : ٢٢) وهو الذي صيره الها بعد أن وجد في البدء كما قال يوحنا ١ : ١ (وكان ه أي صاره الكلمة الله) وسيخضع الابن لله تعالى (اكور ١٥ : ٢٨) فهو ليس في مرتبة الاله الاب كما يفهم من =

وتحريفهم انتشر فيما بعد في جميع نسخهم ولولا وجود تلك النسخ القديمة لما عرفوا ذلك فما يدرينا أن النسخ التي كانت قبل التي وجدوها وقع فيها مثل هذه التحريفات أيضا ؟ ومن يضمن صحة نسبة هذه الكتب إلى أربابها مع أنه كان لهم كتب مثلها كثيرة وقالوا إنها غير قانونية ورفضوها ؟ ومن يثبت لنا صدق كَتَبَتِها وعصمتهم من الخطأ والغلط كيف واننا نرى فيها كثيرا من الغلط كما تقدمت الاشارة الى بعضه ويظهر من بعض عبارات كتبهم كمقدمة انجيل لوقا ١ : ١ - ٤ أنها لم تكتب بالالهام بل بالاجتهاد

والخلاصة أن هذه الاناجيل لا يثق المسلمون بشيء منها الآن وهم لا يعتدون الا بما قاله المسيح نفسه وثبت لهم أنه وصل اليهم بدون تحريف ولا تبديل وهيهات أن يثبت ذلك

وكما حرفت النصارى الاناجيل وغيرها كذلك دست على يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير في (التاريخ القديم) كتاب ١٨ فصل ٣ راس ٣ عبارة مقتضاها (أنه يجوز أن عيسى لم يكن انسانا وأنه صلب وقام من الموت في اليوم الثالث) وقد جزم المحققون منهم بأن هذه العبارة مدسوسة عليه وأنه لم يكتبها بل ان يوسيفوس سكت عن سيرة المسيح بأكلها ولم يشر اليه إشارة تذكر (راجع أيضا ماقالته دائرة المعارف الانكليزية في هذا الموضوع) وللعلماء الذين أنكروا صحة عبارة يوسيفوس هذه أدلة كثيرة يطول بنا شرحها في مثل هذا الكتاب وأهمها أنها لم تكن معروفة لأوريجانوس المتوفى سنة ٢٥٤ بعد الميلاد وهو الذي كان صارفا همه كله الى جمع كل ما جاء في تاريخ يوسيفوس عن المسيح عليه السلام ومع ذلك لم يذكر هذه العبارة فاذا كانت موجودة في أيامه في التاريخ المذكور فلم تركها وهي من الاهمية بمكان عظيم ؟

فترى النصارى كما حرفوا كتب قدمائهم - كما اعترف بذلك لاردنر في تفسيره وآدم كلارك و يوسي بيس في تاريخه وغيرهم كثيرون - كذلك حرفوا كتب اليهود فزادوا في تاريخ يوسيفوس ماراوه يؤيد دعاويهم ومن ذلك يظهر لنا أن اليهود كانوا في غاية الجهل والضعف والتفرق والذل والبعد عن البحث والقدرة على المعارضة

الاختلافات التي يقولون عنها إنها طفيفة

قال صاحب كتاب (الادله السنية على صدق أصول الديانة المسيحية) إن من هذه الاختلافات : ـ

(١) ما نتج من فقد جملة صحيحة من النسخة

(٢) ما نتج من مخالفة ترتيب الكلمات

(٣) ما نتج من وضع الكتاب خطأ كلمة عوضا عن أخرى ، اذ لا تختلفان إلا في حرف أو اثنين

(٤) ما نتج من إدخال عبارات أو جمل كاملة من (بشارة)أو اثنتين إلى الثالثة لجعل الأناجيل متشابهة

(٥) ما نتج من قصد النساخ أن يجعلوا الاقتباسات من العهد القديم في الجديد مضبوطة

(٦) ما نتج من استبدال بعض جمل بأخرى كانت في الحاشية

(٧) ما نتج من استبدال بعض الألفاظ القديمة بغيرها من الحديثة

(٨) ما نتج من زيادة أو حذف كلمات تحدث تغييرا طفيفا في المعنى

(٩) ما نتج من إهمال بعض النساخ في وضع أو ترك أداة التعريف

إنتهى باختصار (راجع ص ٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ من الكتاب المذكور . وقال في ص ١٠١ و ١٠٢ عن قول متى (٢٣:٣٥) أن زكريا بن برخيا (إن المذكور في كتاب أخبار الايام الثاني ٢٤ : ٢٠ و٢١ أن زكريا بن يهوداع هو الذي قتل وأما ابن برخيا فلا يعرف أنه قتل فالارجح أن ذكر اسم الأب هنا من خطأ الكاتب) اهـ باختصار

فأي برهان ياقوم على تلاعب النصارى بكتبهم أصرح مما ذكر وهل بعد ذلك نثق بأي شيء فيها مع أنها مملوءة بخطأ الكتاب باعترافهم ؟ أضف إلى ذلك أن هذه الكتب ما كانت محفوظة في الصدور وقل منهم من كان يعرف كل مافيها وما كانت نسخها كثيرة بأيديهم في الأزمنة القديمة وما كانت نسخها بأيدي العامة من الناس فلذا كان مجال التحريف والتبديل واسعا ولذلك ترى أن غلط النساخ

فان قيل : اذا كانت كتب اليهود الاخرى المنسوبة لموسى غير سفر التثنية ليست صحيحة فلماذا لم يوبخ المسيح عليه السلام اليهود عليها ؟ قلت :ـ

(١) ما يدرينا أنه وبخهم ولم يصل إلينا ذلك مع العلم بأن نفس كتاب الاناجيل اعترفوا بأنهم لم يكتبوا كل ما قاله المسيح أو ما فعله فقال يوحنا انه لم يكتب كل ما فعله المسيح وأن أعماله كثيرة جداً لا يسعها العالم فلا بد أن كثيرا من أقواله التي قالها حين فعل هذه الاعمال لم تكتب أيضا (يو ٢١:٢٥)

على أن المسيح صدق ما فيها من الشرائع والنبوات فقط كما في انجيل متى ٥:١٧ و ١٨ ولم يتعرض للتاريخ الذي فيها بشيء كهذا الذي في انجيل متى فان كثيرا من هذا التاريخ غير صحيح و بعضه خرافي لا يمكن أن يقره المسيح كقصة شمشون ودليلة (قض ١٦ :٤ ـ٢٢) ووقوف الشمس ليشوع (يش ١٠ : ١٣) وغير ذلك كثير

(٢) لماذا لم يوبخ المسيح اليهود على الكتب الابوكريفية (الكاذبة) التي كانت في الترجمة السبعينية وقتئذ وكانت مسلمة عند اليهود والنصارى كما هي مسلمة عند الكاثوليك والأرثوذكس إلى اليوم ؟ فان قيل إنهم ربما لم يكونوا يعتقدون أنها ملهمة من الله في ذلك الوقت . قلت وربما إنهم أيضا لم يعتقدوا صحة نسبة هذه الكتب الى موسى عليه السلام واذا كانو يسمونها (كتب موسى) فذلك لان أهم ما فيها هو تاريخه وتاريخ أمته عليه السلام كما يسمى تاريخ المسيح وتعاليمه إنجيله (غل ١ : ٧)مع أنه لم يكتبه بنفسه فيجوز أنهم ما كانوا يعتقدون أنها إلهامية ويجوز أنهم ما كانوا يضمونها إلى سفر التثنية في مجلد واحد وقد يكون هذا الضم وهذا الاعتقاد في إلهامها وصحتها إنما نشأ بعد المسيح عليه السلام في أواخر القرن الاول فبدأوا حينئذ يعتقدون أن موسى هو كاتبها لا غيره ثم تبعهم النصارى في ذلك وجاروهم ليستميلوهم لدينهم ولأنهم كانوا منهم

(٣) لماذا لم يبين المسيح للمرأة السامرية التي سألته عن اختلاف اليهود والسامريين في جبلي عيبال وجرزيم لم يبين لها بيانا صريحا المحق من المبطل ولم

لدرجة جعلت النصارى تلعب بكتبهم كما شاؤا فلا يبعد أنهم حرفوا أيضا أشياء في كتبهم المقدسة من غير أن يعرفوها أو يجرأوا على المعارضة

واذا كان هذا حالهم باعتراف علمائهم فهل بعد ذلك نثق بأي شيء نقلوه في دينهم وهم يحرفون فيه ما أرادوا أن يحرفوه ولو كان موجودا عند اليهود أيضا !؟

وقد بين هورن في الباب الثامن من المجلد الثاني من تفسيره أسباب اختلافات نسخهم بمثل ما نقلناه هنا عن (كتاب الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية) ومما زاده أنهم كانوا أحيانا يحرفون قصدا لاجل تأييد مسألة أو دفع اعتراض وقال (انهم كانوا تركوا قصدا العدد ٤٣ من الاصحاح ٢٢ من انجيل لوقا وهو قوله (وظهر له ملاك من السماء يقويه) لان بعضهم خشي أن تكون تقوية الملك المسيح منافية لألوهيته) انتهى باختصار (١)

(١) حاشية — يظهر من هذه العبارة التي كانوا حاولوا حذفها من الانجيل ان المسيح كان منساقا الى الصلب رغم ارادته وأنه كان يدعو الله بالحاح شديد ليصرف عنه كأس المنون حتى صار يتصبب عرقا فظهر له الملك ليقويه ويشجعه (لوقا ٢٢: ٤٢ — ٤٥) فأين اذا شجاعته ورغبته في تقديم نفسه كفارة عن بني الانسان ؟ وهل يكون بعد ذلك قبوله للموت برغبته وارادته وهو كان يتمنى النجاة منه لولا ارادة الله التي أكرهته عليه اكراها ؟

وهل بهذا الخور والضعف يتعلم النصارى كيف يضحون حياتهم في سبيل نفع الناس ؟ وأين عمل المسيح هذا من عمل محمد وأصحابه الذين كانوا يستبشرون بالموت ويلاقونه بصدر رحيب غير هيابين ولا وجلين وكل ذلك كان منهم في سبيل الله وبقصد هداية الناس وأصلاح أحوالهم واخراجهم من الظلمات الى النور ؟ فمن منهما (محمد أم المسيح) كان أقدر على تعليم الناس تضحية نفوسهم في سبيل الله ؟ أنظر أصحاب عيسى كيف فروا من حوله وحزنوا وأنكروه حتى كبيرهم بطرس (لوقا ٢٢ : ٤٥ و ٥٧ — ٦١) نعم ان المسيح زجر بطرس ووبخه حينما أراد تثبيط همته (متى ١٦ : ٢١ — ٢٣) ولكن ذلك كان قبل دنو ساعة الصلب فاما اقتربت خاف وضجر وصار يستغيث بالله لينجيه منه لشدة فزعه ورعبه (مر ٢٢: ١٤ ومتى ٢٦ : ٣٦ — ٤٥) ولذا جاء الملك وقواه

أما محمد وأصحابه فكانوا يرجون من الله الموت والشهادة في سبيله وهم في ميدان القتال كما هو معروف متواتر عنهم فاين هذا من ذلك ؟؟

كيف ترقى رقيك الانبياء ياسماء ما طاولتها سماء

أنظر الى الخنساء احدى نساء ذلك العصر كيف شجعت بنيها الاربعة وحرضتهم على الجهاد في سبيل الله حتى قتلوا جميعا يوم القادسية فقالت (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته) ولا اريد أن استشهد هنا باقوال الرجال من أصحاب رسول الله فانها شهيرة عديدة وكلها مثال الصبر والشجاعة وقوة الايمان والثقة بوعد الله وتضحية النفس في سبيله فلذا دوخوا العالم في سنين قليلة وهو الامر العجيب الذي لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر أجمعين وكل ذلك كان بسبب تأثير روح رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وفي أخلاقهم

يعلمون تعاليم ليست من الله بل من الناس وأنهم يفعلون أمورا كثيرة مثل هذه (مرقس ٧ : ٦ــ١٣) فما المانع من أنه يريد بقوله (أمورا كثيرة مثل هذه) وقوله (تعاليم هي وصايا الناس) أنهم يكتبون أشياء وينسبونها إلى موسى عليه السلام مدعين أنها من الله وهي ليست منه بل هي من اختراعاتهم وقد سبق أننا قلنا أن ما عدا سفر التثنية من أسفار موسى الاخرى لم يكتبه هو بل تعتبر من التقاليد (الاحاديث) المروية بالرواية الشفوية ثم كتبت بعد فلعل ذلك هو المراد بقول المسيح (مر ٧ : ١٣) (وأمورا كثيرة مثل هذه تفعلون) على أن المسيح عليه السلام لم ينبههم الى ما وقع في نفس سفر الشريعة (التثنية) من الخطأ العلمي الصريح كالقول باجترار الارنب الجبلي (تث ١٤ : ٧) لما ذكرناه هنا في الحاشية من ان هذه الشرائع كانت مؤقتة

= لقبول الحق وايفاء الروح والجسد مطالبهما من غير افراط ولا تفريط جاء محمد عليه السلام بالشريعة الوسطى وارشد الخلق لجميع الحق كما بشرهم عيسى عليه السلام من قبل فتختم به حينئذ النبوة (دا ٩ : ٢٤) ويحفظ الله دينه الى الابد (دا ٢ : ٤٤)

ولو كان عيسى عليه السلام يعلم ان كتب اليهود ستبقى الى الابد لما ترك الناس حيارى في شأنها ولوجب عليه تبيين صحيحها من فاسدها حتى لا يبقى أتباعه في أمرها الى الآن ضالين فيرفض بعضهم ما يأخذ به الآخرون ويعتقدون اليوم بكتاب منها أو بأصحاح فيظهر لهم غدا أنهم كانوا مخطئين فهم يتلمسون الحقيقة ولا يجدونها الا بالاخذ بالاسلام وحينئذ يستريحون من عنائهم في هذه الكتب المجهول أصلها هداهم الله الى سواء السبيل

هذا ولما كان مجيء الساعة التي يسجد فيها الناس لغير قبلة أورشليم وقبله جبل السامريين محققا وأمرا مقضيا من الله ولا بد من وقوعه قال المسيح يو ٤ : ٢٣ (ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للاب) فكأن الساعة موجودة بالفعل وقت الكلام لتحقق اتيانها ولذلك قال (وهي الان) وهذا يشبه قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وورد أيضا في كتاب حزقيال مثل هذا فقال ٣٩ : ١ ــ ٨ (وانت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل هكذا قال السيد الرب ـ الى قوله ـ ها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه) مع ان هذا اليوم لم يكن وقتئذ أتى ولا صار فيه شيء مما أنبأ به وانما قال ذلك لتحقق حصوله فكذلك قول المسيح عليه السلام السابق وقد قال مثل ذلك أيضا في يوم القيامة كما في انجيل يوحنا هذا ٥ : ٢٥ و ٢٨ فورد فيه ما يأتي (الحق الحق أقول لكم انه تأتي ساعة وهي الان حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون) الى قوله فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فقوله وهي الان لتحقق اتيانها ولقربه بالنسبة لما مضى من الازمان وكذلك قوله متى ٢٦ : ٦٤ (وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة وآتيا على سحاب السماء) مع أنه الى زمننا هذا لم يأت المسيح على سحاب السماء

لم يلدم المحرف منهما ويشهر به (يو ٤ : ٢١) ؟؟ , ١)

(٤) إن المسيح عليه السلام وبخهم على ابطال شريعة موسى بتقاليدهم وأنهم

« ١ » حاشية : مما قاله عيسى عليه السلام لهذه المرأة السامرية كما في انجيل يوحنا ٤ : ٢١ « يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للاب » وهذه العبارة تتضمن الاشارة الى الديانة الاسلامية التي تجيز السجود لله في كل مكان والقبلة فيها الى مكة لا الى أورشليم ولا الى غيرها . واليهود والسامريون الذين أسلموا صاروا يعبدون الله متجهين الى الكعبة . وهذه القصة السامرية تدلنا على السبب الحقيقي الذي حمل عيسى لا يبالي بالتصريح ببيان المكان الذي ينبغي أن يسجد فيه لانه علم أن الشريعة الموسوية في هذه المسألة زائلة والشريعة الباقية التي ستأتي يسجد بحسبها الناس في كل مكان والي غير أورشليم ولغير جبل السامريين . وهذا السبب بعينه هو الذى حمل عيسى على عدم بيان الكتب الابوكريفية وغيرها التي يتخبط في شأنها النصارى الى الآن لانه علم أن جميع هذه الكتب ستستبدل بكتاب (الفارقليط) الذي قال فيه يو ١٦ : ١٢ و ١٣ « ان لي امورا كثيرة أيضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الان . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » ولا يصح حمل هذه العبارة على « روح القدس » كما تدعي النصارى لانه هو عين الله تعالى كما يزعمون ولا معنى حينئذ لقول المسيح « لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » ولم يأتهم روح القدس بشيء لم يكن في زمن عيسى أو كان حمله شاقاً عليهم فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يتكلم بما يسمع من وحي الله اليه « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وهو الذي بين للناس الحق من الباطل في أمر هذه الكتب وقال قرآنه « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون » وقال « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وشرع للناس شرائع كثيرة فكأن عيسى عليه السلام لما علم أن هذه الكتب سيحل محلها القرآن الذي قرب مجيئه وجاء هو مبشرا به وأنها ليست باقية الى الابد بل سيستعاض عنها قريبا بالقرآن الذي سيبين أمرها لهم كثيرا بتبيين صحيحها من فاسدها بل أفرغ جهده كله في تبيين حقيقة الدين وروحه وجوهره وفي أن الله لا يبالي بالصور والظواهر بل بالقلوب والنفوس وبالغ في ايضاح هذه المسائل حتى يرد اليهود عن غلوهم في اعتبار ظواهر الدين وقشوره (أو طقوسه ورسومه كما يعبرون) ليعد النفوس لقبول الشريعة الاسلامية المتوسطة بين الافراط والتفريط والتي جمعت بين مطالب الروح والجسد وبين الظواهر والبواطن كما قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقد ترك عيسى عليه السلام بيان ما حل بهذه الكتب من الفساد لعلمه أنها كادت تنتهي وظيفتها وأنها زائلة قريباً وأن العبرة بجوهر الدين لا بقشوره كما ترك الافصاح عن الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه واختلف فيه اليهود والسامريون لكونه يعلم ان الشريعة الاتية الباقية ستعين موضعا آخر غير موضع اليهود والسامريين وان أمثال هذه الاختلافات الجزئية ستزول بطبيعة الحال ويكفي ان يأخذ اتباعه بلب الدين وجوهره ولا يضيعون اوقاتهم في الخلاف في جزئياته وقشوره حتى تتعلم نفوسهم على الاخذ بالروح والحقيقة لا بالظواهر التي كانوا قد اهملوا كل شيء في سبيل العمل بها ومتى استعدت النفوس =

بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

﴿ تذييل لهذا الفصل الثالث ﴾

وفيه مسألتان

(المسألة الاولى : في كلمات الله . وفي تسمية المسيح بالكلمة)

يزعم بعض النصارى أن كتبهم المقدسة لا يمكن تحريفها ولا تبديلها لقوله تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين * وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)

أما كون كتب النصارى واليهود محرفة فهذا لا شك فيه كما سبق بيانه وأما كون التوراة والانجيل منزلين من عند الله لهداية الناس فهذا أيضا لا شك فيه وأما زعم أن القرآن لم يقل بتحريفهما اعتمادا على مثل الآيتين السابقتين فهو قول باطل لأن القرآن نص على تحريفهما في عدة آيات : منها قوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقوله (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) وقوله (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم) وقوله (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) وغير ذلك كثير وهو دال على وقوع التحريف

= كتبهم بما أعلمهم الله تعالى كالشهيد الذي يرى فيقرر ويعترف بما يوقن به . ولذلك قال تعالى (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فالشهادة هي الاقرار والاعتراف بما يرى أو يعلم باليقين كأنه مشاهد ومن ذلك قول المسلم (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله)

وأنها زائلة بالاسلام (١) وأن محمد سيبين لهم كل شيء كما قال عيسى عليه السلام (يو ١٦: ١٢ و١٣) لعدم استعدادهم في زمن المسيح لقبول ذلك

هذا وقد اعترف بطرس في رسالته الثانية بأن الناس كانوا يحرفون الرسائل والكتب فقال ٣: ١٦ (كما في الرسائل كلها أيضا متكلما فيها عن هذه الامور. التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب ايضا لهلاك أنفسهم) والتحريف هنا يشمل المعنوي واللفظي أيضا وتخصيصه بالمعنوي لا دليل عليه فاذا كانوا يحرفون الأشياء العسرة الفهم في كتبهم في زمن الرسل أنفسهم كما يدل عليه هذا القول فما بالك بغير زمنهم بعد ان ماتوا وذهبوا ؟ وقال بولس ايضا غل ١: ٧ (انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحولوا «يحرفوا» انجيل المسيح) وهو يدل على ان رغبة الناس في تحريف الانجيل كانت قديمة منذ نشوء المسيحية. ولا ندري اي انجيل من الاناجيل الكثيرة كان محبوبا عند بولس ويسميه (انجيل المسيح) ولعله كان احد الاناجيل التي رفضوها وسموها بالاناجيل الكاذبة

وجملة القول في هذه المسألة أن المسلم لا يمكنه أن يثق بشيء مما يسمونه الآن التوراة والانجيل اللهم الا جل الشريعة الموسوية كما في سفر التثنيه وبعض أقوال المسيح ومواعظه كالتي في الاصحاح ٥ و ٦ و ٧ من انجيل متى فاننا نرجح أنها صحيحة غير محرفة والقرآن الذي ثبتت صحته بالبراهين القاطعة هو الميزان الذي توزن به هذه الكتب فما صدقه منها كان حقا وما كذبه كان باطلا (وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا (٢) عليه فاحكم

---

(١) حاشية : جاء الامر بالاسلام لله في أقدم كتبهم فقال فى سفر أيوب (ويظن انه كان قبل ابراهيم) ٢٢ : ٢١ (تعرف به وأسلم) وفي العبري وشلام أي كن مسلماً وهذا مصدق لقوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)

(٢) حاشية : المهيمن هو الرقيب والشاهد. فالقرآن المنزل من عند الله الرقيب على كل شيء يشهد على هذه الكتب بما فيها من الحق والباطل وبما يدخلها من الفساد فيقرر ذلك لنا ويعترف به اعتراف الشاهد الذي رأى وعلم بما يقرره فهو عليها رقيب شهيد . يحق حقها ويبطل باطلها . وكذلك الامة الاسلامية تشهد وستشهد على من سبقها من الأمم الأخرى في الدنيا والآخرة بما أخبرنا الله تعالى من أحوالهم مع أنبيائهم . فالمسلمون وكتابهم رقباء شهداء على غيرهم وعلى =

فكلمات الله تطلق على عدة معان فقد ترد بمعنى كتبه وشرائعه وقد ترد بمعنى قضائه وقدره كما بينا هنا وقد ترد أيضا بمعنى مخلوقاته تعالى لأنها خلقت بكلمة (كن) فكانت فهي توجد بمجرد صدور هذا الأمر منه بلا تباطؤ ولا تأخير . قال تعالى لمريم (كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فبكلمته تعالى خلقت السموات والارض كما قال داود في أحد مزاميره (مز ٣٣ : ٦) ومن ذلك تسمية المسيح بكلمة الله فانه خلق بدون أب ليكون آية للعالمين دالة على كمال قدرة الله تعالى على سائر الممكنات ولتنبيه البشر إلى عدم الاغترار بمعلوماتهم وأفكارهم وإظهار أنهم لا يزالون عاجزين عن الاحاطة باسرار نواميس هذا الكون العظيم وسنن الله فيه وأنه تعالى قادر على خرق العادات ونقض ما يتوهمونه ناموسا لا يمكن نقضه لقصر عقولهم ونقص معلوماتهم التي اغتروا بها وظنوا أن الخالق تعالى مقيد بها وخصوصا في ذلك الزمن زمن انتشار الفلسفة اليونانية القائلة مثلا باستحالة الخرق على الاجرام السماوية وغير ذلك من أوهامهم الباطلة التي كانت عقبة في سبيل العقل البشري تحول دون ارتقائه وتوسعه في العلم والعرفان والابداع والاختراع

فلما كان الناس يعدونه من المستحيلات خلق الحيوان بدون أب فأظهر الله تعالى لهم بمسألة المسيح أن الامر ليس كذلك فاستعدت العقول للبحث والتنقيب حتى هدى الله الباحثين في المخلوقات إلى أمثال لذلك كثيرة فشاهدوا في بعض أنواع الحيوانات الصغيرة كقمل النبات مثلا (Aphides) ما يسمونه بالتولد البكري (Parthenogenesis) وذلك أن الانثى تلد بدون تلقيح الذكر ويتكرر ذلك في عدة أجيال من نوعها وبعد ذلك يحتاج الجيل الاخير للتلقيح ، ومن العلماء المتأخرين من يقول الآن بجواز حصول ذلك في الانسان أيضا وغيره من الحيوانات الراقية قياسا على ما شهدوه من أن ما يحصل في بعض أنواع الحيوانات على سبيل القاعدة قد يحصل مثله على سبيل الشذوذ في غيرها ومن الجنون أن يتخذ مثل هذا الشذوذ في المخلوقات دليلا على ألوهيتها كمن يتخذ المرأة التي لها اكثر من ثديين إلهة ويعبدها لانه لم يرَ امرأة اخرى مثلها او لم يسمع بذلك

والتبديل في هذه الكتب والزيادة عليها والنقص منها وقد أثبتنا ذلك كله في هذا الفصل ولا يزال الانسان يطلع كما قال تعالى على خائنة منهم إلى اليوم

أما الآية السابقة التي تمسكوا بها في عدم تبديل كلمات الله فهاك معناها :ـ

قال تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) فهم يعلمون ذلك لكثرة ما في كتبهم من البشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه وأمته ووضوح ذلك فيه بحيث لا يمكن انطباقه على أحد سواه وسيأتي بيان ذلك في فصل البشائر ثم قال تعالى (وتمت كلمة ربك) أي تحقق وعده بمجيء محمد عليه السلام وقد ورد هذا اللفظ « تمت » بهذا المعنى أيضا في قوله تعالى في آخر سورة هود « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وقوله بعد ذلك (صدقا وعدلا) أي تحقق هذا الوعد وظهر صدقه وكان ما حدث من مجيء محمد وشريعته مطابقا لما أخبر به من قبل تماما بلا زيادة ولا نقصان فان معنى (العدل) المساواة كما في قوله تعالى (أو عدل ذلك صياما) أي ما يساويه من الصوم فوعد الله بمحمد تحقق بغاية الدقة والضبط وقد حدث كل ما أخبر به عنه في الكتب السابقة ولم يتخلف منه شيء فان وعد الله لا يمكن أن يتبدل أو يتغير وليس لاحد أدنى قدرة على إخلاف ما أنبأ به تعالى ومصادمة الحوادث وتغييرها حتى لا توافق وعده فان كل ما قضاه تعالى لا بد أن يكون ولو حالت السموات والأرض والجبال دونه ولذلك قال تعالى (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير لقضائه ولا مخالف لوعده فليس المراد بالكلمات هنا نفس الألفاظ والعبارات بل كل ما قضاه الله تعالى وحكم به وقدره فلا يمكن لأحد أن يمنعه من تنفيذه وقد ورد مثل هذا المعنى في قوله تعالى (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله ، قل لن تتبعونا ، كذلكم قال الله من قبل) فالمخلفون لم يريدوا قط أن يبدلوا نفس ألفاظ قول الله وإنما ارادوا ان يعملوا بخلاف ما أمر به وقضاه فسمى ذلك تبديلا لكلام الله أي تبديلا لأمره وقضائه بأن لا يخرجوا للقتال مع رسول الله (ص)

الله كما تقدم . انظر مثلا خالداً بن الوليد فانه سمي (سيف الله) لشجاعته العظيمة ولاهلاكه اعداء الله فهل اشتهاره بهذا الاسم يدل على ان غيره غير جدير به ؟ وكما ان الله اباد بخالد كثيرا من اعدائه فسمي (سيفه) كذلك المسيح خلقه الله خلقا عجيبا واجرى على يديه معجزات عظيمة وآيات كبيرة وبه ظهرت قدرة الله تعالى للناس فسماه لذلك كلمته مبالغة واكراما له كأنه هو نفس الكلمة التي فعل الله بها هذه الاشياء على يديه كما أن خالداً شبه بالسيف الذي يقطع الله به الاشرار وفي الحقيقة ليس لله كلمة ملفوظة عند إرادة الخلق ولا له سيف محسوس وإنما هي مجازات معهودة في اللغات كلها ولمثل ذلك سمي المسيح أيضا روح الله لانه يحيي النفوس والجماد والموتى

ومن هذه المجازات نشأ غلط النصارى لظنهم أن (الكلمة) شيء موجود ممتاز عن الله امتياز الأشخاص بعضها عن بعض وأن هذه الكلمة هي التي أوجدت جميع المخلوقات فزعموا ان المسيح هو الخالق لكل شيء غلوا منهم وجهلا مع ان الكلمة ليست شيئا ممتازا بل لا وجود لها في الحقيقة إلا إذا أريد بها القدرة وهي إحدى صفات الله تعالى وليس من المعقول أن الصفات تكون أشخاصا (أو أقانيم) ممتازة بعضها عن بعض قائمة بذاتها بل هي صفات لا تقوم إلا بالذات العلية والفرق بينها وبين الذات الالهية في الكنه والماهية كالفرق بين الجوهر والعرض والصفة والموصوف . فكيف إذا يكون الآب (وهو الله) مثل الكلمة والروح ؟ ولماذا لم تجعل الصفات الأخرى لله تعالى (وهي اكثر من ثلاثة) أقانيم أيضا كالعلم والارادة والسمع والبصر وغيرها ؟

وإذا كان الابن خالقا لكل شيء فما وظيفة الأب إذاً ؟ وأي شيء خلقته روح القدس إذا كانت هي المرادة بقول داود ٣٣ : ٦ (بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها) كما يزعمون ؟ فما هي الجنود التي صنعتها الروح إذا صح أن كل شيء بالابن كان وبغيره لم يكن شيء مما كان كما قال يوحنا (١ : ٣) ؟

وكمن يعبد امرأة احصنت فرجها عن الزنا ولكنها حملت وهي عذراء من زوج لها عنين لم يمسها بالجماع المعتاد بين صحيحين بل بالاحتكاك الخارجي فقط مع الانزال فظن العابد لها ان ذلك مستحيل مع ان الامر ليس كذلك بل هو واقع مشاهد

فليس المسيح عليه السلام وحده آية دون سائر المخلوقات بل هو فقط من اعجب العجائب وأكبر الآيات (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) وكما انه سمي (بكلمة الله) كذلك سائر المخلوقات سميت بكلمات الله قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله — إلى قوله — ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم . ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) الآيات وقال أيضا للدلالة على عظم نعيم الجنة وسعته وبقائه (قل لو كان البحر مدادا الكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) فالمراد بكلمات الله في هذه الآيات مخلوقاته تعالى كما يدل على ذلك السياق فيها . وسمي (المخلوق) بالكلمة من باب تسمية الشيء بسببه على سبيل المجاز المرسل كإطلاق اليد على النعمة في قول القائل عظمت يد فلان عندي) أي نعمته التي سببها اليد فكذلك مخلوقات الله لما كونت بكلمات الله سميت (بالكلمات) فآدم والمسيح وسائر البشر هم كلمات الله وإنما اشتهر المسيح بين المسلمين بالكلمة دون آدم مثلا لايضاح كيفية خلقه لينفي عنه اعتقاد النصارى بألوهيته واعتقاد اليهود بأنه ابن زنا(١) ولانه أحدث من آدم عهدا بالنسبة إلينا ونعلم من اخباره وأحواله ما لا نعلمه عن آدم فهو آية لنا قريبة وله من المعجزات العظيمة ما يجعله أولى بهذا الاسم من سواه فانه فضلا عن كونه خلق بدون أب تكلم في المهد وخلق من الطين طيرا وأحيا الموتى وابرأ الأكمه والأبرص باذن الله فلاجتماع هذه الاشياء كلها فيه كانت تسميته بالكلمة اظهر من تسمية غيره وإن كان الناس كلهم كلمات

(١) راجع كتابنا (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية) المطبوع لاول مرة سنة ١٣١٦ هجرية

بعد في نجيل يوحنا اخـذا عن الفلسفة اليونانية ولما جاء القرآن اخذ هذا الاسم عن النصارى وأراهم كيف يمكن تحويل المراد منه عندهم الى معنى صحيح غير مايفهمونه يناسب عقيدة القرآن في المسيح عليه السلام من أنه عبدالله ورسوله المخلوق بكلمة الله وقدرته فيكون ذلك من ضمن اسباب تسميته على انفراد بالكلمة في القرآن

هذا واعلم ان امتياز المسيح أو غيره ببعض الاشياء أو اختصاصه بها لا يدل على أنه أفضل من جميع الأنبياء كما أن امتياز ابراهيم بكونه خليل الله وموسى بكونه كليم الله وبكثرة الآيات والمعجزات وعظمها ووضوحها لا يدل على أنه أفضل من المسيح مثلا بل ان اشتهار الخليل بهذا الاسم لا يدل على أن ليس هناك لله خليل مثل ابراهيم . أرأيت اذا فاق أحد التلاميذ في علم مّا من العلوم جميع أقرانه فهل يستلزم ذلك أنه اعلمهم في كل شيء وأولهم وأرقاهم ؟ كلا ! !

﴿ المسألة الثانية ﴾

« في نقض النصارى ناموس الله »

من العجيب أن النصارى تركوا قول المسيح بعدم نقضه الناموس (متى ٥ : ١٧) واتبعوا أهواءهم وأقوال بولس وأضرابه حتى أبطلوا لأجلها جميع شرائع التوراة ولم يعملوا بواحدة منها كما أمروا في أسفار موسى فتراهم مثلا تركوا تعظيم اليوم السابع الذي باركه الله وقدسه (تك ٢ : ٣) وأمرهم بحفظه (تث ٥ : ١٤ وخر ٣١ : ١٥ و٣٥ : ٢ و٣) وجعله فرضا أبديا عليهم (خر ٣١ : ١٥ - ١٧) وأوجب عليهم أن لا يعملوا أي عمل فيه وأن لا يشعلوا نارا في مساكنهم وأن يقتلوا كل من خالف هذه الاوامر (خر ٣٥ : ٢ و٣) فاستبدلوا اليوم الاول (الاحد) باليوم السابع ومع ذلك لم يحفظوه أيضا كما كان يحفظ السبت موسى وعيسى والانبياء

ففي أي موضع من الاناجيل أبدل المسيح (او تلاميذه) يوم السبت بالاحد وأجاز لهم العمل فيه ومخالفة أوامر التوراة ؟ ولماذا لم يقم عليه السلام من الموت في اليوم السابع (السبت) حتى يتفق سبت النصارى مع سبت اليهود الذي قدسه الرب قديما ؟ أو لماذا لم يقدس الله يوم الاحد منذ البدء ويجعله هو يوم الراحة للأمم ليكون ذلك إشارة

ومن المجاز أيضا إطلاق كلمة (وحي) على (المُوحى) كما في أشعياء (١٣:١) وإطلاق كلمة (الخالق) على (المخلوق) والارادة على الشيء المراد كما في قول المسيح لو ٢٢ : ٤٢ (ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس . ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك) أي ليكن الشيء الذي تريده أنت لا ما أريده انا و بمثل تعبيرنا نقل هذا القول مرقس في انجيله (١٤ : ٣٦)

ومن المبالغة المعتادة تسمية الشيء الجميل بالجمال والحَسَن بالحُسْن ونحو ذلك كثير . ومن الناس من سمي (رحمة الله) و (نعمته) و (حزيئيل) أي بصرُ الله و (عزري) أي عون الله . وقد سمي احد انبياء بني اسرائيل (يحزقيال) ومعناه (قوة الله) وهو ابلغ في الدلالة على القدرة على الخلق من تسمية المسيح (بكلمة الله) فان الكلمة تطلق على معان أخرى منها كما قلنا أحكام الله وشريعته ولذلك سميت الوصايا العشر بالكلمات العشر (تث ١٠ : ٤) . فهل يصح أن يقال من أجل ذلك إن (قوة الله) أو قدرته تجسمت حقيقة ونزلت إلى الارض وظهرت للناس كما قال يوحنا في حق المسيح لأنه سمي بكلمة الله (يو ١ : ١٤) ؟ ولماذا اختص حزقيال بهذا الاسم دون سائر الانبياء ؟ وأي فرق بينه و بين تسمية المسيح بالكلمة ؟ الحق ان النصارى أخذت مذهبها في (الكلمة) من مذهب الرواقيين فيها فان مذهبهما واحد. والرواقيون هم أتباع الفيلسوف(زينون)اليوناني الذي عاش من سنة ٣٤٠ الى ٢٦٠ قبل الميلاد وكان يعلم فلسفته في رواق شهير بأثينا وكان يعتقد أن الكلمة (Logos) هي الشيء العامل في الكون والخالق له والكائن فيه ومن ذلك نشأ مذهب النصارى في القرون الاولى فقالوا إن الكلمة صارت جسدا وحلت بين الناس وكانت موجودة في الازل وهي التي خلقت كل شيء ! ! وبذلك تقربوا من الرومانيين حتى دخلوا في دينهم أفواجا أفواجا لان الفلسفة اليونانية كانت هي السائدة على عقولهم ومعتقداتهم ولذلك ترى ان المسيحية أدخلت فيها أشياء كثيرة من أفكار اليونانيين والرومانيين حتى أن تعظيم يوم (الاحد) بدل (السبت) هو مأخوذ عنهم كما ستعلم

ويجوز ان المسيح ما كان يسمى بالكلمة في عصره وإنما سمي بذلك فيما

الى ذلك بمثل هذه الافكار القسيسية ولا بعقائدهم الدينية المصادمة للبداهة العقلية بل وصلت الى ذلك باتباع أحكام العقل والحس والوجود والدرس والبحث وبعد أن نبذت الخزعبلات والجمود وهذا الدين وراءها ظهريا . والا فقل لي بأبيك في أي شيء يتفق الدين الذي يأمر بالابتعاد عن الدنيا وزخرفها مع تلك المدنية الاوربية المادية ؟ وأي شيء تعمله دول اوربة اليوم وفق تعاليم الدين المسيحي؟ الحق إنه لا يوجد بينهم وبين المسيحية علاقة تذكر الا بالاسم فقط كما لا يخفى على أهل البحث والنظر . ولا تنس أن أكثر أهل العلم في أوربة ماديون ملحدون فكان الواجب على جماعة المبشرين أن يهدوهم الى دينهم ويحثوا أممهم على العمل به قبل أن يأتوا الى المسلمين . وبعد ذلك يعمل هؤلاء المبشرون انفسهم بناموس موسى ثم يدعون المسلمين للاخذ بهذه الكتب المهجورة من جميع أصناف الناس حتى أتباعها

فان قيل : إذا كان بعض الشرائع حكمها أبديا في شريعة موسى فكيف اذا نسخ في شريعتنا الاسلامية ؟

فالجواب : (١) نحن لا نسلم بجميع ألفاظ هذه الكتب اذ يجوز عندنا أن بعضها زيد أو حرف سهوا أو قصدا كما بينا ولا يخفى أن اليهود كانوا يظنون أنهم وحدهم شعب الله الخاص وأن دينهم وملكهم باق الى الابد فلا عجب اذا دخل في كتبهم شيء من هذه الافكار المتعلقة بدوام ملكهم ودينهم ومدينتهم (أورشليم) الى الابد كما قيل عنها في كتاب ارمياء (٣١ : ٣٨ - ٤٠) (لا تقلع ولا تهدم الى الابد) . وليلاحظ القارئ أن لفظ الابد بالنسبة للاحكام يندر وجوده في سفر التثنية وهو السفر الذي نرجح سلامته من الفساد الكبير كما سبق

(٢) لعل دوام دينهم كان مشروطا باستقامتهم وحفظهم له ولعهد الله فاذا نقضوا عهد الله نقض الله أيضا عهدهم وأبطل دينهم كما فعل بملكهم الذي علق دوامه على صلاحهم وتقواهم كما بيناه سابقا ولذلك قال في ارميا ٣٣ : ٢٠ و ٢١ (ان نقضتم عهدي ...... فان عهدي أيضا مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن مالكا على كرسيه ومع اللاويين الكهنة خادمي) أي يبطل ملكهم وشريعتهم . (راجع ايضا ٢ أي ٧ : ١٩ - ٢٢ ولا ٢٦ وتث ٢٨ وغير ذلك)

إلى قيامة المسيح المزعومة في ذلك اليوم الذي لم يعرف تعظيمه في الكتب الالهية القديمة بل كان يعظمه بعض الوثنيين الذين خصصوه لعبادة الشمس أعظم آلهتهم ولذلك سموه ويسمى عند بعض الامم للآن (يوم الشمس) (Sunday) فالنصاري تركوا أوامر الله التي في التوراة واتبعوا الوثنيين وعظموا يومهم !!

وكذلك تركوا الختان وهو فرض عليهم في الشريعة الموسوية (لاويين ١٢:٣) وجعله الله علامة عهد أبدي بينه و بينهم واوجب قتل كل من نكث هذا العهد ولم يختتن في لحم غرلته(تك ١٧: ٩ ـ ١٤) وقد ختن عيسى عليه السلام نفسه(لو٢:٢١) ولكن بولس وهو لم ير المسيح في حياته قال لهم (غلا ٥ : ٢) (ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا)وقال(كو ٢ : ١٦)« فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أومن جهة عيد أوهلال أو سبت» فهم لذلك تركوا جميع أحكام الناموس ولم يبالوا بها مع أن المسيح لم يأت لينقضها كما قال ولكنهم رجحوا أقوال بولس هذه على أقوال الله ورسله وتمسكوا بتأويلات ضعيفة ركيكة مضحكة ليعتذروا بها عن إبطال تعظيم اليوم السابع والختان في لحم الغرلة وغيرهما من أحكام الله مع أن حكمهما كان عليهم فرضا أبديا كما بينا . فلا أدري كيف اذاً أبطلوه واذا كانوا هم انفسهم لا يعملون بأحكام هذه الكتب فما فائدة ايمانهم بها وماذا يريدون أن يعمل المسلمون بهذه الشرائع التي هجروها وأبطلوها ؟! وما الداعي الى المناقشة بيننا و بينهم في هذه الكتب والحال أنهم قد نقضوها ولم يعبأوا بها ؟

ومن أغرب أمورهم أن كل كلام لم يوافق أهواءهم لجأوا الى تأويله وباب التأويل عندهم واسع جدا يدخل فيه كل مكابرة وتحريف للاصل . ولا أدري أي كلام كان يمكن لموسى أو غيره أن يقوله لهم حتى يوقف سير تأويلاتهم هذه الفاضحة المخزية وحتى يعترفوا بأنهم مكابرون معاندون لله ولشرائعه ؟

فانظر مثلا الى تأويلهم في مسألة حفظ اليوم السابع (السبت) ومسألة الختان الجسداني ترَ العجب العجاب الذي تضحك منه الثكلى فما أعجب عقولهم وما أغرب أفهامهم . والله لولا أننا نراهم بأعيننا ماصدقنا وجود أمثالهم بين البشر

وقد غر طائفة المبشرين ماوصلت اليه أوربة من العلم والمدنية مع أنها ماوصلت

(٣) لعل المراد بالابد الابد النسبي كقولك لشخص (افعل ما أمرتك به دائما أبدا) فالمراد أنه يفعله ما دام حيا فاذا مات فلا معنى لامتثال هذا الأمر فكذلك قول الله لهم (افعلوا كذا وكذا إلى الأبد) معناه أن يستمروا على فعله ما داموا أمة حية قوية ذات وجود ممتاز فاذا ضعفت أمتهم وتبددت وماتت فلا يمكنهم أن يمتثلوا هذه الأوامر بعد أن يتلاشى وجودهم المستقل

فاتباع الشريعة الموسوية كان واجبا على اليهود إلى أن تلاشى استقلالهم ومحيت مدينتهم وهيكلهم بعد المسيح وتبددوا في الارض واندمجوا في الامم الاخرى ولم يبق لهم وجود ممتاز حتى صاروا كالشخص الذي مات وتفرقت أجزاؤه ولذلك قال المسيح قبل أن يحصل ذلك إنه ما جاء لينقض شريعتهم بل ليكملها وأنه لا يزول حرف واحد منها حتى يكون أو يكمل الكل (متى ٥ : ١٧ و١٨) أما إذا أكملت هذه الشريعة وتبددت الامة اليهودية وزالت دولتهم ولم يبق من مدينتهم حجر على حجر (مت ٢٤ : ٢) فحينئذ يكون تكليفهم بهذه الشريعة كتكليف الميت بأي عمل بعد موته

فالاسلام لم يأت الا بعد أن أكمل الناموس وبعد أن ماتت الأمة اليهودية موتا تاما. حتى لم تتم شريعة القرآن الا بعد أن محي كل أثر من القوة كان لليهود في بلاد العرب التي تحصن فيها بعضهم بعد تشتتهم فمجيء محمد (ص) بالاسلام كان اذا دليلا على فناء الأمة اليهودية وانمحاء شريعتها وناموسها ولذلك قال يعقوب لبنيه انباء عما سيحدث في آخر الزمان (تك ٢٩ : ١ و ١٠) (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون (١) وله يكون خضوع شعوب) فاذا جاء (شيلون) وهو الاسلام (أو السلام كما قالوا) زال ملكهم وشرعهم اما المسيح فما جاء لتنزيل شريعتهم ولا علمائها

ومما يدلك على ان (الأبد) في التشريع هو الابد النسبي قول الناس (فلان حكم عليه بالسجن المؤبد) و يريدون السجن مدة الحياة. على أن الابد المطلق لا يمكن أن يكون مرادا في الشريعة الموسوية بأي حال من الاحوال لأنه من المعلوم

(١) راجع بحث لفظ (شيلون) في فصل البشائر الآتي

أما إذا استقاموا وكان الله حقيقة وعدهم ببقاء بعض أحكام شريعتهم إلى الأبد فمن الجائز أن الله تعالى ما كان ينسخ هذه الاحكام ويبقيها في الشريعة الاسلامية كما هي أو مع بعض تحوير فيها لا يغير جوهرها ويزيد عليها ما شاء وينقص منها ما لم يكن حكمه أبديا

لكن الله تعالى علم أنهم لن يستقيموا ولا بد أن ينقضوا عهده فقضى في علمه الأزلي أن يبعث رسولاً من اخوتهم بني اسماعيل بشريعة غير شريعتهم وأخبرهم بذلك وأوجب عليهم اتباعه حينما يبعث (تث ١٨ : ١٥ - ٢١) وقد ظهر تمردهم وعصيانهم في زمن موسى نفسه حتى سماهم (شعبا صلب الرقبة) لشدة عنادهم (تث ٩ : ٦) وانذرهم بالابادة إذا عبدوا غير الله وعصوا أوامره (تث ٨ : ١٩ و ٢٠) وقد كان ذلك كله فعصوا الله فأبادهم ونسخ دينهم بدين الاسلام وأعطى أرضهم التي كانوا وعدوا بها إلى الابد (تث ٤ : ٤٠) للمسلمين الذين قال فيهم المسيح لليهود (متى ٢١ : ٤٣) (إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره) ولا يصح أن يراد بذلك أمة الرومان فان الارض المقدسة كانت إذ ذاك خاضعة لهم ولم تكسبهم المسيحية شيئا جديدا في تلك الارض التي بقيت في أيديهم موقتا حتى أخذها الاسلام منهم ولا تزال تابعة له الى اليوم

فكأن الرومانيين أخذوها من اليهود ونزعوها منهم لا لأنفسهم بل ليسلموها للمسلمين (العرب) أصحاب الحق فيها بعد اليهود فان الله تعالى وعد إبراهيم بأن تكون هذه الارض له ولنسله ملكا أبديا (تك ١٧ : ٨) فوهبها أولا لاسحاق (تك ١٧ : ٢١ وخر ٦ : ٤ ومز ١٠٥ : ٩ - ١١) ولما نزعها من يد نسله لعدم وفائهم بعهد الله أعطاها لبني اسماعيل (العرب) الذين جعلهم الله أمة كبيرة (تك ١٧ : ٢٠) وصارت يدهم على الكل (تك ١٦ : ١٢) وبذلك أبقى أرض الموعد في نسل إبراهيم إلى الأبد كما وعد تعالى

أما الرومانيون فهم ليسوا من نسله وليسوا أهلها بل كانوا كالمحتلين لها موقتا إلى زمن العرب أربابها بوعد الله فامتلأت بهم الآن وستبقى كذلك إلى الابد كما وعد الرحمن (أنظر أيضا دا ٢ : ٤٤ و ٧ : ١٨ و ٢٧) وهم قديسو العلي كما سماهم دانيال

تبديل حرف واحد من حروفها وأن يتركوا آراء بولس وفلسفته العجيبة التي تركوا لاجلها حكم الله ! !

أما المسلمون فانهم يقولون بتحريف هذه الكتب وعدم التعويل على كل لفظ من ألفاظها كما بيناه وبنسخ بعض أحكامها . كما قال تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقال في حق محمد (ص) (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) وقال (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه)وقال (قل لا أجد فيما أوحي اليّ محرما على طاعم يطعمه ــ ...... الى قوله ــ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما (١) ــ الى قوله ــ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون)

---

(١) حاشية : يفهم من هذه الاية الشريفة حل بعض أجزاء من الشحم لليهود. ولكن الذي يفهم من سفر اللاويين (٣ : ١٦ و ١٧ و ٧ : ٢٣ ــ ٢٥) هو تحريم كل جزء من أجزاء الشحم فلابد أن يكون هذا من تحريف الكهنة ليأخذوا كل الشحم من الناس بدعوى ايقاده على المذبح (كما في لا ٣ : ١١) ثم يبقوا منه شيئا لانفسهم . أو يكون هذا الحكم نسخ فيما بعد في زمن موسى أو غيره من أنبياء بني اسرائيل (أنظر نحميا ٨ : ١٠) كما حرموا استرقاق العبراني مطلقا بعد موسى بسنين عديدة وكان مباحا لهم في زمنه (تث ١٥ : ١٢ ــ ١٨) أو أنه حصل خطأ في هذه الشريعة أثناء نقلهم اياها في تلك العصور المظلمة الطويلة أو أثناء ارتدادهم عنها لعبادة الاصنام مرات عديدة في سنين كثيرة ولو أراد انبياؤهم اصلاح ذلك حينما يرجعون اليها لعارضهم الكهنة وغيرهم لمصلحتهم الشخصية ولسفكوا دماءهم فانهم كثيرا ما قتلوا الانبياء والمرسلين (أنظر متى ٢٣ : ٣٠ ــ ٣٧) كلما أرادوا اصلاح احوالهم وأمورهم

ولا يستبعدن القارىء وقوع مثل هذا الخطأ في هذه الكتب مع كثرة الانبياء فيهم فقد وقع فيها غيره سهواً أو قصداً مما بيناه ومما لم نبينه كمسألة اجترار الارنب الجبلي (لا ١١ : ٦) ومسألة برص الثياب وبرص البيوت (لا ١٣ و ١٤) ولعل هذه المسألة الاخيرة هي أيضاً من وضع الكهنة لمصلحة لهم فيها ولم يتمكن الانبياء من ازالتها كما لم يمكنهم منعهم عن عصيان الرحمن وعبادة الاوثان

والذي يدلك على أن بعض الشحم أحل لهم كما قال القرآن وأن النص على تحريم الكل اما أنه محرف أو منسوخ قول سفر التثنية (وهو أصح هذه الاسفار على مذهبنا) في نعم الله على بني =

لجميع الانبياء أن الوجود في هذه الارض ليس مستمرا إلى الابد بل سينقطع بقيام الساعة فلا يمكن أن يكلفوا البشر بشيء إلى الابد المطلق لان يوم القيامة سيزيل كل ذلك . وعليه فالأبد هو قطعا الابد النسبي (١) ولا فرق بين حمله على يوم القيامة (الساعة العامة) أو على موت الأمة وفنائها وانمحاء كل مشخصاتها ومميزاتها (في الساعة الخاصة) فان من مات فقد قامت قيامته كما ورد في الأثر

هذا هو جوابنا على هذا الاشكال . أما النصارى فلا يمكن أن يجيبوا عن هذه الاحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية بمثل هذا الجواب لانهم (أولا) لا يسلمون بتحريف هذه الكتب ولا بدخول بعض الافكار الشائعة بين اليهود فيها كما دخل في العهد الجديد بعض خرافات ذلك العصر المنتشرة بين الناس مثل مسألة دخول الشياطين في الانسان (٢) وخروجهم منه الى غيره والى الحيوانات الاخرى وتكلمهم فيه وتسببهم في بعض امراضه الجسدية والعقلية (وثانيا) إنهم لا يقولون بجواز نسخ الشرائع الالهية عموما (وثالثا) ان المسيح لم يأت لينقض الناموس خصوصا بل ليكمله فيجب عليهم اذاً اتباع كافة أحكام الشريعة الموسوية وعدم

---

(١) مما يدل على ان المؤبد قد يكون مؤقتا قوله تعالى في القرآن الشريف (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وعليه فجميع الاحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية هي مؤقتة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله قال لهم (افعلوا كذا وكذا أبدا حتى يأتيكم رسولي الذي اخبرتكم به فأطيعوه) أعني أن المراد بالابد الدهر الطويل أو الابد النسبي كما في المتن

(٢) حاشية : قول القرآن الشريف (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) لا يقتضي وجود ذلك بالفعل في الخارج فان من المشبه به ما لا وجود له الا في الذهن والخيال كقوله تعالى (طلعها كانه رؤوس الشياطين) وكقول الشاعر : —

أيقتلوني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب أغوال

فكذلك قول القرآن هذا فان المشبه به فيه هو من متخيلات العرب وسائر الامم ويراد به التشنيع والتقبيح ومثله يوجد في اعظم الكتب العلمية في أية لغة كانت ولا يستفاد منه أن الشيطان له هذا التأثير في الانسان ولذلك قال تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) ونحوه كثير في القرآن ومن العجيب ان القرآن يذكر معجزات المسيح مرارا وتفصيلا ومع ذلك لم يذكر منها (اخراج الشياطين) وجميع الاناجيل مفعمة بها حتى الابوكريفية وأذهان الامم ممتلئة بها فكيف سلم القرآن من هذه الخرافات الشائعة بين جميع الناس حتى أهل الكتاب لولا أنه وحي الله ؟

الباقية « الى الابد ») فقوله « الى الابد » لايوجد باعترافهم في أقدم النسخ وأصحها التي عثروا عليها . راجع الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٩٠٩ ميلادية في المطبعة الامريكانية في بيروت تجد أن هذه العبارة موضوعة فيها بين قوسين للدلالة على ماقلنا كما ذكروا في مقدمة هذه النسخة . وهذه إحدى التحريفات التي يزعمون أنها لا تتعلق بمسائل هامة فما أكبرهم من مكابرين ! !

وكيف بعد ذلك يمكننا أن نثق بأي شيء من نقلهم أو من كتبهم اذا كان التحريف فيها من العادات الملازمة لقدمائهم ؟ وكيف نأمن عليها من تلاعبهم وإفسادهم لها في غير هذه المواضع التي ظهرت لنا ؟ وهل لايدل انتشار مثل هذه التحريفات في نسخها على صحة قولنا ان هذه الكتب في الازمنة القديمة كان يسهل على أصحابها تبديلها وتحريفها ؟

ومن العجيب أنك ترى النصارى بعد ذلك يدعون المسلمين لترك دينهم واتباع آرائهم وأهوائهم المخالفة لما جاء به موسى وعيسى وسائر انبياء بني اسرائيل !! فأي محاربة لله ولرسله ولكتبه أكبر من ذلك ؟ وهل بعد ذلك يعقل أنهم به مؤمنون ؟ وقد بينا لك فيما سبق أن عقائدهم لم يأت بها النبيون ، وأنهم فيها لاحكام العقل هادمون ، وقد أريناك هنا أنهم لشريعة الله محاربون ولكتبه محرفون !! فبأي شيء من دين الله بعد ذلك يتمسكون ، واليه يدعون ؟ وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟

﴿ استدراك على الفصل الاول ﴾

« وعلى نبوة دانيال المذكورة في صدر هذه الرسالة »

جاء في دائرة المعارف الانكليزية مجلد ١٣ ص ٤٢٧ و٤٢٨ في حرب الرومان مع اليهود ما محصله (أن اليهود عصوا الرومان وخرجوا عليهم فأرسل الامبراطور (نيرو) أحسن قواده (فسپاسيان) وهو أبو (طيطس) لمقاتلتهم وإخضاعهم . فبدأ (فسپاسيان) الحرب معهم في (الجليل) في ربيع سنة ٦٧ ميلادية . وفي سنة ٧٠ حوصرت أورشليم تحت قيادة (طيطس) ودارت رحى الحرب فيها إلى أن تم

فالمسلمون انما تركوا شريعة الله الموسوية لأوامر صريحة في كتابهم الالهي وأما النصارى فتركوها لغير أقوال المسيح نفسه القائل إنه لم يأت لينقضها بل ليكملها ،

ومما يزيدك يقينا بأن قول المسلمين بالتحريف في نفس مسألة الابد(١) هذه وفي غيرها ليس أمرا نظريا ظنيا بل هو حقيقة واقعية ـ ماجاء في رسالة بطرس الاولى .قال فيها ١ : ٢٣ (مولودين ثانية لامن زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية

= اسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر ماياتي تث ٣٢ : ١٠ (وجده » أي اسرائيل والمراد بنوه » في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب .... ــ ١٢ هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي ١٣ أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء وأرضعه عسلا من حجر وزيتاً من صوان الصخر ١٤ وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش .... وتيوس مع دسم لب الحنطة ودم العنب شربته خمراً) فاذا كان كل الشحم محرماً عليهم كما في سفر اللاويين فكيف اذاً يمن الله عليهم في سفر التثنية وهو آخر الاسفار الموسوية وأصحها باطعامهم وهم في البرية شحم الخراف والكباش والتيوس ؟ ألا يدل ذلك على صحة قول القرآن الشريف في هذه المسألة وخطأ كتبهم الاخرى فيها ؟ والا فكيف يمكنهم التوفيق بينها لازالة هذا التناقض ؟

والعبارة الاخيرة من سفر التثنية وكذا غيرها (تث ١٨ : ٤) تدل على حل الخمر لهم وان كان شربها حرم على الكهنة فقط عند دخولهم خيمة الاجتماع (لا ١٠ : ٨ ــ ١١) وكذلك المسيحية فيهما ما يدل على حلها للناس (راجع يو ٢ : ١ ــ ١١ ولو ٢٢ : ١٤ ــ ٢٣) ولذلك فانا نفخر بأن الاسلام هو الدين الوحيد الذي حرم الخمر تحريماً باتاً وكذلك سائر الخبائث وأحل الطيبات جميعاً ولولا النصارى لما انتشر شربها بين بعض المسلمين فانهم هم الذين حملوها الينا مع ما حملوه من موبقات مدنيتهم الاخرى كالانتحار والقمار والربا والرقص والخلاعة والفسق والفجور

أما لفظ السكر (بفتح السين) الوارد في القرآن في سورة النحل (١٦ : ٦٧) فالاصح أنه سكر الفاكهة (بضم السين) المسمى عند الافرنج (Laevulose) أو هو لغة في السكر (بضم السين) مطلقاً فان كلا اللفظين معرب من كلمة (شكر) الفارسية بابدال الشين سينا كما هو المتاد في تعريب بعض اللغات الاخرى الشرقية كموشى العبرية وموسى العربية وغير ذلك كثير وقيل السكر الخل واذا سلم أن السكر (بفتح السين) هنا هو المسكر فقوله تعالى بعده (ورزقاً حسناً) يدل على أن السكر ليس رزقاً حسناً لان الاصل في العطف أن يفيد المغايرة وهذه الآية المشار اليها هنا نزلت قبل التحريم البات فان الخمر حرمت تدريجياً لحكمة لا تخفى على المفكر ، والتحريم التدريجي شيء والنسخ شيء آخر فلا منافاة بين ذلك وبين مذهبنا في (الناسخ والمنسوخ)

(١) حاشية : جاء في سفر الخروج ٢١ : ٦ (ويثقب سيده أذنه بالمثقب . فيخدمه الى الابد) والمراد أن العبد يخدم سيده الى الممات وهو عين ماقلناه آنفا في معنى الابد وبهذا المعنى أيضا ورد في سفر صموئيل الاول ١ : ٢٢

عند الرب وعملي عند إلهي ٥ والآن قال الرب جابلي من البطن عبدا له ....
وإلهي يصير قوتي ٧ هكذا قال الرب فادي اسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الامة لعبد المتسلطين ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون ـ الى قوله ـ ٨ في وقت القبول استجبتك . وفي يوم الخلاص أعنتك فأحفظك وأجعلك عهدا للشعب)
وهو صريح في أن المسيح عبد الله وأنه سيحميه ويجيب دعاءه وينجيه ويحفظه وقوله (رؤساء فيسجدون) المراد به سجود الاكرام والتعظيم والخضوع كما قال في حق سليمان مز ٧٢ : ١١ (ويسجد له كل الملوك) وقد سجد مثل هذا السجود موسى عليه السلام لحميه يثرون (خر ١٨ : ٧) وبنو الانبياء لاليشع (٢ مل ٢ : ١٥)

وقال في مزمور ٩١ : ٩ (لانك قلت أنت يارب ملجأي جعلت العلي مسكنك ١٠ لا يلاقيك شر . ولا تدنو ضربة من خيمتك ١١ لانه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك ١٢ على الايدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك ١٣ على الاسد والصل تطأ . الشبل والثعبان تدوس ١٤ لانه تعلق بي أنجيه . أرفعه لانه عرف اسمي ١٥ يدعوني فأستجيب له . معه أنا في الضيق . أنقذه وأمجده ١٦ من طول الايام أشبعه وأريه خلاصي) وكون هذا المزمور في حق المسيح يفهم من انجيل متى (٤ : ٦ ـ ٨) واذا كان المراد بالرفع هنا الرفع الجسداني كما يؤيده قوله (من طول الايام أشبعه) فله مثيل عندهم في غير المسيح فقد رفع أخنوخ (تك ٥: ٢٤ وعب ١١ :٥) وكذلك إيليا (٢ مل ٢: ١١)

وجاء في المزمور ١٠٩ (وأوله في حق يهوذا الاسخريوطي كما قيل في سفر الاعمال ١ : ٢٠) قوله عن لسان المسيح بعد أن تكلم على يهوذا وغيره من أعدائه ٢١ (أما أنت يارب السيد فاصنع معي من أجل اسمك . لان رحمتك طيبة نجني ٢٢ فاني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي ٢٥ وأنا صرت عارا عندهم . ينظرون الي وينغضون رؤوسهم (أنظر أيضا متى ٢٧ : ٣٩) ٢٦ أعني يارب إلهي . خلصني حسب رحمتك ٢٧ وليعلموا ان هذه هي يدك . أنت يارب فعلت هذا ٢٨ أما هم فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح ٢٩ ليلبس خصمائي خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء ٣٠ احمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين

تخريبها واحراق هيكلها في شهر أوغسطس من هذه السنة . ولكن لم تخضع جميع اليهود تماما و ينته عصيانهم ومقاومتهم للر ومان الا في سنة ٧٣ ميلادية) اه باختصار ومن ذلك يتبين أن الحرب الحقيقية ابتدأت وانتهت في ظرف سبع سنين و بطلت الذبيحة والتقدمة في وسطها (أي في وسط هذا الاسبوع من السنين)

وفي هذه المدة كان كثير من كبراء اليهود وعظمائهم يخالفون باقي قومهم في هذه الحرب فمالوا الى جانب الرومان وخرجوا اليهم وأظهروا لهم الطاعة والبقاء على موالاتهم وعهدهم فأمنوهم ولم يصيبوهم بأذى مدة هذه الحرب حتى انتهت وهم مسالمون معاونون للرومان والرومان مسالمون لهم . ومن هؤلاء (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير فقد كان مع (طيطس) ونصح قومه كثيرا بالخضوع والطاعة . فهذا هو المراد بقول دانيال فيما سبق ٩ : ٢٧ (ويثبت (أي جيش الرومان كما يفهم من السياق) عهدا مع كثيرين (وهم كبراؤهم الذين فروا منهم) في أسبوع واحد وفي وسط الاسبوع (أي سنة ٧٠) يبطل الذبيحة والتقدمة) باحراق الهيكل وتدميره وتشتيتهم

وقوله ٩ : ٢٦ (يقطع المسيح وليس له) وجدنا أن الترجمة الصحيحة لاصله العبري (ينقطع المسيح ولا يكون له شيء) أو (لايبقى له أحد) ومثل ذلك ترجم في بعض التراجم الانكليزية والامريكانية وهو عين ماقلناه سابقا من أن معناه ينتهي ملكهم وينقطع مسيحهم بعد محيا ولايبقى له شيء من القوة والملك والسلطة أو النسل والخلافة بل ينمحي محوا تاما وتزول دولتهم وقد كان ذلك فلم يعد ملكهم القديم وزال ماعاد لهم من مجد منذ ذلك الحين

وعليه فهذه النبوة لاعلاقة لها مطلقا بمسألة الصلب المزعوم حتى لو حملت على المسيح عيسى كما لايخفى على المتأمل

ومما يؤيد عقيدة المسلمين في المسيح وعدم صلبه وعدم ألوهيته من كتب اليهود والنصارى ماجاء في الاصحاح ٤٩ من كتاب أشعياء وهو باعترافهم نبوة عن المسيح قال ٢ (. .... في ظل يده خبأني وجعلني سهما مبريا . في كنانته أخفاني ٣ وقال لي أنت عبدي اسرائيل الذي به أتمجد ٤ ...... لكن حقي

(إقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ١٦ ولـكن أمسكت أعينهما عن معرفته) وجاء في لوقا ٢٤ : ٤٢ و ٤٣ قوله بعد قيامة المسيح المزعومة (فناولوه جزءًا من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم) وهو يدل على أنه قام بعين جسده المادي الذي كان به قبل الصلب وإذا كان يقدر أن يختفي به بعد قيامته كما قال لوقا (٢٤ : ٣١) فاي مانع يمنع من اختفائه به قبل الصلب وهو هو ؟ على أنه كان يختفي فعلا قبل الصلب كما قال يوحنا وكان يمشي في وسط اليهود بدون أن يروه (يو ٨ : ٥٩) راجع أيضاً (يو ١٠ : ٣٩) ومثله ورد في لوقا (٤ : ٣٠)

وقال عليه السلام ايضا يو ١٦ : ٣٢ (هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي . وأنا لست وحدي لأن الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام . في العالم سيكون لـكم ضيق . ولـكن ثقوا أنا قـد غلبت العالم) وهو بشارة من المسيح لتلاميذه بأن الله سـينجيه وينقذه وإلا فهل يصح أن من كان الله معه ومن غلب العالم يغلبه اليهود ويصلبونه رغماعن إرادته كما بيناه في صفحة ٨٠ ؟ وكيف يتفق هذا القول مع قول المصلوب كما في متى ٢٧ : ٤٦ (إلهي إلهي لماذا تركتني) مع أن الاول صريح في أن الله لم يتركه ؟

هذا وقد أنكر الصلب كثير من فرقهم في مبدأ النصرانية أي قبل الاسلام بسنين عديدة منهم السيرنثيين (Cerinthians) والباسيليديين (Basilidians) والـكاربوكراتيين (Carpocratians) والتاتيانوسـيين أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد الشهير وغيرهم كثيرون وكثير من فرقهم القديمة ايضاً كانواموحدين منكرين لألوهية المسيح وأشهرهم (الأريوسيون) (Arians) ومنهم كان الامبراطور (قسطنطين) أوّل قياصرة الرومان المسيحيين (وكذلك أمم الطيطون) أي (الجرمانيين) ولا تزال منهم طائفة كبيرة في أوربا يسمون الموحـدين (Unitanians) إلى اليوم . وقال فوتيوس (Photius) إنه قرأ كتابا يسمى (رحلة الرسل) فيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس

أسبحه ٣١ لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه) وهو صريح في أن الله نجى المسيح عليه السلام من القاضين عليه وأن يهوذا وقع فيما دبره لسيده كما أشار داود إلى ذلك في هذا المزمور بقوله ١٠٩ : ٧ (إذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطيئة) إلخ إلخ

وقال في مزمور ٣٤ : ١٧ (أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم ١٨ قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقي الروح ١٩ كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب ٢٠ يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر ٢١ الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون) فهذه العبارات هي باعترافهم في حق المسيح كما في يو ١٩ : ٣٦ وهي صريحة في نجاة المسيح وخلاصه من كل البلايا والمصائب وفي عقاب اعدائه ومبغضيه. وقوله فيها (يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر) أدل على قولنا بعدم الصلب منه على قولهم بالصلب لان الصلب عادة يستلزم تفتيت عظام اليدين والقدمين وهو شيء لا يمكن توقيه في الصلب ولا بالتعمد والحذر الشديد فكيف اذا لم ينكسر واحد من عظامه ؟ فالحق أن المراد من هذه العبارة أن الله يحفظ جسمه كله ويصونه من كل اذى بليغ فهو من باب اطلاق الجزء وارادة الكل. أما إذا صح أنه صلب فاي أذى أعظم من ذلك ؟ وما معنى قوله إنه ينقذه وينجيه ويخلصه من كل البلايا فأي بلية أعظم من الصلب والقتل ؟ وإذا كان المراد انه يصلب حتى يموت ولكن لا ينكسر عظم من عظامه فما فائدة ذلك وما وجه البشارة به ؟ وهل يتفق هذا مع قوله ينقذه ويخلصه وينجيه ؟ فمن أي شيء نجاه إذاً ؟

وقال المسيح عليه السلام لما أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه (يو ٧ : ٣٣) « أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » وهو صريح في أنهم لن يجدوه ولن يقبضوا عليه

ومما يدلك على قدرته عليه السلام على التشكل بأشكال مختلفة والاختفاء عن أعين الناس قول مرقس ١٦ : ١٢ (وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى) وقول لوقا ٢٤ : ١٥

الرجل إيليا بعد رفعه (٢ مل ٢ : ١٧) وكما لم يعرف أحد مكان موسى بعد موته (تث ٣٤ : ٦)

فانظر هداك الله إلى هذه النصوص وتدبرها بعين البصيرة تجد أنها كلها تؤيد عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام وتنقض عقيدة النصارى فيه ولكنهم يتعسفون في تأويلها ويتكلفون كما هي عادتهم

ومن العجيب أنهم يتركون مثل هذه النصوص والنبوات السابقة الفصيحة الصريحة ويتمسكون بعبارات من نبوات غيرها مبهمة وقابلة لكل تأويل وهي ليست نصا في عقائدهم ولا تنهض لهم بها حجة كما أريناك في هذا الكتاب هداهم الله إلى الحق والصواب

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في بشائر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته »

تمهيد :

اعلم ان تغيير حال أمة كالأمة العربية واحياءها واحياء أمم الأرض بها وقلب نظاماتها وصبغاتها وإصلاح جميع أحوالها وأمورها وإخراجها من الفساد والاختلال والفوضى برجل كمحمد (ص) في حاله ونشأته وفقره ويتمه وأميته وبتلك السرعة العجيبة في ذلك الزمن القصير أمر لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر . وليس له نظير فهو من أعجب العجائب وأغرب الخوارق

رجل فقير يتيم أمي بعيد عن العلم والعلماء في ناحية من الارض بعيدة عن كل نظام ومدنية ناشئ في الهمجية وبين أهل له وأقارب عريقين في الجهل والكفر والوثنية فأوجد وحده من الجهل علما ومن الفساد نظاما ومن الكفر إيمانا ومن الشرك توحيدا ومن التشبيه تنزيها ومن التفرق اتحادا ومن التخاذل ائتلافا ومن

ومما وجده فيه هذه العبارة (إن المسيح لم يصلب ولكن صلب غيره وقدضحك بذلك من صالبيه) أي الذين ظنوا أنهم صلبوه

وقد ذكرنا أكثر هذه الفرق المنكرة للصلب في كتابنا (الخلاصة البرهانيه على صحة الديانة الاسلامية) وفي كتاب (الدين في نظر العقل الصحيح)

واعلم أن الذين قبضوا على المسيح ما كانوا يعرفونه ولذلك أخذوا معهم يهوذا ليدلهم عليه وأعطاهم علامة (متى ٢٦ : ٤٧ ـ ٥٠ ومرقس ١٤ : ٤٣ ـ ٤٦ أنظر أيضا أع ١ : ١٦) فكان دليلهم الوحيد هو يهوذا كما يفهم من جميع نصوص العهد الجديد وخصوصا التي أشرنا إليها وقد كان القبض عليه ليلا كما يفهم من سياق القصة في جميع الأناجيل (انظر متى ٢٦ : ٣١ و٣٤ و٧٥ و٢٧ : ١ ومر ١٤ : ٢٧ و ٣٨ ـ ٤٢ ولو٢٢ : ٥٣ و٦٦ ويو ١٨ : ٣ و٢٧ و٢٨)

ويظهر من انجيل يوحنا أنه حصل لهم حينما أرادوا القبض عليه هيبة منه حتى أغمي عليهم وسقطوا على الأرض (يو ١٨ : ٦) وما كان هيرودس يعرفه ، ولم يجب المقبوض عليه هيرودس بشيء (لو ٢٣ : ٨ و ٩) . فهنا أيضا موضع آخر للشك

وكان بيلاطس هو وامرأته يريد إنقاذ المسيح (متى ٢٧ : ١٥ ـ ٢٥ ولوقا ٢٣ : ١٣ ـ ٢٥) فيجوز أنه غشهم وأطاق لهم غيره وخصوصا لأن رؤساءهم وكذا القابضين عليه ما كانوا يعرفونه كما سبق وكان بيلاطس يعتقد أنه بريء من كل ما نسب إليه (متى ٢٧ : ٢٤)

وإذا كان من معجزات بطرس تلميذ المسيح النجاة من السجن (أع ١٢ : ٦ ـ ١٠) وكذلك بولس وسيلا (أع ١٦ : ٢٥ و ٢٦) فهل من البعيد أن يكون المسيح عليه السلام أنقذ من السجن كما أنقذت اتباعه أو أنه هرب منه أو أن بيلاطس أبدله بغيره فظنوه هو وهو ليس المسيح فذهب إلى موضع آخر كما ذهب بطرس بعد السجن (أع ١٢ : ١٧) وهناك توفاه الله أو رفعه إليه فلم يجدوه كما قال عليه السلام (يو ٧ : ٣٤) وكما لم يجد الخمسون

نبؤوني بعلم إن كنتم صادقين . أي نظير له بين البشر ؟ أي مثال له بين الناس ؟ ولماذا كان متفردا وخارقا للعـادة في كل شيء ؟ أي مصلح قام بين البشر وكان مثله في حاله ونشأته وكانت أمته كأمته العربية البدوية الامية وكان منه ما كان من محمد صلى الله عليه وسلم في العالم و بسرعة عجيبة كهذه أو دام عمله في الارض الى اليوم ؟ ولماذا خاب كل مدع للنبوة من بعده وفشل - تصديقا لقوله عن نفسه انه خاتم النبيين - ؟ فيا أيها المؤرخون المفكرون والباحثون المتدبرون في أحوال الاجتماع وطبائع البشر ! لماذا كان محمد شاذًّا فذًّا في جميع أعماله دون سائر البشر ؟ ولماذا كانت له تلك القدرة العجيبة والسلطان السريع والتأثير المدهش في أمم الارض قاطبة من قبل ومن بعد إلى قيام الساعـة ؟ وكيف نعلل ذلك تعليلا معقولا صحيحا بغير الاعتقاد بصدقه ؟

أليس عمله في قلب الامة العربية و بعثها من الموت إلى الحياة بسرعة من يقول للشيء : كن فيكون أبلغ من قلب موسى العصا حية ومن إحياء عيسى ثلاثة أموات ؟؟ وأيهما أدل وأليق بالنبوة ؟ انظر إلى رجلين ادعيا علم الطب فأثبت أولهما علمه به بتآليفه فيه و بحسن علاجه ونجاحه وشفائه للمرضى في أقرب وقت وأثبت الثاني دعواه علم الطب بألعوبة كألاعيب المشعوذين بأن رمى بحبل إلى السماء ثم تعلق به وصعد عليه فأيهما أتى بما يناسب دعواه وما العلاقة بين الطب و بين تلك الألاعيب ؟ نعم قد يندهش البسطاء و يصدقون الثاني الذي أدهشهم وحيرهم بألاعيبه وعجائبه ولكن لا يكون تصديقهم هذا مبنيا على برهان عقلي منطقي صحيح

كذلك الفرق بين محمد والانبياء قبله فمحمد أثبت دعواه بما يناسب مدعاه والانبياء الآخرون أتوا بما لا علاقة له بمدعاهم ولكنه يدهش الناس و يحيرهم حتى يذعنوا لهـ ويهابوهم فيخضعوا (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)

هذا ولما كانت الأمم القديمة كالأطفال جاءهم الانبياء بما يناسب عقولهم ودرجة سذاجتهم ولكن كان الجنس البشري قد بلغ رشده في عصر النبوة المحمدية ثم ارتقى بعده واستوى فلذا جاءه بما يليق بعقول راقية وينطبق على البرهان المنطقي الصحيح ولذلك تجد الناس الآن ينفرون من ذكر المعجزات الغابرة وقل

الضعف قوة ومن الهمجية مدنية وهو في كل ذلك الليث الغضنفر والقائد المحنك والخطيب المصقع والبليغ المعجز والسياسي الحاذق والمنبئ الصادق والشارع الحكيم والمعلم الماهر المخبر لقومه بما لم يعلموه وما لم يلتفتوا اليه والتقي الورع والزاهد الناسك العابد والمتمتع بالحلال والمتلذذ بالطيبات والرؤوف الرحيم والقاسي على الظالمين ومثال الأدب والتهذيب والرقة والكمال والجمال والنظافة والاعمال الصالحة والايمان الصادق الصحيح والمصلح الاكبر لامته ولسائر العالم. إني والله لا أدري ماذا أقول وكيف أصفه وبماذا أعبر عنه بما يخالج قلبي فيه فهو الانسان الكامل الجامع للاضداد والمتناقضات والذي يجد فيه كل طالب ما يشتهيه والقدوة الحسنة في كل شيء والمثال الصالح الوحيد في كل صفة أو خلق أو عمل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

ألا ترى أنه أوجد من العدم أمة حملت لواء العلم والعز والمجد والمدنية الصحيحة والحرية والاخاء والمساواة إلى أم الأرض قاطبة مع شدة الحاجة إلى بعثته في ذلك الزمن الذي ساد فيه الاختلال والفساد والكفر والظلم والاستبداد وسوء الحال والجهل فغيرت وجه الارض وقلبت نظامات الامم وصبغتها بصبغتها في اللغة والدين والاخلاق في سنين قليلة و بسرعة خارقة للعادة

انظر الى دول هذا العصر مع عظمتها وقوتها وعلمها وأموالها واقتدارها كيف عجزت عن صبغ محكوميها بصبغتها في الدين واللغة والجنس والاخلاق مع صرف كل مجهوداتها ومعلوماتها وأموالها واقتدارها في ذلك فلم تزدد الناس منها إلا نفورا وسخطا وبغضا مع مضي المدد الطويلة عليها وتسلطها على جميع مصادر حياة تلك الامم فلم تنل منها مع قوتها في السنين العديدة ما ناله العرب مع ضعفهم في السنين القليلة

فمحمد (ص) الذي أوجد تلك الامة وذلك الدين وتلك الدول الآخذة بتعاليمه المتأثرة بأقواله وأفعاله إلى اليوم والذي له أكبر سلطان على نفوس الملايين من البشر، أيكون له كل هذا الاقتدار وذلك السلطان مع مرور الاعوام والدهور ودينه لا يزداد إلا انتشارا ـ أيكون كل ذلك بدون عون إلهي ومدد رباني ؟

ولما فت في الناس عبادة الصور والتماثيل واشتدت حتى صارت جزءاً من الدين قام بعض الناس ومنهم القياصرة كليون الثالث لمحتها وسموا إذ ذاك « كاسري التماثيل » (Iconoclasts) وكان ذلك في القرن الثامن والتاسع فحكم البابا جريجوري الثاني والثالث بحرمانهم ومروقهم ولما اجتمع مجمع القسطنطينية سنة ٨٤٢ كان أيضا مضادا لهم وفاز فيه العابدون لها مع نهي كتبهم عن عمل الصور والتماثيل وعبادتها والاشراك بالله تعالى نهيا صريحا لا يقبل التأويل (أنظر تث ٤ : ١٥ ـ ١٩ و ٦ : ٤ و ١٣ : ١ ـ ٥) فكان ذلك سببا آخر من أسباب الشقاق بين المسيحيين

ولما قام لوثر بالاصلاح البروتستنتي في القرن السادس عشر اشتعلت نار الحروب بين المسيحيين وخضبت الارض بدماء الالوف من الابرياء المصلحين في مثل مذبحة اليهود غينوز (Huguenots) بفرنسة سنة ١٥٧٢ ميلادية ومع رقي البشر الآن ووجودهم في عصر النور والعلم ترى التثليث منتشرا بين جميع فرق المسيحيين الا قليلا من الموحدين (Unitanians) وكذلك عبادة الصور والصلبان في الكنيسة الارثوذكسية والكاثوليكية كما أقرتها مجامعهم القديمة التي عليها التعويل في كل مسائل دينهم والحكم على كتبهم . ومن فرقهم القديمة من عبد مريم العذراء وكانوا يدعون بالمريميين ومنهم بعض أساقفة مجمع نيقية وكان الثالوث عندهم مركبا من الاب والمسيح ومريم على أنهم ثلاثة آلهة ولا تزال صورة مريم للآن في الكنائس الرومانية والشرقية يسجد لها ويتقرب ويصلي لها ويطلب منها النصارى ما يشتهون وهذا سبب نهي القرآن الشريف عن إتخاذها إلهة مع الله تعالى عما يشركون (انظر سورة المائدة ٥ : ٧٣ ـ ٧٥ و ١١٦) لان نصارى العرب كانت تعبدها من دون الله

من ذلك تعلم حكمة تشديد الشريعة الاسلامية في النهي عن التصوير واتخاذ التماثيل وتعظيم القبور . وتعلم حاجة العالم في ذلك الوقت إلى الاصلاح العظيم الذي جاء به الاسلام . راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية يتضح لك منه ان الاسلام سابق لكل إصلاح عملي ناجح فاتى لمحمد ذلك لولا وحي الله ؟ ولماذا

في علمائهم من يود سماع أقاصيصها . ولا ينكر الترقي التدريجي للبشر الا المكابر المعاند و يغنينا عن اثبات ذلك أنه صار الآن عقيدة من عقائد جميع العلوم الحديثة نعم كان لتلك الأمم درجات من المدنيـة ولـكنها دون مدنيـة العرب ومدنيـة الافرنج بمراحل

خذ مقياسا لعقول أمة موسى كيف كانوا بين حين وآخر يرتدون و يعبدون الأصنام ولعقول أمة عيسى كيف حولوا دينه الصحيح دين ـ التوحيد والتنزيه ـ من قديم الزمان إلى وثنيـة لا تختلف عن وثنيات الأمم المجاورة لهم في شيء ـ تلك الوثنية المشاهدة الآن في جميع عقائد النصرانية وعباداتها وتعاليمها وعبارات كتبها حتى نفرت أهل العلم من الدين كله في أوربة لجهلهم بالاسلام فظنوا أن جميع الأديان كالنصرانية فخرجوا منها إلى ما يسميه القسيسون بالالحاد وما هو إلا ميل الفطرة البشرية السليمة إلى الدين الحق دين التوحيد والتنزيه والعقل وحب الخير و بغض الشر فظنهم الناس كافرين وما هم في الحقيقة إلا مؤمنون ولـكن بعقائد غير عقائدهم تنطبق على العلم والعقل الصحيح

ارجع بنا إلى القرون المسيحية الاولى تر الناس تضاربت عقائدهم وأفكارهم في كافة أصول الدين الأساسية وكثرت مذاهبهم فيها وتعددت ومزجت النصرانية بالفلسفات القديمة مزجا أضاع حقيقتها حتى ذابت فيها ولم يرق للناس في تلك الأزمان ـ لقصر عقولهم ـ إلا الشرك والتجسيم وعبادة الصور والصلبان والتماثيل

وكلما قام فيهم موحـد أو مصلح حكموا بكفره ومروقه حتى أريقت دماء العالمين بسبب ذلك ظلما وعدوانا وتبدل دين المحبة والوفاق الى بغض وشـقاق وانصدع بنيان الـكنيسة المسيحية من قديم الازمان

قام أريوس بالتوحيد ووافقه على ذلك بعض الاساقفة والامبراطور قسطنطين نفسه ـ كما قلنا ـ ثم وجد له من أمم الجرمانيين أتباع عديدون ولـكن ميل جمهور الناس في ذلك الزمن إلى الشرك والوثنية حمل أكثر أعضاء مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م على الحـكم عليه بالزندقة والمروق وتأصلت العداوة بين أتباعه و بين سائر المسيحيين منذ ذلك الحين

عليه السلام ومنهم من أسلم ظاهرا و باطنا بعد أن كانوا يعدونه من أكبر الكذابين والدجالين لكثرة ما افتراه عليه قسيسوهم في تلك العصور المظلمة حتى أنهم ادعوا أن لمحمد صنما من ذهب يعبده المسلمون وهم الذين لا يعبدون الا الله وحده و يصلون له خمس مرات في كل يوم و يصيحون باسمه تعالى في كل واد وفي كل مرتفع و يصومون له شهر رمضان في كل سنة

الانبياء الكذبة يعرفون من ثمرة عملهم كما قال المسيح عليه السلام (متى ٧: ١٦ ــ ٢٠) ولا يأتي الشرير بالخير والاصلاح للناس كافة والله تعالى لا يؤيد الكذابين الدجالين المضلين للناس (راجع مزمور ١: ٦ و ٥ : ٦ و ٣٤ : ١٦ ومز ٣٧) فكيف إذًا أيد محمدا صلى الله عليه وسلم حتى نجح في عمله هذا النجاح الباهر العجيب السريع الذي لم يعهد له مثيل في التاريخ ؟

رجل قام باسم الله ودعا الناس باسمه وقال وعمل كل شيء باسمه ونسب اليه تعالى كل عمل من أعماله ولم يكذبه الله تعالى ولم يخذله أو يقتله كما فعل بالكذابين بل ثبته وأيده وقواه ونصره ونجحه في جميع مساعيه ومقاصده وصدقه في كل ما أخبر به عنه ورفع ذكره وأعلى شأنه حتى صار اسمه يذكر بجانب اسم الله على ألسنة الملايين من البشر في كل بقعة من الارض فهل يكون هذا من الكذابين ؟

ولماذا لم يقم الله تعالى واحدا آخر غيره عمل مثل ما عمل ونجح مثل نجاحه

أحصوا الملوك العظماء والساسة الماهرين والقواد المحنكين والخطباء البلغاء والمنشئين المجيدين والكتاب المتفننين والشارعين الحكماء والوعاظ المؤثرين والانبياء والمصلحين ومؤسسي الممالك والدول العظام وأروني من منهم جمع كل هذه الصفات وغيرها مما أعجز عن التعبير عنه وعن حصره هنا

من منهم كان بعيدا عن العلم والعلماء والكتابة والقراءة ناشئا بين الواهمين والجهلة الخرفين والمشركين والوثنيين ؟ من منهم كان فقيرا يتيما أميا إذا أراد أن يتعلم شيئا لا يمكنه إلا إذا اختطفه من أفواه بعض الجهلة الغافلين واختلسه اختلاسا دون أن يشعر به أحد وإذا أراد أن يطلع على كتاب لما تيسر له ولما عرف فيه شيئا ولما وجده بين أمة أمية لا كتب لها ولا مكاتب ولا مدارس ؟ ــ من منهم كان في

شذ عن العالم كله في ذلك الوقت الذي كانت فيه الامم غارقة في عبادة الصور والتماثيل ؟ ولماذا لم يتأثر عقله بما يراه عند قومه وأهله وأهل الكتاب خصوصا الذين يزعم المبشرون أنهم معلموه مع أنه هو الذي جاءهم بالاصلاح قبل أن يعرفوه ونهاهم عن عبادة المسيح ومريم والصور والصلبان . فكيف اقتنع بصحة عقيدته في التوحيد والتنزيه وهي مخالفة لما كان عليه جماهير الناس في العالم كله إلا أفرادا قليلين ؟ وكيف عرف أن الحق مع هؤلاء دون أهله والاكثرين من قومه ؟ وذلك منذ طفوليته قبل أن يكون للعقل مجال في البحث والتفكير ، ولماذا كان محمد هو السابق للعالم في اصلاح كل فساد في أمور الناس الاجتماعية دينية كانت أو دنيوية اصلاحا عمليا وناجحا ؟ فمن تعلم هذه الطرق العملية الناجحة في سياسة الناس والتأثير فيهم والوصول إلى قلوبهم وعقولهم حتى صاروا طوع إشارته في كل شيء فملك نواصي العالمين وفاز في ذلك فوزا مبينا لم يسبقه فيه أحد من المصلحين والنبيين ؟

فاذا كان لوثر وغيره يعد الآن من كبار المصلحين ألا يعد محمد الذي ظهر قبله في وسط الوثنية المحضة محاطا بها من جميع الجهات وأصلح كافة أمور الناس وأحوالهم وأتى بالدين الحق والتوحيد الخالص ـ ألا يعد هذا اكبر مصلح ظهر على الارض ؟

لذلك قال تعالى ٦٢ : ٢ « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ٣ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم (١) وهو العزيز الحكيم » وقال ٢١ : ١٠٧ « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

لله الحمد !! قد ظهر في الافرنج الآن كثيرون ممن اهتدى إلى صواب جميع ما أتى به

(١) حاشية : قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) معناه يعلم آخرين غير العرب من جميع الأمم الاخرى فانهم صاروا من العرب لان بلادهم صارت بلاد العرب ولغتهم لغة العرب وكذلك دينهم وعاداتهم وقد اختلطوا بالعرب بالزواج وغيره حتى صاروا منهم في كل شيء ولذلك قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) أي لم يتجنسوا بالجنسية العربية الآن ولم يلحقوا بهم بعد ولكنهم سيلحقون بهم فيما بعد في كل شيء . فهي بشارة بدخول الامم الاخرى في الاسلام وامتلاك العرب بلادهم وصيرورتهم من العرب جنسا ودينا ولغة وعادة الخ الخ حتى صار لفظ العرب يطلق على كل المسلمين من جميع الاجناس لانهم أمة واحدة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) صدق الله العظيم

بحادثة بختنصر وكورش والاسكندر وخلفائه وحوادث ارض ادوم ونينوى وبابل والرومان وغير ذلك مما تراه مالئا صفحات العهد العتيق ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتبهم وقد اخبر المسيح عليه السلام تفصيلا عن خراب أورشليم وما سيحدث لليهود فيبعد كل البعد ان يخبر هؤلاء الانبياء بهذه الحوادث كلها ويتركوا أكبر حادثة حدثت في العالم ولها أكبر علاقة باليهود والنصارى وهي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم الذي زلزل أمم الارض زلزالا وأوجد أمة ملأت العالم علما وحكمة وعدلا ودينا وعمرت أورشليم وأعادت اليها عبادة الله تعالى بدون شرك أو تشبيه، وأتى بدين لايزال مالكا قلوب الملايين من بني البشر وهو الدين الوحيد الذي ناهض ويناهض المسيحية في جميع البلاد الى اليوم وآوى اليه اليهود وحماهم واكتسح الوثنية أمامه وافتتح بلاد العالم القديم وابتدأ يعمل عمله في العالم الجديد وحارب النصرانية وغلبها قرونا طويلة ونشر العلم والفلسفة بين الناس ونبه الكتابيين الى اصلاح دينهم بعد ان كانوا غارقين في الاوهام والخرافات اجيالا عديدة، فهل يعقل ان يترك الانبياء هذه الحادثة ويتكلموا عن غيرها مما لايكاد يذكر بجانبها ؟

الحق نقول ان الانبياء ماتركوا ذلك بل اخبروا به اجمالا وتفصيلا منذ الازمنة القديمة ــ كما ستعلم ــ ولكن أهل الكتاب يكابرون . ومع أن كتبهم محرفة وفاسدة كما بينا لكنها لاتزال تشتمل على كثير من بشائر محمد صلى الله عليه وسلم وقد سبق أننا بينا هنا أن كثيرا مما يدعونه في حق المسيح انما هو في حق محمد صلى الله عليهما وسلم وأظهرنا لك بالدلائل أن بشارة دانيال بختم الرؤيا والنبوة بعد السبعين الاسبوع هي بشارة به لا بالمسيح كما يزعمون

ولذلك كان العرب ينتظرون مجيئه في ذلك الوقت لاخبار أهل الكتاب إياهم بذلك واخبار زعمائهم وأساقفتهم وكهنتهم ورهبانهم كأمية بن أبي الصلت وقس بن ساعدة وسطيح وبحيرا وورقة بن نوفل (١)، وهذا أمر مشهور معروف في تاريخ العرب ولولا ذلك ماقال القرآن ٢ : ٨٩ (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما

(١) اقرأ قصة خديجة أم المؤمنين

هذه الظروف كلها وهذه البيئة وهذا الوسط ثم أصلح أمة كالامة العربية وأوجد أمة كالامة الاسلامية وأسس دولا كدولها وأوجد كتابا كالقرآن وشرعا ودينا كالاسلام وأعجز الناس جميعا عن القيام بعمل واحد كأعماله ، والاتيان بسورة كسور قرآنه ، وجمع كل هذه الصفات وبلغ فيها شأوا لا يصل اليه أحد فكان أكبر ملك وأعقل سياسي وأبلغ منشئ وواعظ وأحكم شارع وأشجع قائد وأعظم غاز وفاتح وأورع متدين وأنصح ناصح وأكبر مرشد للناس في كافة شؤونهم الدينية والدنيوية وأعظم مصلح للافكار والاخلاق والعقائد والعبادات والمعاملات وأوسع مؤسس وأدوم منشئ للدول والممالك

وهو في كل ذلك لم يتعلم شيئا يكفي لازالة جزء من ألف مما حوله من الاوهام والخرافات والخزعبلات عنه وعن الناس ولم يتدرب أو يتدرج أو يتمرن قبل النبوة على أي عمل مما أتى به بعد نبوته بل نبغ في كل ذلك دفعة واحدة حينما ظهر بالنبوة وكلما لزمه شيء من أعبائها وجد نفسه أنه أكبر نابغ فيه ، فما هذا العلم في تلك الامية ؟ وما هذا الاصلاح ممن نشأ في الوثنية بعيدا عن كل نظام ومدنية ؟ !

كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم

تباركت يا الله ان هو الا وحيك اليه وعونك وتأييدك له ولولاك يا الله ما قدر على فتح مدينة واحدة ولا تهذيب رجل واحد ! ! فاننا نرى الدول الاوربية بخيلها ورجلها وعلمها وفنونها ومخترعاتها وأساطيلها ومدرعاتها وطياراتها وأموالها وزخرفها ومدارسها ومستشفياتها وجميع حيلها وخدعها و.. و .... الخ عاجزة كل العجز عن مناوأة دينك أو صد تياره الجارف أو الحيلولة بينه وبين قلوب البشر المترامين في أحضانه من كافة الملل والنحل والاجناس في سائر بقاع الارض حتى ضج المبشرون من ذلك وفزعوا وهم مندهشون (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

هذا ولا يخفى أن أنبياء بني اسرائيل أخبروا عما سيحدث في العالم من الحوادث التي تهم امتهم وقلما تجد في كتبهم غير الانباء عن مستقبلهم الى يوم القيامة فأنبأوا

هذا التحريف كان اتفاقا لأنهم ما كانوا يحفظونها في صدورهم وقل منهم من توجد عنده نسخة كاملة من كتب العهدين وهذا بخلاف القرآن الشريف الذي كان محفوظا في الصدور ونسخه كانت بأيدي العامة والخاصة لعدم وجود رآسة دينية عندنا ولانتشار العلوم والمعارف بين المسلمين في تلك الازمنة بينما كان الناس غيرهم في بحار الجهل غارقين ولذلك كان عند المسلمين علم النقد العالي (في الحديث) الذي لم يعرف بين الأورو بيين وغيرهم إلا اليوم الذي أصبحوا يفخرون فيه علينا ونسوا ماضيهم المظلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وانا في هذا الفصل لا أريد أن استشهد بتلك البشائر التي لا يسلمون بها الآن ولا بالبشائر التي ليست صريحة بل لا أستشهد إلا بما هو واضح جلي في كتبهم الحالية :—

(البشارة الاولى) جاء في سفر التثنية ما يأتي ١٨ : ١٥ (يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون ١٦ حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت ١٧ قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلموا ١٨ أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ١٩ ويكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه ٢٠ وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي ٢١ وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ٢٢ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه) فهذه البشارة صريحة جدا في محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يقم نبي مثل موسى ومن وسط اليهود ومن اخوتهم (بني اسماعيل (١)) غيره وكان أميا يوحى إليه القرآن فيحفظه ويبلغه للناس مصداقا لقوله (أجعل كلامي في فمه) وكان

(١) لان العم كالاب تماما فأبناؤه يسمون بلا شك اخوة لهم (راجع شواهد ذلك في ص ٤٥) ومن ذلك تسمية أبناء عمهم (عيسو) أخوة لهم كما في (تث ٢ : ٤ و ٨) ولو كان المراد بهذه البشارة المسيح لقال أقيمه منكم أو من نسلكم أو من بنيكم لا من اخوتكم

جاءهم ماعرفوا كفروا به) وإلا لكذبه الناس في هذه الآية ولقالوا له : ما كان أحد ينتظر مجيئك ولا يعرفك

وكيف تختم النبوة بالمسيح وهو القائل لليهود (متى ٢٣ : ٣٤) (لذلك ها انا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ـ إلى قوله ـ ٣٦ الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل) أي أمة اليهود كما يقولون هم أنفسهم في قوله (متى ٢٤ : ٢٩ ـ ٣٤) وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه ـ إلى قوله ـ لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله) فكيف إذاً يقولون إن الرؤيا والنبوة ختمت به وهو يقول إنها لم تختم بعد وأنه سيرسل إليهم أنبياء ؟ وكيف يدعون أن الحوار بين أنبياء نزل عليهم الروح القدس وعلمهم أشياء كثيرة ومع ذلك يصرون على قولهم إن الرؤيا والنبوة ختمت به ؟ فما هذا التناقض ياقوم وأين عقولكم ؟

هذا واعلم أن البشائر المحمدية كثيرة في كتب أهل الكتاب القانونية وغير القانونية ففي إنجيل برنابا الذي لا يسلمون به ذكر النبي عليه السلام باسمه صريحا في عدة مواضع وفي كتبنا القديمة بشائر كثيرة نقلها المسلمون سابقا عن كتبهم القانونية التي كانت في زمنهم كما في كتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية الذي نقل عن أشعيا وحبقوق التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم ولكنّ ذلك غير موجود الآن فيها فيحتمل أنهم محوه منها . ومن تذكر شدة غيظهم من المسلمين وكثرة إفكهم عليهم إفكا مبينا (١) وتذكر قلة نسخ كتبهم المقدسة في تلك الازمنة وعدم وجودها إلا عند رؤساء الدين ووقوع التحريف فيها بالفعل ـ كما يظهر ذلك من الفصل السابق ـ وعدم حفظ أحد لها في صدره وسهولة مسح الكتابة من تلك الرقوق التي كانوا يكتبونها فيها قبل اختراع المطابع لا يستبعد أنهم محوا إسم النبي من جميع نسخهم القديمة والجديدة التي كانت عندهم ولو بالتدريج وقد أخبر المسلمين بذلك بعض اليهود والنصارى الذين اسلموا قديما وكانوا قد عثروا على هذا التحريف والتبديل كما يتضح ذلك لمن راجع كتب البشائر الاسلامية القديمة ، وعثورهم على

(١) راجع كتاب (الاسلام) تعريب فتحي باشا زغلول

بينهم علم النقد العالي في الحديث والتمحيص الدقيق فيه قبل أن تعرف ذلك أمة من أمم العالم قاطبة وكان فيهم ألوف من العلماء المحققين منذ نشأتهم وكان العلم والكتب منتشرة بين عامتهم ولم توجد عندهم رئاسة دينية تحظر عليهم الاطلاع بأنفسهم على كتبهم الدينية كما كان عند النصارى قبل الاصلاح البروتستنتي ولذلك قال بعض علماء الافرنج إن الاسلام هو الدين التاريخي الوحيد يعني أصح الاديان من الوجهة التاريخية

وإنما قلنا إن محمدا صلى الله عليه وسلم قام من وسط اليهود لأن المدينة التي فيها عظم أمره وكمل شأنه وتم دينه كانت محاطة بأراضي اليهود كأهل خيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم وهي التي تحصن فيها كثير منهم بعد حادثة (طيطس) الروماني

وكان اليهود في زمن المسيح عليه السلام ينتظرون نبيا آخر غير المسيح بشرهم موسى عليه السلام به كما يدل على ذلك ما ورد في انجيل يوحنا (١ : ١٩ ـ ٢٥) (وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح ٢١ فسألوه إذا ماذا . إيليا أنت ؟ فقال لست أنا . النبي أنت؟ فأجاب لا ـ إلى قوله ـ ٢٥ فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي) فرادهم بالنبي هنا هو المذكور في سفر التثنية وهم كانوا يفهمون من كتبهم أنه غير المسيح فلذا سألوا ما سألوا

وجاء في سفر الاعمال أن بطرس قال (أع ٣ : ١٩) (فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب ٢٠ ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم من قبل ٢١ الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر ٢٢ فان موسى قال للآباء إن نبيا مثلي يقيم لكم الرب إلهكم من اخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به) فأزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم الانبياء جميعا هي أزمنة محمد صلى الله عليه وسلم التي فيها يبقى المسيح في السماء على قولهم حتى تنتهي ولا يصح أن تكون عبارة موسى هذه بشرى بمجيء المسيح الأخير فان هذا المجيء هو للدينونة والجزاء كما يزعمون . وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم تشبه شريعة

مأمورًا بجهاد أعدائه فانتقم الله له ممن لم يسمع كلامه منهم وحفظه الله تعالى فلم يقتله أحد وصدقه فيما أخبر به عنه بوقوعه وحدوثه وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الشريف كانتصار الروم على الفرس ونصر المؤمنين على الكفار في نفس ذلك اليوم (٣٠ : ١ ـ ٦) ودخول المسلمون مكة بعدما طردوا منها (٤٨ : ٢٧) وارتداد بعض الناس بعد النبي (٥ : ٥٤) وانغلاب المشركين وانهزامهم (٥٤ : ٤٤ و٤٥) وحفظ النبي وعصمته من اعدائه واهلاك المستهزئين به (٢ : ١٣٧ و١٥ : ٩٤ ـ ٩٦ و٥ : ٦٧) واستخلاف المؤمنين في الارض (أي جعلهم خلفاء) وتمكين الدين لهم وإسكانهم فيها آمنين مطمئنين بعد الضعف والخوف الشديد (٢٤ : ٥٥) واخباره بحفظ القرآن من الضياع ومن التحريف والتبديل (١٥ : ٩) وبعجز العرب وغيرهم عن الاتيان بسورة واحدة مثل سوره (٢ : ٢٣ و٢٤ و١٧ : ٨٨) وبتمام دينه قبل موته وظهوره على غيره وبقائه الى يوم القيامة (٩ : ٣٢ و٣٣) وبظهور الدلائل الكونية في العلوم الحديثة وغيرها التي تؤيد نصوص دينه (٤١ : ٥٣) واخباره بدعوة المخلفين من الاعراب الى حرب بعد وفاته (٩ : ٨٣ قارنها بسورة ٤٨ : ١٦) وتبشيره المؤمنين بالنصر في واقعة معينة عندهم (هي خيبر) وأخذهم الغنائم الكثيرة منها فكان ذلك مع أنهم سبق لهم الانكسار في بعض وقائع سابقة غير هذه (٤٨ : ١٨ ـ ٢٢) والاخبار بأن النبي سيبقى نسله وأما مبغضه (وهو شخص معين اسمه العاص بن وائل) فسيكون أبتر (سورة ١٠٨) واخباره بتجنس الامم بالجنسية العربية كما سبق (٦٢ : ٣) الى غير ذلك مما أنبأ به قبل وقوعه وصدقه الله فيه هذا عدا ما في أحاديثه من المغيبات العجيبة العديدة (ما مر من الارقام هو لسور وآيات قرآنية)

ومن كان محبا للبحث والاطلاع فعليه بكتاب (حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين) يجد من ذلك شيئا كثيرا . والأحاديث الاسلامية هي أصح من غيرها لقرب عهدها وكثرة رواتها وعدم انقطاع سندها بحوادث جارفة أو ارتداد عام كما حصل لليهود والنصارى في أزمنة اضطهاداتهما ولكون المسلمين في تلك الازمنة كانوا ممتازين عن غيرهم بالعلم والعرفان والقوة والحياة حتى وجد

والقيامة وهو صلى الله عليه وسلم كان يحاجج الكفار والمشركين وغيرهم (اذا كان معناها المحاج كما قال بوست) وهو شهير سام جليل مجيد اذا كان اللفظ الاصلي (بيرقليط) والعبارات الواردة في انجيل يوحنا في هذه المسألة لاتنطبق الا على محمد عليه السلام كما بين ذلك صاحب كتاب اظهار الحق ومؤلف كتاب (فتح الملك العلام في بشائر دين الاسلام) وكما أشرنا إلى ذلك في صفحة ٨٢ من هذا الكتاب.

ومملكة محمد هي مملكة الله في الارض المسماة في العهد الجديد بملكوت الله وبملكوت السموات وكان المسيح عليه السلام وتلاميذه يبشرون الناس دائما بقرب مجيئها وأمر عليه السلام النصارى أن يطلبوا إتيانها من الله في صلواتهم (أنظر متى ٣ : ٢ و ٤ : ١٧ و ٢٣ و ٦ : ١٠ و ١٣ : ٣١ و ٣٢ و ٢٥ : ١ - ١٦ و ٢١ : ٣٣ - ٤٤ ولوقا ١٠ : ٩ و ١١) وهذه المملكة هي التي بدأت صغيرة ثم نمت وكبرت حتى ملأت العالم ولذلك شبهها عيسى عليه السلام بالزرع الجيد وبالخميرة وبحبة الخردل التي تصير أكبر البقول حتى أن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها (متى ١٣ : ٢٤ - ٣٥) ولذلك قال القرآن الشريف في محمد وأتباعه (ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه) الآية (راجع سورة الفتح ٤٨ : ٢٩) وهم الآخرون الذين صاروا أولين كما قال المسيح (متى ٢٠ : ١٦) وقال محمد صلى الله عليه وسلم (نحن الآخرون السابقون) وهم الامة التي أعطي لها (ملكوت الله) ورئيسهم محمد هو (رأس الزاوية والحجر الذي من سقط عليه سحق) (متى ٢١ : ٤٢ - ٤٤) وكان ذلك عجيبا في أعين المسيح وداود وسائر بني اسرائيل (متى ٢١ : ٤٢ ومز ١١٨ : ٢٣) لان محمدا (ص) وأصحابه كانوا من بني اسماعيل وهم نسل الجارية (تك ٢١ : ١٣) المحتقرون عند اليهود ولكن الله باركهم وكثرهم جدا حتى ملأوا الارض وفتحوها وصاروا لا يعدون من الكثرة كما قال ملاك الرب لهاجر (تك ١٦ : ١٠) ولم يجعل الله لاولاد الحرة (سارة) فضلا عليهم وأما العهد الذي جعله تعالى لاولادها (تك ١٧ : ٢١) (١) فهو إعطاؤهم أرض

(١) حاشية: الاصل العبري لعبارة التكوين (١٧ : ٢١) وعهدي أقيمه مع اسحاق فراد النصارى في تراجمهم لفظ (لكن) تحريفاً منهم

موسى فلذا سمى أزمنته (أزمنة رد كل شيء) فكأن الشريعة العيسوية كانت تمهيدا لاتيان الشريعة المحمدية الكاملة التي تشمل العدل والفضل وردت الدين إلى رونقه القديم رونق التوحيد والتنزيه والاحكام الالهيه بعد أن شوهوه بالشرك والتشبيه والاباحة ونقضهم ناموس موسى كما بينا

(البشارة الثانية) بشارة عيسى عليه السلام بالفارقليط وهي مشهورة في انجيل يوحنا في الاصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ومن شاء زيادة ايضاح فعليه بكتاب (إظهار الحق) (ايو ١٤ : ١٥ – ١٨ و ١٥ : ٢٦ و ٢٧ و ١٦ : ١٢ – ١٦)

وإنما لنا هنا كلمة عن الفارقليط وهي : هذا اللفظ يوناني ويكتب بالانكليزية هكذا (Paraclete) بارَ قليط أي (المعزي) ويتضمن أيضا معنى المحاج كما قال پوست في قاموسه وهناك لفظ آخر يكتب هكذا (Periclyte) ومعناه رفيع المقام . سام . جليل . مجيد . شهير . وهي كلها معان تقرب من معنى محمد وأحمد ومحمود

ولا يخفى أن المسيح كان يتكلم بالعبرية فلا ندري ماذا كان اللفظ الذي نطق به عليه السلام ولا ندري إن كانت ترجمة مؤلف هذا الانجيل له بلفظ (Paraclete) صحيحة أو خطأ ولا ندري إن كان هذا اللفظ (Paraclete) هو الذي ترجم به من قبل أم لا ؟؟؟ لاننا نعلم أن كثيرا من الالفاظ والعبارات وقع فيها التحريف من الكتاب سهوا أو قصدا كما اعترفوا به (راجع الفصل الثالث) في جميع كتب العهدين فاذا كان اللفظ الاصلي (Periclyte) بير قليط فلا يبعد أنه تحرف عمدا أو سهوا إلى (Paraclete) بار قليط حتى يبعدوه عن معنى اسم النبي صلى الله عليه وسلم ومما يسهل عليهم ذلك تشابه أحرف هذه الكلمة في اللغة اليونانية

وعلى كل حال فسواء كان هو (Paraclete) بار قليط أو (Periclyte) بير قليط فمعنى كل منهما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم فهو معز للمؤمنين على عدم إيمان الكافرين وعلى وجود الشر في هذا العالم بايضاح أن هذه هي ارادة الله لحكمة يعلمها هو ومعز أيضا للمصابين والمرضى والفقراء وغيرهم بعقيدة البعث

(مشتهى) هنا بالعبرية (حمدوت) (١) أي محمود كل الامم وهذا صريح في محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينطبق على أحد سواه وفي قوله أعطي السلام إشارة لتحية المسلمين . وهي (السلام عليكم) التي كانوا يقولونها للناس بعد أن عمروا بيت أورشليم في زمن عمر رضي الله عنه وأعادوا إليه مجدا أعظم من مجده الأول حتى صار يعظمه اليهود والنصارى والمسلمون الذين عاشوا حوله معا في أمن وسلام في حمى الاسلام ويفدون عليه من جميع الجهات مع اختلافهم في الدين والمعتقدات لزيارته وتكريمه إلى اليوم فلا شك أن هذا البيت الاخير صار منذ أن أحياه المسلمون وعمروه أعظم من البيت الاول وخصوصا في زمن عظمة الدول الاسلامية

أما في زمن المسيح عليه السلام فلم يزدد قدره عما كان عليه قبل مجيئه عليه السلام بل كان يقينا أقل من البيت الاول ثم خرب بعده بقليل ودمر حتى لم يبق فيه حجر على حجر ثم جاء النصارى فزادوا في إهانته وتحقيره بالقاء القاذورات فيه وتنجيسه عنادا لليهود حتى طهره المسلمون وبنوه وزينوه فصار في عهدهم كعبة يقصده الناس من جميع أقطار الأرض على اختلاف مللهم ونحلهم ومذاهبهم مع الامن والسلام كما قال (حجي) . فهل رأى البيت مجدا واجماعا على تعظيمه كالذي رآه في زمن الاسلام ؟

وقول حجي (أزلزل السموات والارض والبحر واليابسة وأزلزل كل الامم)

---

(١) حاشية : في النسخ العبرية الحالية المشكولة تجد الترجمة الحرفية لهذا النص هكذا : « واحمد كل الامم يأتون » بالجمع في فعل يأتون وبتأنيث كلمة أحمد أو محمود ولكن النصارى فهموا ان المراد بهذه العبارة المفرد المذكر كما فهمنا ولذلك ترجموها (ويأتي مشتهى كل الامم) والفرق بين لفظ (حمدوت) المذكر ولفظ (حمدات) المؤنث ليس في الحروف وانما هو في الحركات (أي الشكل) فقط والحروف في الكلمتين واحدة وهذا الشكل ليس قديما بل وضعته لجنة من اليهود في طبرية وفي سورة في وادي الفرات وهي التي جمعت النسخة العبرانية للعهد القديم من القرن السادس الى الثاني عشر للميلاد فيحتمل أنهم حرفوا هذا النص بالشكل حينما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم لكيلا ينطبق عليه

ومع ذلك اذا سلم النص العبري كما شكلته اليهود كان المراد به الامة المحمدية وهي الامة المحمودة عند جميع الامم والملل والنحل الذين دانوا لها واعتنقوا دينها واهتدوا بهديها حتى فاقوا العالمين في كل شيء وسواء عندنا أنطبق هذا النص على محمد أم على أمته كما لا يخفى

كنعان فانه تعالى كتبها لهم كما قال القرآن الشريف (٥: ٢١)(راجع ايضا تك١٧: ٨) وقال في سفر الخروج ٦: ٤ (وأيضا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها) وقال في مزمور ١٠٥: ٨ - ١١ (ذكر الى الدهر عهده ...... الذي عاهد به ابراهيم وقسمه لاسحاق فثبته ليعقوب فريضة ولاسرائيل عهدا أبديا قائلا لك أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم)

فلولا محمد صلى الله عليه وسلم لما كان لبني اسماعيل (العرب) شأن يذكر في العالم مع أن الله وعد أن يجعلهم أمة كبيرة عظيمة (تك ١٧ : ٢٠ و٢١: ١٧) فبمحمد وحده تحقق هذا الوعد وصاروا أمة أخضعت العالم كله لها ونشرت فيه الدين الحق والعلم والمدنية الصحيحة ولا يزالون الى الآن من أكثر أمم الارض حتى صاروا بعد الاسلام لا يعدون من الكثرة كما بشر الملاك هاجر بذلك (تك ١٦: ١٠) على ما تقدم

وبذلك ظهر صدق هذا الوعد الالهي بأكمل مظاهره وأما قبله عليه السلام فلم يكن أحد يسمع عن العرب (بني اسماعيل) شيئا يعبأ به أو عملا يلتفت اليه . فقارن حالتهم قبل الاسلام وبعده تتضح لك صحة هذه الاقوال الواردة عنهم في سفر التكوين من قديم الزمان فقد باركهم الله تعالى بمحمد وكثرهم وجعلهم أمة كبيرة كما وعد (تك١٧: ٢٠) وكان لهم ملك جليل واسع كما في الانجيل يزينه ذكر الله تعالى وحده ومن أنكر تفسيرنا هذا فليأتنا بغيره بحيث يكون شافيا لعلته راويا لغلته كهذا التفسير الصحيح الذي ذكرناه هنا والا فليترك المكابرة وليعترف بالحق فان الحق خير وابقى

(البشارة الثالثة) قال حجي ٢ : ٦ (لانه هكذا قال رب الجنود . هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة ٧ وأزلزل كل الامم ويأتي «مشتهى» كل الامم فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود ٧ لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود ٩ مجد هذا البيت الاخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود) وسبق أننا قلنا إن كلمة

(٢) البيت الثاني الذي وجد بعد السبي و بعد زوال دولة اليهود وعزهم واستقلالهم إلى اليوم . فالاول بيت العز والقوة والثاني بيت الذل والضعف وهذا البيت الاخير قد طرأت عليه عدة تغيرات كبيرة فأصلحه هيرودس (أو بناه بعد أن نقضه) ثم خربه الرومان ودمروه ثم بناه المسلمون وعمروه وأحيوه الى اليوم . فمراد حجى بالبيت الاخير هو غير بيت سليمان وهو الذي كان لهم في زمن ضعفهم وزوال عزهم وذهاب استقلالهم ثم تشتتهم . وهذا البيت الاخير قد صار مع ذلك في زمن عظمة الاسلام ودواه أعظم من بيت سليمان فان ملك المسلمين كان أكبر وأفخم وأبهى وأمجد وأعم من ملك اليهود وكان الناس في زمنهم ولا يزالون يقصدون هذا البيت من جميع أقطار الارض على اختلاف مللهم ولغاتهم ونحالهم كما قلنا

(البشارة الرابعة) قال حبقوق ٣ : ٣ (الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . سلاه . جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه ٤ وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع وهناك استتار قدرته ٥ قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى ٦ وقف وقاس الارض . نظر فرجف الامم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم . مسالك الازل له ٧ رأيت خيام كوشان تحت بلية رجفت شقق أرض مديان) إلخ إلخ فتيمان هي بلاد العرب ومعنى كلمة تيمان الصحراء الجنوبية لانها جنوب بلاد الشام ولا يزال الى الآن على طريق القوافل بين دمشق ومكة قرية تسمى (تيماء) ومعنى هذه الكلمة أيضا الصحراء الجنوبية . وتيماء أيضا اسم قبيلة اسماعيلية تسلسلت من تيماء وكانت تقطن بلاد العرب (تك ٢٥ : ١٥ و ١ أي ١ : ٣٠) كما في قاموس الكتاب المقدس العربي . أما جبل فاران فهو في البرية التي سكنها اسماعيل أبو العرب (٢١ : ٢١) فكأن حبقوق أشار بعبارته هذه الى مسكن رسول الله وهو بلاد العرب (أو التيمان) والى مسكن أصله أوجده اسماعيل وهو برية فاران وهي في شمال برية سيناء على مايقولون

هذا واعلم أنه لا يوجد في القرآن الشريف مايدل على أن اسماعيل أقام بمكة بل الظاهر منه أنه ذهب الى هناك مع أبيه لبناء الكعبة وأما الذين سكنوا حولها فهم بعض أولاده ولذلك قال ابراهيم عليه السلام (ربنا اني أسكنت من ذريتي

إشارة إلى حروب المسلمين وانتصاراتهم السريعة الباهرة على الظالمين وانقاذهم اليهود من ظلم المسيحيين وتأمينهم لهم في أورشليم ثم بعد ذلك أعطوا السلام للناس جميعا الذين يقصدون البيت من جميع الامم ومن سائر البقاع

أما المسيح فلم يزلزل السموات والارض والبحار والامم بل اهين وصلب وقتل (على زعمهم) ولم يعط السلام في البيت بل أعطى بعده الحرب والطعان والتخريب واهراق الدماء وهو الذي بشر اليهود بذلك كله (مت ٢٤:٢) فكيف تصح هذه العبارات في المسيح مع أن ظهورها وصراحتها في محمد (أو محمود) صلى الله عليه و لم وأمته كالشمس في رابعة النهار فهم الذين احيوا البيت وعمروه ومجدوه الى اليوم

وقوله ٢ : ٩ (وفي هذا المكان أعطى السلام) قد تحقق تحققا تاما بمجيء عمر رضي الله عنه بنفسه إلى أورشليم بعد الحصار وتأمين أهلها وعقده شروط الصلح معهم وبذلك خضعوا وسلموا بدون سفك دم وأعطاهم عمر السلم والامان وفتحت المدينة بالصلح لا بالحرب ـ كما قال رب الجنود ـ مع أن المسلمين زلزلوا الامم الاخرى والارض والجبال .

فان قالوا إن قول حجى ٢ : ٩ (مجد هذا البيت الاخير) يشعر بأن مراده الكلام على البيت الذي كان في عصره وهو كان قد تخرب قبل مجيء الاسلام . قلت وهو أيضا كان تخرب قبل مجيء عيسى عليه السلام فرممه (هيرودس الاكبر) بل قال يوسيفوس (إن هيرودس نقضه وبنى هيكلا أجمل وأكبر منه) فمراد حجى ان المجد الذي سيكون لهذا البيت في أيامه الاخيرة سيكون أعظم من مجد البيت الاول الذي بناه سليمان ولذلك ترجمت هذه العبارة في النسخة السبعينية هكذا (المجد الأخير لهذا البيت يكون أعظم من مجد الاول) فمجده الاخير هو هذا الذي كان في زمن المسلمين وهو آخر الزمان

و يمكن أيضا اعتبار البيت بيتين : ـ

(١) البيت الاول من زمن سليمان إلى أن خربه بختنصر أي البيت الذي كان موجودا في زمن دولة اليهود وعظمتها واستقلالها وزمن عزهم الذي ذهب به بختنصر ومحاه محوا تاما

مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر ١٣ الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه) وهذه العبارات تشير صريحا الى الحج والتلبية من فوق جبل عرفات وقوله (الرب كالجبار يخرج كرجل حروب) إشارة الى غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) والبرية التي سكنها قيدار هي بلاد

---

(١) حاشيــة يشمئز النصارى من ذكر القتال في القرآن ولا يشمئزون من قول الله تعالى لموسى (تث ٢٠ : ١٠) (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ١٢ وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ١٦ واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) وقد عمل بنو اسرائيل بهذه الاوامر كما يتضح لك من سفر يشوع خليفة موسى وغيره (اصحاح ١٠ و ١١) فمثلا ورد في هذا السفر قوله (١٠ : ٢٦) (وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء) وقوله (١١ : ١١) (وضربوا كل نفس بها بحد السيف . حرموهم ولم تبق نسمة . وأحرق حاصور بالنار ١٢ فاخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكهم وضربهم بحد السيف . حرمهم كما أمر موسى عبد الرب الى قوله ١٤ وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو اسرائيل لأنفسهم . وأما الرجال فضربوهم جميعا بحد السيف حتى ابادوهم . لم يبقوا نسمة) وجاء أيضا في سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٣١ أن داود النبي (أخرج الشعب ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم (أي سيرهم) في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون) وكذلك قال في سفر أخبار الايام الاول أنه نشر أسرى بني عمون هؤلاء بمناشير ونوارج حديد وفؤوس كما في الاصحاح العشرين منه (عدد ٣) ولم يرد في كتابهم المقدس أن الله تعالى أنكر عليه ذلك أو زجره عن فعله هذا الفظيع وعاقبه عليه بل الكتاب كله مملوء بالثناء على داود وعده من الأبرار الاطهار نعم ورد فيه شيء من اللوم لداود ولكنه بسيط وعام في سفكه الدماء وليس خاصا بهذه الحادثة القاسية كما في سفر أخبار الأيام الاول (٢٢ : ٨)

ولو جاز قول النصارى ان ما ذكر كناية عن اذلال داود لهم وتعذيبهم بالاشغال الشاقة لجاز لقائل أن يقول ان قصة صلب عيسى وقيامته من الموت كناية أيضا عن ايذاء اليهود واضطهادهم له ورفضه ثم نجاته من كيدهم وانتصاره عليهم وارتفاع شأنه وعظم أمره . فهل يسلم النصارى بهذا التأويل وهو مثل تأويلهم لقصة داود هذه من كل وجه ؟ ولم لا يقبلون من الناس ما يقبله الناس منهم ؟

فانظر الى مقدار تعسفهم وتسكعهم في التأويلات كما هو شأنهم في اكثر مسائل دينهم ولكنهم لا يبالون !!

بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم) . فولد الانسان لا يسمى عادة ذريته وجمعهم هنا أيضا يدل على أنهم كانوا أكثر من واحد فهم أولاد اسماعيل

أما عدم ذكر بناء ابراهيم واسماعيل الكعبة في تواريخ اليهود (سفر التكوين) فهو إما لانهم نسوا تاريخ اسماعيل لعدم اهتمامهم به وبأولاده ولذلك لم يذكروا عنهم شيئا في كتبهم الا قليلا . وإما لانهم لا يريدون ان يعترفوا بأي فضل أو مزية لغيرهم عليهم لاعتقادهم أنهم وحدهم شعب الله المكرمين وأنه لم يعتن بأحد سواهم . ولنرجع لما كنا فيه :

أما كوشان فهو ملك كوش وهي بلاد السودان والحبشة . ومديان هي الارض التي تمتد من شبه جزيرة سيناء الى الفرات والمعنى أن سكان هذه الجهات المشهورين بالقوة والشجاعة ترجف أمام النبي وتخضع له . ولفظ كوش أيضا كانت تطلق أحيانا على جميع أفريقية الواقعة جنوبي مصر . وقد انتشر الاسلام في افريقية اكثر من انتشاره في القارات الاخرى وبسرعة عجيبة فهذه البشارة لا تنطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي ملأ الارض بحمد الله وتسبيحه والصلوات له كثيرا ودانت له ملوك أفريقية وغيرها وخرج من بلاد العرب وكان من نسل اسماعيل

ولعل في قوله ٣ : ٥ (قدامه ذهب الوباء وعند رجليه قد خرجت الحمى) إشارة الى الطاعون الذي ظهر في بلاد الشام في زمن عمر رضي الله عنه وكان النبي (ص) أخبر أصحابه به كما رواه الامام احمد عن معاذ بن جبل

(البشارة الخامسة) قال أشعيا ٤٢ : ١ (هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي . وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم ٢ لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ . الى الامان يخرج الحق ٤ لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته .... الى قوله ١٠ غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقاصي الارض . أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا الرب

(البشارة السادسة) جاء في سفر التكوين أن يعقوب جمع بنيه وأخبرهم بما سيحدث لهم في آخر الزمان (٤٩ : ١) ثم قال في شأن يهوذا (٤٩ : ١٠)(لايزول قضيب (أي صولجان الملك) من يهوذا ومشترع (أي شارع) من بين رجليه حتى يأتي (شيلون) وله يكون خضوع شعوب) والمعنى أن آل يهوذا لايزول منهم الملك والانبياء (وهم الشارعون) حتى يأتي (شيلون)وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي به تختم النبوة وتنتقل منهم اليه ويزول كل ملك لهم كان في الارض. وقد وقع ذلك كما أخبر يعقوب عليه السلام فان مملكة يهوذا وان كانت زالت سنة ٥٨٦ ق م وقت انتهاء سبي بختنصر لهم الى بابل الا أنهم عادوا بعده الى بلادهم وعاد لهم شيء من القوة تحت حكم الدول الاجنبية واستقلوا في زمن المكابيين ثم خضعوا للرومان الذين شتتوهم في الارض ومحوا أورشليم لكن جمهورا عظيما منهم ذهبوا الى بلاد العرب لقربها وحريتها وهوّدوا بعض أهلها كقبيلة كنانة والحارث ابن كعب وكندة وصار لهم فيها أراض واسعة عامرة وحصون وأملاك وأموال وكانوا فيها ذوي قوة كبيرة غير خاضعين لاحد مطلقا بل كانوا مستقلين وفي حرية تامة فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم امحت كل سلطة لهم في الارض وتشتتوا في العالم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وصاروا في كل اقليم خاضعين لغيرهم ضعفاء مضطهدين. أما من جهة النبوة والشرع فكانت الانبياء تترى فيهم حتى جاء المسيح عليه السلام وهو منهم أيضا وتبعه تلاميذه من اليهود وكانوا أيضا أنبياء ملهمين كما يقول النصارى وتصرفوا كثيرا في الشريعة الموسوية كما يظهر من كتب العهد الجديد . فلم ينته ملكهم وأنبياؤهم وتنسخ كتبهم وشرائعهم الا بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم الذي به انتهى كل أثر من آثار ملكهم ولم يظهر فيهم أي نبي بعده

وقول النصارى إن هذه نبوة عن المسيح يبعده أن ملك اليهود بقي في بلاد العرب بعده وظهر فيهم أنبياء (وهم الحواريون) كانوا يشرعون لهم في الدين . فمحمد أحق بها من المسيح عليه السلام .

ومما يؤيد ذلك أن كلمة (شيلون) العبرية معناها كما قالوا أمان أو سلام ولا يخفى أن دين محمد (ص) يسمى الاسلام والسلم قال تعالى (ادخلوا في السلم

العرب فان قيدار هو ابن اسماعيل (تك ٢٥ : ١٣) وكانت مساكن أولاد اسماعيل من حويلة الى شور التي أمام مصر (تك ٢٥ : ١٨) وحويلة هي اليمن كما في قواميسهم . وسالع معناها الصخرة ولذلك ترجمت الكاثوليك العبارة هكذا (ولتترنم سكان الصخرة) ومثلها في الترجمة الانكليزية . وفي المدينة المنورة جبل يسمى (سلع). أما سالع المسماة (بطره) وهي التي بين خليج العقبة والبحر الميت فكانت تعرف في زمن أشعياء النبي (بيقتئيل) الذي سماها به (أمصيا) ملك يهوذا (٢ مل ١٤ : ٧) واذا كان المراد بسالع هنا (جبل المدينة) أو (بطرة) فعلى حد سواء لان بطره هذه أخذها المسلمون وكانت تأتي منها الناس للحج أيضا مع المنحدرين في البحر ومع سكان الجزائر وغيرها . فأي وصف لحج المسلمين بيت الله (الكعبة) أصرح من هذا؟ ومن راجع الاصحاح الرابع والخمسين وجد أن أشعياء يخاطب به مكة المكرمة خطابا ظاهرا لا ينطبق الا عليها (راجع كتاب اظهار الحق لتوضيح هذه البشارات)

= وكذلك ذبح ايليا أنبياء البعل وهم ٤٥٠ رجلا (١ مل ١٨ : ٢٢ و ٤٠)

وأما عدم عمل المسيح عليه السلام شيئا من مثل ذلك فهو لاختلاف الاحوال والظروف في زمنه اذ لم يكن له من القوة الحربية ما يكفي للتغلب على اعدائه من اليهود والرومان فلذا كان طريق المسالمة خيرا له ولاتباعه فاختلفت الاحكام في زمنه عما كان في زمن موسى وخلفائه لاختلاف الاحوال . ومع ضعفه هذا وكثرة دعوته للسلم والصفح . العفو قال كما في انجيل متى ١٠ : ٣٤ (لا تظنوا أني جئت لالقي سلاما على الارض . ما جئت لالقي سلاما بل سيفا ٣٥ فاني جئت لافرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته) ولا ندري لو كان بلغ من القوة والسلطان ما بلغه موسى وداود ومحمد عليهم السلام ماذا تكون أقواله وأفعاله !! ومع تأويل النصارى هذه العبارة وقت الجدال الديني وقولهم لمحاجيهم ان دينهم لم يأمرهم الا بالعفو والصفح ومحبة الاعداء لا تجد أمة من أمم الارض ارتكبت مثل ما ارتكبوه من المظالم والحروب وسفك الدماء وقتل الابرياء واضطهاد الناس في دينهم واكراههم على المسيحية واحراقهم بالنيران وتمزيق اجسامهم وغير ذلك من المظالم التي تشيب لها الولدان ولا ينكرها تاريخ من تواريخهم فمنذ زمن قسطنطين حيث صارت لهم دولة وقوة الى اليوم لا تجد في الغالب زمنا خاليا من تعديهم على الضعفاء وظلمهم وخضبهم الارض بالدماء الطاهرة وتفننهم في اختراع الآلات المدمرة وكان ذلك في اكثر الاوقات برضاء رؤساء الدين واقرارهم بل وأمرهم به احيانا ولا تسمع منهم التحدث بحلم المسيحية وسماحتها الا في وقت ضعفهم أو في وقت المجادلات الدينية فقط فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فتخبر بتعبيره قدام الملك ٣٧ أنت أيها الملك ملك الملوك لان إله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا ٣٨ . . . . فانت هذا الرأس من ذهب ٣٩ و بعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الارض ٤٠ وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد . . . . – ٤١ و بما رأيت القدمين والاصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة و يكون فيها قوة الحديد من حيث انك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين ٤٢ وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصما ٤٤ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت الى الابد ٤٥ لانك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب . . . . الحلم حق وتعبيره يقين)

فالمملكة التي قامت بعد بختنصر هي مملكة الفرس التي أسسها كورش وكانت دون مملكة بابل والمملكة الثالثة التي كالنحاس هي مملكة اليونان وقد تسلط الاسكندر الاكبر مؤسسها على كل الارض المعروفة كما قال دانيال والرابعة هي الدولة الرومانية التي انقسمت إلى قسمين كما انقسم ساقا التمثال وكانت فيها قوة الحديد مختلطا بخزف الطين وهو كناية عن الملوك الضعفاء فيهم وفي أيام ملوك هذه الدولة بعد انقسامها أقام إله السموات مملكة الاسلام التي لن تنقرض أبدا وقد سحقت كل هذه الممالك وثبتت هي إلى الابد كما قال دانيال . ومحمد (ص) هو الحجر الذي قطع لا بيد أحد بل بالقدرة الالهية من الجبل وسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب وصار جبلا كبيرا وملأ الارض كلها وفي ذلك أيضا اشارة إلى منشإه في القفر و بين الجبال .

وقد استولت أمته على ما ملك بختنصر والفرس واليونان والرومان ولا تزال جميع أراضي هذه الممالك في أيدي أمته إلى اليوم على ضعفها المؤقت وهي التي أفنت الدولة الرومانية واستولت على القسطنطينية عاصمة ملكها حتى هذه الساعة. والدولة

كافة) وتحية المسلمين (السلام عليكم) يقولونها دائما في صلواتهم وفي مقابلة بعضهم لبعض وهم مأمورون بافشاء السلام في الارض وفي مسالمة جميع الامم الا من بدأهم بالبغي والعدوان فهم أمان وسلام للناس كافة الا المعتدين (أشداء على الكفار رحماء بينهم . أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وهذه الكلمات (السلم «بكسر السين وفتحها » والاسلام والسلام) كلها من مادة واحدة ومتقاربة في معنى الصلح والامان والطاعة وعليه فهذه البشارة صريحة في محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي ذكر فيها باسمه فكأن يعقوب قال (ان ملك اليهود لايزول تماما وأنبياؤهم لاتنتهي الا اذا جاء (الاسلام) أو (صاحب الاسلام) صلى الله عليه وسلم وقد كان ذلك كما قال في آخر الايام أو آخر الزمان (تك ٤٩ : ١)

ومن المعلوم أن المسلمين يسمون نبيهم (خاتم النبيين) و (نبي آخر الزمان) و (صاحب الاسلام) و (مفشي السلام) فأي تطابق أكمل وأتم من هذا في تفسير هذه النبوة العظيمة عن محمد ودينه ؟ وأي نبوة للنصارى في المسيح أصرح من هذه ؟ اللهم أنر بصائرهم حتى يؤمنوا بدينك الاسلام و بنبيك صاحب السلام الذي بشرهم به يعقوب من قديم الازمان

أما المسيح فما جاء ـ كما قال ـ ليلقي سلاما على الارض بل جاء ليلقي سيفا (متى ١٠ : ٣٤) وقد كان ذلك كما سبقت الاشارة اليه فان ماوقع من أتباعه ويقع منهم الى الآن وما يخترعونه من الآلات المهلكة للنفوس المبيدة لبني البشر لم يقع مثله من أمة أخرى سواهم

(البشارة السابعة) قال دانيال مخاطبا بختنصر ومفسرا له رؤياه ٢ : ٣١ (أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم ٣٢ رأس هذا التمثال من ذهب جيد . صدره وذراعاه من فضة . بطنه وفخذاه من نحاس ٣٣ ساقه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف ٣٤ كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما ٣٥ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ...... أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الارض كلها ٣٦ هذا هو الحلم

الفرس عدة مرات واستيلاء الفرس على كثير من اراضيهم حتى هددوا القسطنطينية نفسها وحاصروها ؟؟

وما هو هذا الحجر الذي قطع صغيرا وسحق هذه الممالك كلها وصار جبلا كبيرا حتى ملأ الارض كلها ؟ أليس هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي بدأ صغيرا ثم صار كبيرا حتى محق دولتي الفرس والروماني واستولى على املاكهما وعلى تيجان ملوكهما وملأ أراضيهما بالاسلام لله وعبادة الرحمن منذ افتتاحهما الى الآن؟ فأين النصرانية التي ثبتت في أراضي تلك الممالك القديمة إلى الابد ؟

ولا يصح الاعتراض علينا بضعف المسلمين الحالي فان الاسـلام له فترات فيكون أحيانا ضعيفا وأحيانا قويا ونحن الآن في فترة من الضعف زائلة لا محالة بحول الله تعالى . على أن الدين الاسلامي نفسه من أقوى الاديان في الارض إن لم نقل اقواها فانه أشد أخذا بقلوب أتباعه من كل دين سواه وأسهل انتشارا وأسرع حتى كاد يغلب غيره في أ كثر بقاع الارض على حداثة عهده كما يشهد بذلك المبشرون أنفسهم ولا توجد أمة أشد تمسكا بدينها من المسلمين فان النصارى وان انتمت اسما إلى المسيحية لكنهم أبعد الناس عن العمل بها وترى جمهورهم لا يعمل الا بما ناقض أصولها على خط مستقيم فالفرق بين المدنيـة الاوروبية وتعاليم الاناجيل واضح لا يحتاج الى دليل . ومع أن أغلب البلاد الاسلامية قد ملكها الافرنج امتلاكا سياسيا إلا أنها في الحقيقة لم تصر بذلك افرنجيـة بل لا تزال كما كانت اسلامية يملأها المسلمون و يعمرونها و يستغلون خيراتها ولن تترك لشعب آخر غيرهم كما قال دانيال (٢ : ٤٤) ولم يمحوا منها أو نزل صبغتهم عنها كما محيت الدول القديمة التي ملكتها قبل الاسلام اللهم إلا في النادر جدا كما حصل في الأندلس (انظر أيضا الحاشية التي بصفحة ١١٠ من هذا الكتاب)

ومن حسن التطابق بين النبوات بعضها مع بعض أن داود والمسيح سميا محمدا حجرا أيضا كما سبق (متى ٢١ : ٤٢ ومز ١١٨ : ٢٢)

والخلاصة أن تفسير نبوة دانيال هذه بغير تفسيرنا هذا انما عن المكابرة والتعسف والعناد . ولو كان محمد صلي الله عليه وسلم كاذبا لما ذكره الله على

الاسلامية هذه قد ظهرت في أيام ملوك الدولة الرومانية كما قال دانيال (٢ : ٤٤) وبعد انقسامها (٢ : ٤١) وبعد أن كان فيها قوة من الحديد مختلطة بقوة من الخزف . ودولة الاسلام قد أقامها الله في الارض وثبتها حتى أفنت كل هذه الممالك وستثبت إلى الابد حسب هذا الوعد الالهي (٢ : ٤٤)

هذا هو التفسير الصحيح لهذه النبوة وهو ينطبق عليها حرفيا أتم الانطباق ولا يوجد لها تفسير غيره . وإن خالف النصارى فليخبرونا : هل يعقل أن يتكلم دانيال على هذه الممالك الاربعة , مملكة بابل والفرس واليونان والرومان) ويترك المملكة الاسلامية التي سحقت كل هذه الممالك واستولت على جميع أملاكها إلى عصرنا هذا ؟ فهل غاب ذلك عن علم الله أو حصل بغير ارادته أو نسي أن يذكره ؟ مع أنه هو الذي أقامها بنفسه كما قال دانيال وقضى أنها تفني كل هذه الممالك وان تثبت الى الابد

فان قيل إن المراد بذلك دولة النصارى (أي الدولة الرومانية بعد اعتناقها المسيحية) قلت إن الدولة الرومانية صارت مسيحية في عهد قسطنطين أي قبل انقسامها مع أن صريح كلام دانيال أن الدولة المرادة بكلامه يقيمها الله بعد انقسام الدولة الرومانية الى قسمين اثنين فيهما الضعيف والقوي . والدولة المسيحية لم تفن الدولة الرومانية ولم تسحقها بل هي هي وقد ابتدأ الضعف فيها بعد اعتناقها المسيحية حتى صارت اضعف مما كانت عليه في زمن وثنيتها إلى أن ازالتها دولة الاسلام واستولت على جميع املاكها تقريبا وعلى جميع ممالك الدول الاخرى المذكورة ولا تزال هذه الاراضي كلها في ايدي المسلمين إلى اليوم ، فهل ثبتت الدولة الرومانية المسيحية إلى الابد كما قال دانيال وهل سحقت الدول الاربعة القديمة واستولت على ملك بابل وفارس وغيرهما ؟ أم هي التي سحقها الاسلام واستولى على عاصمة ملكها (القسطنطينية) وحول كنائسها مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وحده كثيرا ؟

وهل الدولة الرومانية المسيحية هي التي سحقت وافنت دولة الفرس (العجم) كما قال دانيال ٢ : ٤٤ ام هي دولة الاسلام ؟ وهل نسوا انقلاب الرومان أمام

ولعله يريد ان يسمعوه صوتهم العربي في تلاوة القرآن . وهم يسمون عند اليهود بالاسماعيليين (كما في تك ٣٧ : ٢٥) أي الذين يسمعهم الله

ولا تنس التطابق العجيب بين لفظ (الاصحاب) و بين اسم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

هذا وقد بشرت كتبهم أيضا بالخلفاء الراشدين الاربعة فقال زكريا ١ :١٨ (فرفعت عيني ونظرت و إذا بأربعة قرون ١٩ فقلت للملاك الذي كلمني : ماهذه ؟ فقال لي هذه هي القرون التي بددت يهوذا واسرائيل وأورشليم ٢٠ فأراني الرب أربعة صناع ٢١ فقلت جاء هؤلاء ماذا يفعلون ؟ فتكلم قائلا هـذه هي القرون التي بددت يهوذا حتى لم يرفع انسان رأسه . وقد جاء هؤلاء ليرعبوهم وليطردوا قرون الامم الرافعين قرنا على أرض يهوذا لتبديدها) أما القرون الاربعة فهي باعترافهم مملكة الكلدان والفرس واليونان والرومان كما في حاشية الكاثوليك على الكتاب المقدس وأما الصناع الاربعة الذين رعبوا تلك الامم وطردوهم فهم بلا شك الخلفاء الراشدون فان مملكة الكلدان والفرس صارتا مملكة واحدة وكذلك اليونان والرومان وقد استولى الخلفاء الراشدون على ممالك تلك الدول وعلى أرض يهوذا التي كانوا بددوها كما لايخفى . والمسلمون قد جاءوا من بلاد العرب و بنوا هيكل أورشليم بعد أن كان أحرق وأبيد ولذلك قال زكريا ٦ : ١٥ « والبعيدون يأتون و يبنون في هيكل الرب فتعلمون أن رب الجنود أرسلني إليكم ويكون إذا سمعتم سمعا صوت الرب إلهكم * * * * » فكل ذلك بشارة بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقد سماهم بهذا الاسم في سفر نشيد الانشاد كما سبق (٨ : ١٣)

(٣) قوله ٥ : ١٦ (حلقه حلاوة وكله « مشتهيات» . هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم) وأصل كلمة (مشتهيات) بالعبرية (مَحَمَدِّيم) ومعناها (محمد أو محمود) وهو نص صريح قاطع بأن المراد بهـذا السفر هو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فأي تصريح بعد هذا يريدون ؟ وأي نبوة عندهم عن المسيح أصرح من هذه ؟ ومعنى (حلقه حلاوة) أن كلامه عذب جميل وهو إشارة إلى فصاحته و بلاغته المشهورة . وهو صلى الله عليه وسلم كله «محمود» محبوب فلهذا قال« هذا

ألسنة أنبيائه بهذه الصورة بل لا كثر من ذمه وتقبيحه وتحذير الناس منه كما حذر عيسى عليه السلام من الكذابين الذين ظهروا بعده وأفسدوا دينه (متى ٢٤ : ٢٤)

(البشارة الثامنة) سفر نشيد الانشاد هذا السفر قالت فيه اليهود انه رمز لاورشليم وقالت النصارى ، انه للكنيسة المسيحية أما نحن فنقول إنه رمز الى محمد صلى الله عليه وسلم والامة العربية . ومما ينقض قول اليهود قوله في الاصحاح ٦ عدد ٤ (انت جميلة ياحبيبتي كترصة « اسم مدينة » حسنة كأورشليم) فلا يصح أن تكون أورشليم مشبهة بنفسها بل لا بد أن يكون المشبه شيئا آخر غير أورشليم

أما مايثبت قولنا ان هذا السفر هو في حق محمد وأمته العربية مايأتي : —

(١) قوله ١: ٥ (أنا سوداء وجميلة يابنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان ٦ لا تنظرن اليّ لكوني سوداء لان الشمس قد لوحتني بنو أمي غضبوا عليّ ٨ ان لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءك عند مساكن الرعاة) وقوله ٢: ٨ (صوت حبيبي هو ذا آت طافرا على الجبال قافزا على التلال) وكل ذلك اشارة الى سكنى العرب في الصحاري والقفار بين الجبال والتلال ورعيهم المواشي والانعام وسكناهم في الخيام السود كخيام (قيدار) وهو ابن اسماعيل الثاني (تك ٢٥ : ١٣) وهو أب لاشهر قبائل العرب وتسمى بلادهم أيضا قيدار (أش ٢١ : ١٦ وأر ٤٩ : ٢٨) فكانت خيامهم كخيام ابيهم تماما وقد اسود لونهم من تأثير الشمس كما قال لكثرة تعرضهم لها وانما ذكر شقق سليمان هنا أي ستائره لشهرتها بالجمال والابهة والفخامة، أما قيدار فلا مسوغ لذكره الا كونه اباهم

(٢) وقوله ٢: ١٤ (ياحمامتي في محاجئ الصخر في ستر المعاقل أريني وجهك أسمعيني صوتك لان صوتك « لطيف » ووجهك جميل) فيه اشارة ايضا الى سكناهم بين الصخور الجبلية كما كانوا يفعلون وقوله (صوتك لطيف) اصله العبري (صوتك « عيرب ») أي عربي وهو صريح في ان لغتهم عربية . وقوله (اسمعيني صوتك) اشارة الى اسم ابيهم (اسماعيل) او (يشمع ايل) ومعناه (الله يسمع) فهو يسمع لابيهم و يطالب منهم ان يسمعوه صوتهم العربي لانه سميع لهم جميعا ومجيب و يحبهم وقد كرر ذلك ايضا فقال ٨: ١٣ (أيتها الجالسة في الجنات الاصحاب يسمعون صوتك فاسمعيني)

مقالات متنوعة في الاسلام

(المقالة الاولى)

تاريخ المصاحف

« نشرت في الجزء ٢ من المجلد ١٠ من المنار ص ١٢٩ »

لما لهذا الموضوع من الاهمية الكبرى رأيت أن افيض القول فيه بما يزيل ما ران على قلوب كثير من الناس من الشبهات والاشكالات التي يقذف بها المسلمين دعاة من المسيحيين لا يميزون بين الغث والسمين . ولايضاح المسألة إيضاحا تاما رأيت أن أضع مقدمة هامة تمهيدا للبحث، ودعامة للفحص، فنقول :ـ غير خاف على أحد أن الامة العربية قبل الاسلام كانت أمة أمية يقل فيها وجود من يعرف القراءة والكتابة معرفة جيدة ، وكان جل اعتمادهم في جميع مايروونه من انسابهم وأشعارهم وغيرها على حفظهم لها في صدورهم . ولم يعرف أنه كان عندهم كتاب ما من الكتب في أي موضوع كان ، وغاية ما كانوا يفهمونه من لفظ (كتاب) أنه أي صحيفة مكتوب عليها من نحو الجلود أو العظام أو الحجارة أو الجريد ، بل إن الصالح للكتابة من كل من هذه الاشياء كان لديهم قليلا ولذلك لم يستغنوا بنوع واحد منها عن باقيها ، ولم يكن عندهم الورق الذي نعرفه الآن ، وهذا اللفظ ما كان يطلق عندهم الا على ورق الشجر وعلى رقاع من الجلود رقيقة . والاطلاق الاخير مستعار من الاول .

ولا نجد في اللغة العربية اسما خاصاً بما يشبه ورقنا المعروف سوى لفظ واحد

هو حبيبي وهذا هو خليلي » ولذلك يسميه المسلمون (حبيب الله) فاسمعوا ذلك يا أهل الكتاب يا أبناء أورشليم وآمنوا برسوله وحبيبه محمد المحمود تفوزوا برضاء الله مع الفائزين . الله أكبر ولله الحمد على هدايته لنا الدين خير الخلق حبيب الرحمن عليه الصلاة والسلام

وفي هذا القدر كفاية لمن فتح الله عين بصيرته ولم يعمه التعصب أو زخرف هذه الحياة الدنيا عن رؤية الحق فنزه عقله عن المكابرة والتعسف الباطل والتكلف البارد . وقد بقيت هذه البشائر في كتب أهل الكتاب حجة عليهم الى يوم القيامة رغما من تلاعبهم فيها مصداقا لقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

الدكتور
محمد توفيق صدقي

كتبت هذه الرسالة في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٠ ـ ٤ مارس سنة ١٩١٢

ويليها مقالات في الاسلام للمؤلف أيضا

(٣:٢٣ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) وخاطبهم بقوله (٥ : ١٥ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) وقال فيهم (٥ : ١٣ ونسوا حظا مما ذكروا به) وقال لهم (٦ : ٩١ قل من أنزل الكتاب (١) الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس) أي صحفا متفرقة (تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) وقال أيضا (٢ : ٧٩ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم) . وهذا كله يدل على أن كتبهم المقدسة في بلاد العرب ما كانت تامة ولا محصورة بين دفتين بحيث لا تقبل الزيادة ولا النقصان وانما كانت مبعثرة في رقاع منثورة وأن بعض صحفهم كان حقا والبعض الآخر كان باطلا . أما ما ورد في القرآن من نحو قوله تعالى (٥ : ٢٣ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) فمعناه أن عندهم أجزاء من التوراة فيها حكم الله في المسألة التي تحاكموا فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكما يطلق لفظ القرآن ويراد به اجزاء منه كذلك يطلق لفظ التوراة أو الأنجيل ويراد به بعضها أو أجزاء منهما . وهذه مسألة شائعة في القرآن الشريف وفي اللغة . ومن ذلك قوله تعالى (٢:١٨٥ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) أي بعضه أو جزء منه

قدمنا لك هذه المقدمة لتعلم أن العرب ما كانت تعرف الكتاب ولا الورق بمعنييهما عندنا . وأوضحنا لك فيها درجة معرفتهم القراءة والكتابة . وذكرنا لك ما كانوا عليه يكتبون

بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم وحالتهم كما علمت وأوحي اليه هذا القرآن ليبلغهم إياه . فانظر ماذا فعله هذا الرسول الأمين ! حتى نشر بينهم الكتاب المبين ، علم قوة ذاكرتهم واعتمادهم عليها في نقل أخبارهم واشعارهم حتى أن كثيرا

(١) حاشية للكاتب — المراد بالكتاب في جميع هذه الآيات الوحي المكتوب بقطع النظر عن كيفية كتابته ووضعه كقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقوله (كتاب أنزل اليك) والقرآن حينئذ لم يكن تاما ولا مجموعا وانما المراد ماكان يوحي في ذلك الوقت فيكتب

وهو (الكاغد) وهو فارسي معرب وقد ادخلته العرب في لغتها بعد النبي صلى الله عليه وسلم فلذا لم يرد في كلامهم قبله عليه السلام ولا في عصره ولم يرد في أحاديثه ولم نسمع أنه كان مما يكتب عليه القرآن في حياته عليه السلام . والغالب أن هذا اللفظ دخل في اللغة العربية بعد فتح المسلمين لبلاد فارس وأما لفظ القرطاس فهو أقدم في اللغة وورد في القرآن الشريف وكان معناه عندهم الصحيفة من الاشياء التي كانوا يستعملونها للكتابة ثم أطلقوه فيما بعد على الكاغد أيضا حينما عرفوه وصاروا يسمون به كل ما يكتبون عليه من الصحف ، هذا وان ماورد في كلامهم من لفظ (كتاب) كانوا يريدون به ما يطلق عليه في عرفنا اليوم لفظ (خطاب) أو جواب ومنه قوله تعالى في قصة سليمان (٢٧ : ٢٨ إذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) ومنه كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ومثل الكتاب السفر والزبور والسجل والدفتر فان معانيها كلها متقاربة وما كانوا يفهمونها كما نفهمها الآن . ولذلك لما جمع القرآن بعد النبي اختلفت الصحابة في ماذا يسمونه به وتوقفوا لانهم لم يعهدوا مثله من قبل ثم استقر رأيهم أخيرا على تسميته بالمصحف تبعا لاهل الحبشة في تسمية مجموعاتهم بذلك والمصحف الكتاب بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن عند الاطلاق لانه مأخوذ من أصحف أي جمع الصحف . وكل صحيفة كتاب عند العرب كما ذكرنا ،وكانت أيضا كتب بعض الامم غير العربية حتى الرومانيين عبارة عن قطع من الجلود أو القماش أو البردى يختلف عرض الواحدة منها من ١٢ الى ١٤ قيراطا وكانوا يلفونها على قضيب من الخشب ملصق بأحد أطرافها كما تلف الخرائط الجغرافية الآن وهذا هو الطي المذكور في قوله تعالى (٢١ ١٠٤ يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب) . ولا تزال التوراة مطوية كذلك عند السامريين الى اليوم

هذا الذي تقدم ليس خاصا بمشركي العرب بل يشمل ايضا أهل الكتاب منهم . ولذلك لا نسمع بوجود نسخة كاملة من التوراة أو الانجيل بينهم كالنسخ الموجودة الآن . ولم يكن عندهم سوى أجزاء قليلة منهما مكتوبة على قطع متفرقة من الجلود أو العظام أو الخشب او نحوه . فلذا وصفهم القرآن الشريف بقوله

أو اصلاح الى بلادهم يسوقونه فبصروا بما لم يبصروا به من قبل : ووجدوا أن تلك الامم طريقة اخرى في تدوين معلوماتهم لم تكن تخطر على بالهم . وهي أن يكتبوها على صفحات صحف من نوع واحد . يضمون بعضها الى بعض مرتبة على حسب ترتيب عباراتها وربما رأوا انواعا اخرى من القرطاس أحسن من التي كانوا يعرفونها كأوراق البردي بمصر مثلا

دعاهم داعي الفزع عند قتل سبعين من القراء بعد النبي بقليل يوم اليمامة (١) إلى المبادرة والاسراع في جمع القرآن على طريقة تلك الامم خوفا عليه من ضياع تلك الرقاع المختلفة الانواع ، فعقدوا في الحال اجتماعا ، واستقر رأيهم اجماعا ، على العمل على تلك الطريقة ، وهكذا جمع القرآن ، ووجد بين العرب أول كتاب بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن وإن كان عظيم الحجم عما اعتدناه ، وتحقق وعد الرحمن (١٥ : ٩ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وكان من شدة تدقيقهم في جمعه أن لا يكتفي الجامعون بحفظهم ولا بما كان عندهم مكتوبا إلا إذا راجعوا أيضا عند غيرهم ما كان مكتوبا بين يدي رسول الله وباملائه وأن يوجد هذا مكتوبا عند أكثر من واحد أو يشهد عليه شاهدان منهم مع أن الجامعين كانوا يحفظونه جيدا في صدورهم وفي صحفهم ولكن كان ذلك منهم مبالغة وغلوا في ضبطه

(١) حاشية : كانت واقعة اليمامة في أوائل خلافة أبي بكر في السنة الاولى منها ومدة الخلافة كلها كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال

واذا أردت أن تعرف مأخذ النسخة العبرية للعهد القديم الذي بين أيدي النصارى الآن فاسمع ما قاله صاحب قاموس الكتاب المقدس العربي (بوست) في ص ٢٤٣ مجلد ٢ قال

(أما العهد القديم العبراني الذي بين ايدينا فمأخوذ عن النسخة المسورية وهو ما جمعته لجنة من اليهود في طبرية وفي سورة في وادي الفرات من القرن السادس الى الثاني عشر للميلاد) (تأمل) وقد حرك معلمو تلك اللجنة الكلمات وأضافوا الى النص تفسيرا يسمى المسورة أي التقليد يتضمن جميع ما يتعلق بصحة ذلك النص . وكانت العبرانية قبل ذلك تكتب بدون حركات فاضافت تلك اللجنة الحركات وأثبتها مع الالفاظ ويقال ان المسوريين حرموا النسخ التي كانت تخالف نسختهم فلذلك لا تكاد توجد نسخة عبرانية قديمة وأقدمها لا يتقدم على القرن العاشر)

ولا يخفى ما يمكن ان تحدثه الحركات من التغيير في المعنى فهم وضعوا هذه الحركات بحسب فهمهم وأفكارهم ولا تنس الفرق الهائل بين القرآن وهذه الكتب التي ما كانت منتشرة بين العامة ونسخها غير كثيرة لانتشار الجهل اذ ذاك بينهم وغير محفوظة في الصدور بل ولا يعرف معنى ما فيها أو يطلع عليها الا القليل ولذلك سهل عليهم اعدام كل النسخ القديمة لقلتها

منهم من كان يسمع الابيات من الشعر أو القصيدة الطويلة تتلى عليه فيحفظها من أول مرة فداوم صلى الله عليه وسلم على حضهم على تلاوة القرآن والتعبد بها و بالغ في حثهم على حفظه وضبطه . وفرض عليهم قراءته في الصلوات و بقي على هذه الحالة بضعا وعشرين سنة حتى كثر فيهم القراء ، وكانت السورة الواحدة يحفظها الالوف من الناس والقرآن كله يحفظه الكثيرون منهم . لم يكتف صلى الله عليه وسلم بذلك بل أمرهم بكتابته دون سواه مما علمهم واختار طائفة منهم لتكتبه له على ما يتيسر لهم اذ ذاك من الجلود والعظام والجريد والحجارة وغيرها مما كانوا يعرفونه. وأكثر من ترغيبهم في التعلم ومدح القراءة والكتابة بنحو قوله « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » ومثل ذلك في الاحاديث كثير . وورد في القرآن الشريف أيضا قوله تعالى (٦٨ : ١ ن والقلم وما يسطرون) وقوله (٨٦ : ٣ إقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ٤ علم الانسان ما لم يعلم) وذم الله تعالى أهل الكتاب بقوله (٢ : ٧٨ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا اماني وإن هم إلا يظنون) وألزم الله تعالى المؤمنين بكتابة الدين في الآية المشهورة في آخر سورة البقرة وكان صلى الله عليه وسلم يكلف بعض الأسرى بتعليم كل منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة عند العجز عن اداء الفدية و بذلك وجدت فيهم الرغبة في تعلم القراءة والكتابة واخذ عدد الكاتبين بينهم يزداد شيئاً فشيئاً . وكتب كل ما نزل من القرآن كثير من المسلمين في عهده عليه الصلاة والسلام . ولم يمت إلا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات مكتوبة في السطور عند الكثير منهم محفوظة في صدور الجماهير و بعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو أيضا منهم . والخلاصة أن النبي عليه السلام اتبع أقرب الطرق لتعميم نشر القرآن المجيد بين جميع أفراد الامة العربية وعمل أحسن ما يمكن عمله بالنسبة لمعلوماتهم وحالتهم .

سمت نفوسهم بعد ذلك للعلى بما بثه فيهم واستعدت للرقي وعرفوا قيمة الكتابة والعلم فلما كثر اختلاطهم بمن جاورهم من الامم الراقية أخذوا ينقبون ويفتشون في أحوالهم بعيون مبصرة وعقول مفكرة لكي يعثروا على جديد يقتبسونه

القراءة والكتابة بعد أن كانوا جاهلين أميين لا يعرف منهم الكتابة إلا أفراد يعدون على أصابع اليد الواحدة وربما ما كانوا يحسنونها . وقد جرى عليه السلام في ذلك على حسب نواميس الطبيعة وسنن الله تعالى في الرقي والتدرج فان الطفرة محالة ولا يمكنه أن يرقيهم إلى أعلى درجة في كل شيء ديني ودنيوي في وقت واحد في زمنه القصير بالنسبة لعمر العالم ولما يحتاجه الترقي من الزمن الطويل

أما اختلاف القرآآت فهو نوعان : اختلاف بسبب اللهجات كالامالة وعدمها واختلاف آخر في الكلمات كتغيير شكلها أو إعرابها أو بعض حروفها أو نحو ذلك. ولكل من النوعين فوائد. ففوائد الاختلاف بسبب اللهجات هي (١) تسهيل نطقه وفهمه وحفظه لقبائل العرب المختلفة (٢) إظهار أنهم يعجزون جميعا عن الاتيان بمثل سورة منه كما تحداهم بذلك ولو بلغاتهم المختلفة وأن عجزهم عن المعارضة ليس ناشئا عن نزوله بلهجة واحدة لا يعرفها كثير منهم . وفوائد اختلاف الكلمات هي (١) تسهيل حفظه على كل أحد . وبيان ذلك أن من أراد حفظ القرآن كثيرا ما يسبق لسانه بنطق مخصوص . فاذا علم أن هذا خطأ جاهد نفسه لتقويم لسانه ولكن اذا علم أن قراءته جائزة لم يحتج الى هذا العناء مثلا اذا أراد أن يحفظ قوله تعالى (٨٩ : ١٧ كلا بل لا تكرمون اليتيم ١٨ ولا تحاضون على طعام المسكين) قد يسبق لسانه ويقول (كلا بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) فيجهد نفسه في العدول عن ذلك ولكنه إذا علم أن هذه قراءة جائزة لا يحتاج إلى التعب وهذا الامر يدركه جيدا من عانى حفظ القرآن الشريف. ومن ألزم باصابة غرض واحد لا غير ليس كمن أبيح له إصابة أي غرض من بين بضعة أغراض . ولا تنس ما لتسهيل حفظ القرآن على الأمة من الفوائد فانه أعظم طريقي القرآن في نقله وروايته وخصوصا في الازمنة القديمة وبين الامم الساذجة (٢) تكثير المعاني . فبتعدد القرآآت تكثر المعلومات وتزداد الفوائد . وقد يكون بعض المعاني مبينا للبعض الآخر (٣) تخفيف بعض الاحكام فمثلا قوله تعالى في آية الوضوء (٥ : ٦ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) بالكسر يفهمنا أن الغسل المفهوم من قراءة الفتح غير واجب على التعيين وأن المسح يكفي

اختلف إذ ذاك المسلمون في ترتيب سور القرآن وطرق قراءته . وتبع ذلك اختلاف مصاحفهم لان الرسول لم يلزمهم باتباع ترتيب مخصوص في السور . ولم يجمعهم على قراءة واحدة . سور القرآن كل منها ككتاب قائم بذاته كما قال تعالى (٢:٩٧ رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) فليس ثم فائدة كبيرة في التزام ترتيب مخصوص فيها . ولفظ (سورة) مأخوذ من سور المدينة سميت به القطعة المخصوصة من القرآن لأنها طائفة مستقلة بذاتها . فكأنه صلى الله عليه وسلم ترك بين المسلمين ١١٤ كتابا كل منها محفوظ مكتوب مرتبة آياته . وجمعها بالطريقة الحاضرة لم يكن معروفا في عهده وإنما حدث بعده بقليل وإن كانت في زمنه مجموعة عند بعضهم في الصحف المتنوعة التي ذكرناها

ولا فرق بين كتابة القرآن على صحف متنوعة كما كان في عصر النبي وبين كتابته على صحف من نوع واحد كما حصل في زمن أبي بكر مادام النبي عليه السلام أميا لا يمكنه أن يطلع بنفسه على المكتوب فان المعول عليه في كلتا الحالتين هم أصحابه وهم الذين جمعوه بالطريقة الجديدة بعده بقليل بعد أن ضبطوه على رسول الله حفظا وكتابة ضبطا لامزيد عليه والظاهر من مسألة عرض النبي القرآن على جبريل مرة في كل سنة ومرتين في سنة وفاته أنه كان يعرضه بعد ذلك على أصحابه أيضا ويسمعه منهم ولذلك قال البغوي في شرح السنة أن زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة وكتبها لرسول الله وقرأها عليه وكان يقرئ الناس بها حتى مات وكان زيد هذا رئيس لجنة الجمع في زمن أبي بكر وفي زمن عثمان أيضا وأخرج الحاكم في المستدرك بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال (كنا عند رسول الله نؤلف « نجمع » القرآن من الرقاع) الحديث

هذا وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسلا لتعليم الناس الحرف والصنائع كصناعة الكتب وأدوات الكتابة أو الطباعة بل جرى مع الناس على حسب حالتهم ومعارفهم ودرجة رقيهم ومدنيتهم . وقد كان واثقا بوعد الله تعالى له بحفظ القرآن ورعايته بعين عنايته فلذا لم يحدث عليه السلام بين العرب تحسينا يذكر في كيفية صناعة الكتب بل ترك ذلك لخلفائه . وكفاه فخرا نشر العلم بينهم وتعليمهم

وأريقت دماء وكان دم عثمان في أولها ولارتد كثير من الناس عن الاسلام لهذا السبب ولعاب المسلمين بتحريف القرآن من خالطهم أو دخل فيهم من أهل الكتاب وغيرهم ولما اتفقوا جميعا على قبول هذه المصاحف ولو جدت مصاحف مختلفه بينهم الى اليوم . فعدم حصول شيء من ذلك يدل على أن هذه المصاحف هي عين ماتلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصا لان الذين تلقوها بالقبول ما كانوا جاهلين حرفا واحدا من القرآن بل كانوا حافظين له حفظا جيدا في الصدور من قبل وجود هذه المصاحف وكثير منهم كانوا ممن تلقوه كله أو بعضه مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم

هذه المصاحف العثمانية لم تكن منقوطة ولا مشكولة ورسمها في كثير من المواضع بحسب اصطلاح العرب يخالف ما اصطلح عليه الناس فيما بعد من قواعد رسم الكلمات العربية . ولكن جرى المسلمون على تقليد هذا الرسم في جميع بقاع الارض على مخالفة بعضه لما وضعوه من القواعد محافظة منهم على عمل الصحابة رضوان الله عليهم وتحاشيا من عمل أي تصحيح أو تحرير في الكتاب ولم يخرجوا عنه الا في الازمنة الاخيرة في كلمات قليلة كتبوها على مقتضى طريقتهم . على ان أكثر مصاحفهم لا يزال الى اليوم كالكتبة الاولى لكنها في الغالب منقوطة مشكولة

أما القراآت فاستمرت مختلفة بين المسلمين الى زمننا هذا فهم وان كانوا أجمعوا على المصاحف العثمانية الا أن القراآت التي كانوا يقرءون بها من قبل — وكانت غير مخالفة للرسم العثماني مخالفة يعتد بها — استمروا على القراءة بها فيما بعد . أما التي تخالفه فأخذت تتلاشى من بينهم شيئا فشيئا . وعليه فوجود المصاحف العثمانية أفاد المسلمين ثلاث فوائد (الاولى) إجماعهم على مصحف واحد في الكتابة (الثانية) تقليل الاختلاف بينهم في القراءة (الثالثة) اتفاقهم على ترتيب مخصوص للسور ولعل هذا الترتيب كان يستحسنه الرسول وان لم يوجبه كما سبق

تواتر من هذه القراآت المختلفة سبع روى كلا منها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجم الغفير من أصحابه وأخذ عنهم في البقاع المختلفة الجماهير من التابعين فأخذ عنهم من بعدهم وهكذا الى اليوم . وهذه القراآت المتواترة يحتملها رسم

فلهذه الاسباب ولغيرها كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرىء المسلمين القرآن بأوجه مختلفة ولذلك قال كما تواتر عنه (أنزل القرآن على سبعة أحرف) الحديث، ولفظ السبعة تستعمله العرب أحيانا للمبالغة في الكثرة فيحتمل أن يكون هذا هو المراد هنا أو أن المراد سبع لهجات العرب الشهيرة وهو لا ينافي أن هناك قراآت أخرى غير اللهجات إذ لفظ الحديث لا يفيد القصر

وقع الخلاف بين المسلمين في هذه القراآت الى أن اشتد في زمن عثمان رضي الله عنه اذ كان بعضهم اذا تلقى قراءة وسمع من غيره ما يخالفها نازعه في ذلك واتهمه بالتحريف فخشي أن يحصل بينهم من الاختلاف في القرآن ما حصل بين أهل الكتاب . ورأى أن يجمع المسلمين على مصحف واحد ينسخون عنه ويرجعون اليه في ضبط مصاحفهم حتى لا يكون فيها اختلاف ولا تكثر فيها هذه القراآت وأخبر جمهورا عظيما من أصحاب رسول الله بذلك فوافقوه على رأيه فأمر بكتابة المصحف على طريقة قريش في الرسم وكان الكتاب فريقا من الصحابة أيضا . فكتبت عدة مصاحف بهذه الطريقة بعد التحري والتدقيق ومراجعة ما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وإن كان الكاتبون هم أيضا من الحفظة ثم أرسلت هذه المصاحف إلى الآفاق التي انتشر فيها الاسلام وفيها الجماهير من الصحابة ومن اخذ القرآن عنهم حفظا وكتابة(١). فوافقوا جميعا على استعمالها والتعويل عليها واعدموا غيرها مما عندهم . وكان ذلك بعد وفاة النبي بخمس عشرة سنة (اي سنة ٢٥ هجرية)

هذا ومن علم طباع العرب وغلظتها وشدة إيمانهم وتمسكهم بدينهم . وعرف ما كان عليه الخلفاء الراشدون من الاخلاق وانهم ما كانوا ليستبدوا بالامر في شيء حتى لو ارادوه ما قدروا عليه وعرف بحال عثمان وسبب قتله - من عرف ذلك كله أيقن أنهم لو كانوا وجدوا في مصاحف عثمان عيبا لرفضوها ولأثيرت حروب

(١) حاشية : لا تنس شدة رغبة الناس وميلهم لحفظه في ذلك الزمن وفي كل زمن بعده لتعلم الفصاحة والبلاغة منه ولمعرفة أحكام الدين وللتعبد وللاحتراف به ولغير ذلك من الاسباب التي حملت المسلمين على حفظه في كل زمان ومكان كما هو مشاهد الآن

في البلاد وكثرت الحفاظ مرة اخرى وتجدد عندنا الوف من الاطفال يحفظونه كله في صدورهم فضلا عن الرجال والشيوخ

نظرنا في هذا الكتاب المتواتر عن صاحبه نظرة فأيقنا بسببه بدون نظر الى أي شيء سواه من صدقه عليه السلام في دعواه وانه مبلغ عن الله (راجع مقالتنا الدين في نظر العقل الصحيح وغيره مما ننشره في المنار) . ثم وجدنا فيه ان الله يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فعلمنا أن كل رواية يفهم منها أن القرآن ضاع منه شيء لابد أن تكون موضوعة مدسوسة وان لم يتضح هذا الامر من سندها لانها تنافي ذلك القول المتواتر عن النبي الصادق . على ان جميع هذه الروايات منقولة عن الآحاد وقد أتضح كذب كثير من رواتها وهي أيضا معارضة بأمثالها كالذي روي عن ابن عباس رضي الله عنه في صحيح البخاري أنه قال « ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدفتين » وناهيك بابن عباس ثقة في مثل هذا الموضوع . وقد أجمع المحققون من المسلمين أن القرآن لايثبت إلا بالتواتر فما زعم الآحاد أنه كان قرآنا وضاع أو نسخ لايقبل منهم (راجع مقالتنا الآتية في الناسخ والمنسوخ) فقد وجد بين الرواة من هو ضعيف الفهم أو سخيف الرأي أو كذوب يريد تشكيك المسلمين في دينهم أو يريد أن يؤيد دعوى أو مذهباً له بأمثال هذه الروايات ولكن العقلاء لايقبلونها لئلا يؤديهم ذلك الى رفض المتواتر فيكونوا ممن يرجح الدلالة الظنية على الدلالة المقطوع بها ومن كان كذلك كان من الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

بقي علي نقطة واحدة في هذا الموضوع لابد لي من الكلام عليها قبل الانتهاء منه وهي دعوى بعض الجهلة الغافلين أن في القرآن لحنا ويذكرون من ذلك قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون «الرفع» والنصارى الآية) وقوله (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين « بالنصب » الصلاة والمؤتون الزكاة) لان مقتضى الظاهر نصب الصابئين ورفع المقيمين الصلاة طبقا لقواعد النحو المعروفة . وما مثلهم في هذه الدعوى الا كمثل

المصاحف ولا تخالفه كما قلنا مخالفة يعتد بها أو صريحة اذا جردت المصاحف من النقط والشكل كما كانت

اشتهر بين التابعين ومن تبعهم أناس باتقان هذه القراآت وتعليمها لغيرهم فنسبت اليهم وسموا أئمتها وان كانت متواترة بين المسلمين في جميع البلاد وهؤلاء هم عبد الله بن كثير بمكة وعبد الله بن عامر بالشام وعاصم بالكوفة وكذلك حمزة والكسائي ونافع بالمدينة وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة وفيهم الثلاثة الاول تابعيون

بقي المصحف غير منقوط ولا مشكول الى أن كثرت الاعاجم واختلطت بالعرب ففشا فيهم اللحن حتى اضطروا الى ضبطه فكان أول من وضع عليه الضبط أبو الاسود الدؤلي في اوائل حكم بني أمية وكان ضبطه أن يضع نقطة فوق الحرف ان كان مفتوحا وتحته ان كان مكسورا وبجانبه ان كان مضموما واستمرت الحال على ذلك الى زمن الخليل بن احمد النحوي المشهور فوضع المصحف شكلا آخر كان أساسا للشكل الحالي الذي جرى عليه المتأخرون ، وكانت وفاة الخليل هذا سنة ١٧٠ للهجرة وكان أساس ضبط القرآن حفظهم له في صدورهم لا كضبط أهل الكتاب لكتبهم الذي كان بحسب أفهامهم وأفكارهم كما سبق

أخذت طرق كتابة المصاحف تتحسن شيئا فشيئا الى ان اخترعت المطابع فطبع أول مصحف في مدينة همبورغ بألمانية سنة ١٦٩٤ للميلاد اي في اوائل القرن الثاني عشر الهجري وبعد ذلك انتشرت المصاحف المطبوعة في العالم وحلت محل المنسوخة باليد وقد اخذوا الآن يرسمونها بواسطة المصورات الشمسية (الآلات الفتوغرافية) وهكذا حفظ الله كتابه حتى وصل الينا بدون تحريف ولا تبديل . وكان المصحف في جميع هذه الاطوار المختلفة التي وصفناها لك مهيمنا عليه بآلاف الالوف من الحفظة في جميع البقاع الاسلامية ولا تزال الحال كذلك الى عصرنا هذا مع ضعف المسلمين وتأخرهم . ومن عجيب عناية الله بهذا الكتاب المجيد أن قيض لنا اليوم في مصر من يحثنا من غير اهل ديننا ومن غير جنسنا على تعميم الكتاتيب في جميع الاقاليم من بعد ان ظننا ان زمن الحفظة انقضى او كاد ينقضي من بيننا فأجيب دعاء الداعي الى ذلك وانتشرت الكتاتيب

اللهجات المختلفة وأنهم لايأخذون ذلك من الكتب بل بسماع من أتقنها ممن تقدمهم ، علم فساد أمثال تلك الانتقادات الباردة وسقوطها

أما ما روي عن عثمان أنه قال حينما عرضوا عليه المصاحف (أرى فيها شيئا « أي من اللحن » سنقيمه بألسنتنا) فهو اذا صح محمول على أنه رأى في المصاحف بعض أشياء كتبت على غير مصطلح قريش في الرسم ولكنها تُقوّم باللسان في القراءة كما اختلفوا في كتابة التابوت هل يكتب بالهاء كالتوراة أو بالتاء كالطاغوت فكتبوه بالتاء على مصطلح كتابة قريش . على أن علماء الحديث أنفسهم قالوا ان سند مثل هذه الرواية عن عثمان ضعيف منقطع مضطرب وعارضوها بأمثالها و بأصح منها (راجع كتاب الاتقان للسيوطي في مبحث إعراب القرآن)

وصفوة المقال أن القرآن وصل الينا بدون تحريف حرف واحد منه أو تبديله فهو مكتوب اليوم كما كتبه الصحابة أنفسهم مقروء كما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم . ولا نعرف كتابا آخر في الدنيا بلغت العناية به من أهله مبلغها بالقرآن فانه منذ وجوده مكتوب في المصحف عند المسلمين محفوظ في صدورهم منقوش على جدران مبانيهم ومساجدهم وقبورهم وعلى غير ذلك متواتر تواترا تاما بينهم لم ينقطع بحادثة مّا من الحوادث

أما الكتب الاخرى التي نعرفها فلا يخلو كتاب منها من الوصمات الآتية كلها أو بعضها (١) انها لم تكتب في زمن الآتي بها أولم يعرف باليقين من هو (٢) لم تحفظ في الصدور لا من العامة ولا من الخاصة (٣) لم تكن نسخها كثيرة. وفي أغلب الازمنة القديمة لم تكن في أيدي العامة (٤) رواها الآحاد واختلفت روايتهم (٥) فقدت أو انقطع سندها (١) اما بسبب الارتداد العام من أصحابها

(١) بحاشية : اعلم أن النصارى ليس عندهم سند متصل لأناجيلهم منذ وجودها الى آخر القرن الثاني أو أول القرن الثالث فلا يوجد عندهم في هذه المدة اشارة الى هذه الاناجيل المعروفة وغاية ماعندهم أنه قد وجد في بعض مؤلفات منسوبة لقدمائهم كاكليمندس أسقف رومة وأغناطيوس أسقف أنطاكية وغيرهما بعض عبارات عن المسيح عليه السلام تشبه ما في الاناجيل الحالية كقول اكليمندس هذا في رسالة له (تذكروا كلمات الرب يسوع التي نطق بها ليعلمنا اللطف ومكارم الاخلاق والصبر والاحتمال لانه قال كونوا رحماء ترحموا . اغفروا يغفر لكم ، =

تلميذ في مكتب سمع من استاذه بعض نظريات يفسر بها ظواهر وجودية طبيعة فظن أنه عرف كل شيء وان أستاذه لاتخفى عليه خافية و بعد ذلك رأى في الوجود شيئا يخالف ماوضعه له المعلم من القواعد فصاح قائلا : الطبيعة أخطأت ، النظام اختل ، السكون فسد لانه خالف قواعد استاذي : وما درى أن عقله في الحقيقة هو الذي اختل وفسد فكذلك شأن هؤلاء القوم . القرآن ينبوع الفصاحة والبلاغة وحجة اللغة الناهضة وهو أساس ماوضع من القواعد النحوية بعده فلا يليق أن نلزمه بالجري عليها وأن نجعلها أصلا له ونحكم بخطأه اذا هو خالفها بل الواجب اذا لم ينطبق شيء منه على بعضها ان نعلم أنها معيبة أو أنها غير وافية بالغرض في بعض المسائل لعدم إحكام وضعها هذا اذا لم يمكنا التطبيق . وما من لغة الا وفي أشهر كتبها القديمة وأبلغها مايخالف ما وضع من القواعد فيما بعد حتى يضطر الواضعون الى استثنائه أو تطبيقه عليها بوجه مّا وكذلك فعل علماء اللغة العربية في أمثال هذه الآيات حتى أجروها على قواعدهم كما هو مبين في التفاسير ولا حاجة بنا لنقل ذلك هنا لعدم أهميته

فان قيل : نحن لانقول ان هذا الخطأ كان في أصل القرآن وانما هو من نساخ المصاحف في زمن عثمان . قلنا : ان هؤلاء النساخ كانوا من الفصحاء اللدّ فكيف يقعون في هذا الخطأ ويتفقون عليه في جميع المصاحف (١) التي كتبوها وأرسلوها الى الاقطار الاسلامية بحيث لايوجد مصحف واحد خاليا من الغلط في هذه الآيات بعينها ؟ وكيف تتفق الحفظة في جميع الازمنة على قراءة هذه الالفاظ المتنازع فيها كما كتبت في المصاحف مع العلم بأن القراء انما ينقلون قراءتهم عمن قبلهم بقطع النظر عن مرسوم الخط وعما وضع من القواعد النحوية وقد توارثوا هذه القراآت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجود مصاحف عثمان كما بينا ذلك فيما سبق ؟ ومن علم عناية المسلمين بالتجويد وضبط القراآت وإحكام نطق

(١) حاشية : يوجد بعض هذه المصاحف الى اليوم في بعض البلاد الاسلامية كما في خزانة الآثار النبوية في مسجد الحسين بمصر وفي دار الكتب الخديوية التي يوجد فيها أيضا مصحف آخر كتب في أوائل القرن الثاني الهجري أي في نحو سنة ٧٢٥ ميلادية

قبل زمن قسطنطين حينما لم يكن لهم دولة أو مدنية خاصة بهم (٦) وجد أمثالها معارضا لها وكثير منها لا يرجح عليها بزيادة في قوة اسناده (٧) وجود بعض فقرات فيها تدل على بطلان النسبة الى من نسب اليه الكتاب (٨) مملوءة بخطأ النساخ (٩) مملوءة بالتناقض والزيادة والنقصان والتبديل (١٠) وجود اختلافات بين نسخها قديما وحديثا (١١) اختلاف الطوائف في قبول بعضها أو رفضه بل اختلاف الطائفة الواحدة في قبول بعض الكتب أو ترجمتها في بعض الازمنة ورفضها في الاخرى (١٢) وجود ما يقطع العقل بعدم صحته فيها والغلطات التاريخية والعلمية وغيرها واشتمالها على ما ينافي الآداب ويفسد الأخلاق (راجع ص ٦٧ من هذا الكتاب) (١٣)وجود كثير من اللغو فيها وما لا فائدة فيه وما يناقض البراهين العقلية القطعية كبعض عقائدهم (١٤) وجودها منذ أزمنة بعيدة وخلو أهلها اذ ذاك من العلم والتحقيق والتمحيص (١٥) مناداة مخالفيهم في الاعصر الاولى بأنهم يحرفون كتبهم ويبدلونها ويغيرونها كما جاهر بذلك سلسوس الفيلسوف الشهير فهذه خمسة عشر وجها مما تنتقد به تلك الكتب وجميعها يتنزه عنها القرآن الشريف . وقد ذكرت عدة من شواهدها بالايجاز في رسالتي التي نشرت سابقا في المنار . ومن أراد الايضاح فعليه بالكتب المؤلفة في هذا الشأن اسلامية كانت أو غيرها عربية أو إفرنجية . والسلام على من اتبع الهدى

= من كتابه المذكور . واذا صح الاستدلال بما في رسالة ارشميدس على صحة هذه الاقوال المروية عن المسيح في الاناجيل فهل يستدل من ذلك على صحة جميع الاقوال الاخرى المنسوبة اليه عليه السلام فيها فاذا استدل مسلم بصحة بعض الاحاديث على صحة جميع ماروي عن محمد صلى الله عليه وسلم فهل يكون استدلاله هذا صحيحا معقولا ؟ فما بال النصارى لا يستعملون عقولهم في الدين كما يستعملونها في جميع أمورهم وعلومهم الدنيوية !!

أو بسبب الاضطهادات الشديدة وقصد الاعداء ابادتها واحراقها كما حصل للنصارى

= كما تفعلون يفعل بكم كما تدينون تدانون فكما تظهرون الشفقة تظهر لكم وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم) ونحو ذلك فادعى النصارى أنه منقول عن الاناجيل الحالية وأنه يدل على صحتها وأنها كانت موجودة ومسلمة عند النصارى في عصره أي في القرن الاول ومع ان اكليمندس لم يقل انه نقل هذه العبارات عن هذه الاناجيل ومع وجود شيء من المخالفة في اللفظ والمعنى بين أقوال اكليمندس وأقوال الاناجيل (راجع متى ٥: ٧ و٧: ١ و٢ ولوقا ٦: ٣٧) نقول :-

(١) لا شك ان أقوال المسيح وأعماله كانت منتشرة بين الناس في عصره وبعد عصره كالاحاديث النبوية عند المسلمين وقد تناقل الناس بعضها كتابة وحفظا فوجود بعضها في رسالة اكليمندس يدل على أنه رواها عن المسيح عليه السلام كما رواها غيره ممن دونوها في كتب سموها أناجيل أو رسائل فمن أين يثبت لنا أنه نقلها عن هذه الاناجيل الحالية ولم لايجوز أنه نقلها عن بعض الاناجيل الاخرى الكثيرة التي كانت منتشرة في العصر الاول بينهم كما قال لوقا (١: ١ - ٤) ولم لا يكون اكليمندس راويا لها بنفسه كما رواها الذين ألفوا اناجيل كثيرة في زمنه ؟ فاذا وجدنا كتابا فيه بعض أحاديث كالتي في البخاري وكان جامعه معاصرا للبخاري او وجد بعده فهل نستنتج من ذلك ان هذا المؤلف لابد انه نقل احاديثه عن كتاب البخاري؟

(٢) هذه الاقوال التي نقلها اكليمندس عن المسيح يوجد مثلها في الاناجيل والكتب الاخرى الابوكريفية (المكذوبة او الموضوعة) فاذا كانت تدل على صحة الاناجيل الحالية فلم لاتدل على صحة تلك الكتب الابوكريفية أيضاً ؟ ؟

(٣) ان اكليمندس نقل عن بعض الاناجيل في مسألة الصوت الذي سمع من السموات هذه العبارة هكذا : « أنت ابني الحبيب أنا اليوم ولدتك » وهي في الاناجيل الحالية هكذا (انت ابني الحبيب الذي به سررت) كما في مرقس ١: ١١ ومتى ٣: ١٧ فلم لايقولون ان الانجيل الذي نقل عنه أصح من اناجيلهم هذه وخصوصا لان عبارته تقرب مما في المزمور ٢: ٧ ومما في رسالة بولس الى العبرانيين ١: ٥ ؟ ولم لايكون اكليمندس نقل سائر عباراته عن هذا الانجيل المخالف لاناجيلهم ولذلك خالفت عباراته عبارات هذه الاناجيل

(٤) انهم كثيرا ما كانوا يدسون الكتب على قدمائهم ويحرفون مؤلفاتهم ألا ترى أنهم نسبوا الى أغناطيوس المذكور هنا ١٥ رسالة وقر رأي المحققين منهم على ان الصحيح منها ٧ فقط مع أن في هذه السبع بعض عبارات محرفة أيضا كما اعترفوا بذلك في كتبهم (انظر الجزء الثالث من كتاب الهداية ص ١٩٤ و١٩٥) وقد حرفوا تاريخ يوسيفوس وغيره ايضا كما سبق فكيف بعد ذلك يثق الانسان بأي شيء نقلوه ؟ ولم لاتكون هذه العبارات مدسوسة ليثبتوا بها سند كتبهم كما ثبت انهم دسوا ألوفا غيرها لاغراض شتى ؟ وكما نسبوا للمسيح وتلاميذه أناجيل ورسائل أبوكريفية كثيرة وكذلك نسبوا لاكليمندس هذا كتابا يسمى بقوانين الرسل فيه قائمة بأسماء كتبهم ونسبوا قائمة أخرى للمجمع النيقاوي وهما غير صحيحتين (انظر الادلة السنية ص ٢٢)

(٥) لايلزم من تشابه العبارات حصول النقل والا لصح قول الملحدين في اوروبة ان الاخلاق الفاضلة التي في الاناجيل منقولة عن كتب الحكماء وعن كتب الوثنيين امثال كونفيوشس حكيم الصين الذي مات سنة ٤٧٩ قبل المسيح ويوجد في كتابه في الاخلاق بعض عبارات تشبه عبارات المسيح في اللفظ والمعنى كما في الحلق الرابع والعشرين والحادي والخمسين والثالث والخمسين والثالث والستين =

لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الاسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الاصفهاني وغيره . على أن المتمسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم وسنفسر ان شاء الله الآيات التي توهموا انها تفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا ان القرآن لم يقل في موضع مّا أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا يحل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أو اوهم واهم وأيضا فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ في كثير من المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن الناسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلا ولما وجدوا ذلك زعموا ـ ولا دليل لهم ـ أن الآية المشار اليها نزلت أولا ولم يبالوا بأن ذلك ينافي حسن ترتيب الآيات في سورها وان كان هذا الترتيب توقيفيا بالاجماع

اننا لاندري لِمَ كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم الى ذلك . وهل يعقل ان الله يترك عباده يتخبطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٤٣ : ٥٢ جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) . فاذا كان مذهب النسخ صحيحا أفليس من الابهام وعدم البيان أن يكون القرآن خاليا من التنبيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصا قاطعا صريحا على ان الآية أو الآيات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية !!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات المنسوخة؟ ولِمَ يتركون دعواهم النسخ في آية اذا تحققوا ان لا تعارض بينها و بين غيرها ؟!

غَلاَ الناس في هذه المسألة غلوّا حتى انهم ارادوا أن يجعلوها فنا من الفنون التي تؤلف فيها الكتب ولاجل أن يحملوا أبوب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه معا (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ

﴿ المقالة الثانية ﴾

الناسخ والمنسوخ

(نشرت في الجزء ٢ من المجلد ٩ من المنار ص ١١٠)

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الاشغال وقد رأيت الآن أن أعود اليها بايضاح يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الاسلام . الذين يعدون النسخ في القرآن دليلا على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ ـ كاملا كما نعتقد ـ وليعلم هؤلاء المساكين أن ما يقذفونه به ليس الا حصى لا تزحزح طودا من مكانه . ولولا غفلة المنتمين الى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظنا منهم أنها تؤلمه .

القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الاسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير نشأ غالبا في العصر الأول. والذين قالوا به من المسلمين إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ٢ : ١٠٥ « ما ننسخ من آية أوننسها » الآية فكان اذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضا في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم كأبيّ مثلا يقول اني لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أنه لا يترك حكما منّا بدعوى انه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال : أقرؤنا أبيّ وأقضانا علي وانا لندع من قول أبيّ وذلك أن ابيا يقول

دون سواه فكتبه له كتبة الوحي وكتبه غيرهم لانفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في السطور عند الكثير منهم و بعد ان سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو ايضا منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته كما بينا وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وُلي عثمان الخلافة أمر بالاقتصار على لغة قريش خوفا من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك و بعد السماع من الحفاظ وكان ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم الحافظون للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعا على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طباع العرب وشدتها تحقق انه لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولأثيرت حروب وأهرقت دماء ولقتل عثمان لهذا السبب ولوجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل شيء من ذلك مطلقا . فدل ذلك على ان هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئا فشيئا حتى وصلت الى الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقا قديمها وحديثها شرقيها وغربيها الا ما كان خطأ مطبعيا أو سهونا سخيفا في بعضها . ويهيمن على هذه المصاحف آلاف الالوف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الازمنة (١) هذا هو تاريخ القرآن كما تواترت

(١) حاشية : كان حفظة القرآن في عصر النبي (ص) يسمون كما يسمون الآن بالقراء وكان عددهم كثيرا جدا حتى قتل منهم في واقعة اليمامة في السنة الاولى من خلافة الصديق سبعون رجلا وقتل منهم في عهد رسول الله ببئر معونة مثل هذا العدد أيضا وذلك يدل كما قلنا على كثرتهم في ذلك الزمن كما هي الآن

أما حديث (خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب) فلا ينافي كثرة القراء وانما خص النبي هؤلاء بالذكر للاسباب الآتية : — =

حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر اليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع لكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يوافقه عليها القرآن فيختلق ما شاء أن يختلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقاة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض فرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعاويه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطعن في المتواتر نفسه . فالخطة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ما تواتر ويرفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء مّا الا اذا ادركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد ان قالوا : لا نسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جلها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لا حب ان يكون له الثاني) الى آخره . ولو عقل هؤلاء القوم لوجدوا ان لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت والقرآن على ذي ذوق وهو اجنبي عن المسلمين لحكم ان قائلهما لا يمكن ان يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون » على أنها لا تخلو من تكلف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع

لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات المروية بالآحاد لا يثبت بها قرآن ولا ينفى بها ولذلك لا يعتد أحد بالروايات الدالة على ان الفاتحة والمعوذتين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكر أنها قرآن فلا يعتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم مع أنه لم يشك أحد قط في أن النبي هو المتقن لها للامة سواء كانت قرآنا أو غير قرآن

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابته

هو الـكتاب الذي نؤمن به ونعتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعا . ومن شاء أن يعارض في ذلك فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الاهواء ، وتعددت في شأنها الاراء ،

او كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما بني على حكايات رويت بالروايات اللسانية ولا برهان لاهله غيرها وهي لم تكتب الا بعد زمن وقوعها بعدة

= من الانصار أكمل حفظه بعد وفاة النبي كما سيأتي

(٤) اذا سلم انه لم يجمع القران كله غيرهم فلا ينافي ذلك ان كل سورة من سور القران كان يحفظها الجم الغفير من اصحاب رسول الله وكانت مكتوبة عند الكثيرين منهم كما اتفقت الروايات على ذلك وما دام كل سورة متواترة فالقران كله متواتر قطعا

هذا ومن الاحاديث السابقة يعلم ان هؤلاء الصحابة كانوا يحفظونه كله وهم : عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وابى بن كعب وزيد بن ثابت وابو زيد وابو الدرداء واكثرهم عاش حتى جمع القران في المصاحف في زمن ابي بكر وبعضهم بقي الى زمن جمعه في خلافة عثمان . وقد ترادفت الاخبار والاحاديث على ان غيرهم ايضا كانوا يحفظونه كله كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن عمر وعبادة بن الصامت وابوايوب الانصاري وتميم الداري وسعيد بن عبيد ومجمع بن جارية وطلحة وسعد وحذيفة وسالم وابي هريرة وعبد الله بن السائب وابن عباس والصحابة العبادلة وعائشة وحفصة وام سلمة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وعقبة بن عامر وأبي موسى الاشعري وغيرهم ممن لم نذكرهم أو لم تصل الينا أخبارهم وقد ورد في حفظ هؤلاء للقران كله احاديث متعددة المصادر وفي مناسبات مختلفة وبعض هؤلاء من الانصار الذين اكملوا حفظ القران بعد النبي عليه السلام بقليل هذا فضلا عن الصحابة الاخرين الذين لم يحفظوه كله بل حفظوا اجزاء منه او كتبوها

وقد انتشر اصحاب رسول الله في الارض مع سعة الفتوحات الاسلامية العظيمة وسرعتها ومنهم من عاش مدة بعد النبي حتى ادرك حكم بعض خلفاء بني امية كابن عباس مثلا فأخذ عنهم القران في كل بقعة عدد عظيم من التابعين وأخذ عنهم من بعدهم وهكذا الى اليوم حتى امتلأت الارض بالحفظة وبالمصاحف ولم يوجد بين المسلمين في سائر البقاع ادنى اختلاف فيها اللهم الا ما كان قراءة متواترة عن رسول الله في حرف او حرفين وامثال هذه القراآت في المصاحف نادرة جداً

فأي كتاب في الدنيا اعتنى به اهله كاعتناء المسلمين بالقران مع حداثة عهده بالنسبة لغيره وعظيم رغبتهم في حفظه كله عن ظهر قلوبهم ودراستهم له وكتابة عدة مصاحف منه في كل زمان ومكان منذ وجوده الى الان وانتشاره بين عامتهم وخاصتهم اغنيائهم وفقرائهم عميانهم ومبصريهم رؤسائهم ومرؤوسيهم حتى تواتر كل حرف منه وبذلك تحقق وعد الله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقوله (ان علينا جمعه وقرآنه)

فمن شك في القرآن فأي شيء اذاً من التاريخ يمكنه ان يثق ؟

به الاخبار وما خالف ذلك من اخبار الآحاد يجب رفضه ولا يعبأ به . وهذا

= (١) يجوز ان المخاطبين به كانوا قوما مخصوصين وكان هؤلاء الاربعة اقرب الناس اليهم وأشدهم اختلاطابهم وأحبهم اليهم

(٢) لعل هؤلاء الاربعة كانوا أفرغ الناس وقتا وأميلهم وأشدهم رغبة في تعليم القرآن للناس وأحفظهم له

(٣) لعل في وقت الخطاب لم يكن يوجد غيرهم في تلك الجهة ثم وجد غيرهم بعد ذلك

(٤) لعلهم امتازوا على غيرهم بالجمع بين حفظ القرآن كله وكتابته فلذا كانوا أشد الناس عناية بتعليمه وأعرفهم بطريقة تحفيظه للناس مضبوطا مكتوبا وأصبرهم على ذلك فلذا اختارهم الرسول دون غيرهم ممن لهم أشغال تمنعهم عن ذلك

أما عبد الله بن مسعود فمات في خلافة عثمان أي انه كان موجوداً وقت جمع القرآن في زمن أبي بكر ووقت جمعه في زمن عثمان أيضا وتوفي بعد ذلك بسنتين أي سنة ٣٢ هجرية

ومثله في ذلك أبي بن كعب ولكنه يقال انه مات سنة ٣٥ قبل قتل عثمان باسبوع فهو على كل حال ممن شهد الجمع الاخير للقرآن

وأما سالم مولى أبي حذيفة فقتل في واقعة اليمامة مع من قتل من القراء

وأما معاذ بن جبل فمات في خلافة عمر وعليه فكان موجودا وقت جمع القرآن في زمن أبي بكر

وروي عن أنس بن مالك أنه قال (جمع القرآن على عهد رسول الله أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد) وقال أيضاً (مات النبي ولم يجمع القران غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد) فمع قطع النظر عما بين هذه الاحاديث من الاختلاف في أسماء الصحابة نقول ان حديث أنس لا يدل على الحصر في الاربعة لما يأتي : —

(١) لان عدم علم أنس بغيرهم لا يدل على عدم وجود آخرين يحفظونه ممن لم يعرفهم أنس لانه لا يمكنه أن يعرف سائر أصحاب الرسول وحال كل منهم مع كثرتهم وتفرقهم في البلاد غاية الامر أن هؤلاء الذين ذكرهم هم المشهورون الذين يعرفهم هو في المدينة لانهم تصدوا لتعليم القرآن للناس فاشتهروا بذلك وخفي حال غيرهم لعدم تصديهم لذلك فلم يعرفهم أنس

(٢) لعله يريد أنه لم يجمع القرآن جمعا كاملا أي حفظا وكتابة في زمن رسول الله غير الذين ذكرهم فلا ينافي ذلك أن غيرهم جمعه حفظا في صدره وآخرين كتابة في صحفهم وبعد النبي وجد كثيرون جمعوه كما جمعه الذين ذكرهم أنس أي حفظا وكتابة . بل الظاهر أنه يريد بالجمع هنا جمعه كله بالكتابة في الصحف المتنوعة لا حفظه في الصدور والا فان الحفظة كانوا كثيرين جدا كما سبق ولذا كان يقتل منهم في الواقعة الواحدة سبعون فهذا الحديث مما يدل على أن القرآن كان مجموعا بالكتابة عند بعض الناس في زمن النبي عليه السلام كما قلنا

(٣) قد حقق الحافظ بن حجر أن أنسا قال ذلك في معرض المفاخرة بين الاوس والخزرج كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال انه لم يجمع القران من هاتين القبيلتين أي من الانصار سوى هؤلاء الاربعة وكلهم من الخزرج أي من قبيلته فلا ينافي ذلك وجود غيرهم بين القبائل الاخرى وبين المهاجرين ولا ينافي ان غيرهم =

تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الغليل ؟

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩ : ٥ (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا انها نسخت جميع الآيات الآمرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلا لوجدوا أن أكثر هذه الآيات مشعر بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الآيات التي تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان مؤقتا . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلا قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل – وقوله – فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) كل منهما موقت أي ان الامر بالصفح والاعراض لم يكن دائما ولا الى غير أجل فلما تحقق المسلمون بعد طول الاختبار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيده الا طغيانا واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم وينتهب اموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة – لما تحققوا ذلك وقووا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة العدل والرحمة في كل ذلك (١) . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في

---

(١) حاشية : الاسلام وان أمر بمحاربة المعتدين الا أنه حرم التمثيل بهم او احراقهم بالنيران أو قتل النساء والاطفال والشيوخ وقد سار المسلمون على ذلك منذ وجودهم الى اليوم وملأوا العالم بالعدل والرحمة والتقوى والصلاح ولكن المسيحيين المأمورين بمحبة الاعداء مثلوا بالناس واحرقوهم احياء وقتلوا ضعفاءهم شر قتلة وكان الظلم والقسوة منتشرين بينهم زمنا طويلا بينما كان المسلمون تقشعر جلودهم من سماع فظائعهم معهم ومع غيرهم . ولا تنس فظائع ديوان التفتيش وغيره اما ما يصدر من بعضهم الآن من أعمال البر فسببه رقيهم ومدنيتهم لا مسيحيتهم ولذلك كثيرا ما تصدر هذه الاعمال الصالحة من ملحديهم او الشاكين في دينهم وقد كانت المسيحية فيهم قرونا طويلة فلم ير منهم غير الشر والانتقام والظلم ولم تؤثر فيهم اثرا صالحا وهم الى الان اكثر الناس جرما وعدوانا وظلما وترى الفسق والخمر والقمار والانتحار وحب المال الخ منتشرة فيهم لدرجة يندهش منها المسلمون وان كان بعضهم اخذ يقلدهم اخيرا في هذه الدنايا وغيرها من رذائلهم فياليت مبشريهم يصلحون أممهم قبل اصلاح غيرهم

تكفي لضياعها أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها (١) ولما كتبت لم يكن عند أهلها فن تحقيق الأسانيد وتحريها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لوكان الاسلام كهذه الأديان لحق لأهله الخوف من الطعن في هذه الروايات . ولكنه الاسلام — ولله الحمد — دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور حفظا لم يعهد له مثيل . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث المروية بالآحاد مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الاحاديث الدالة على صحة الاسلام كاحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للطعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئا . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفره مع أنه لم ينكر أصلا من أصول الدين . فليتق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواية أحاديث جميع الاديان والملل ؟ كم من حق ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لانه ليس معصوما . فما هذا الجمود يا أمة محمد (ص) ودينكم ارقى من ذلك . ولولا انتم لما وجد سفيه قشا يضرينا به

ولنرجع الى تتميم موضوعنا فنقول أما ماتمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهولا يفيدهم شيئا ولذلك أذكر هنا أشهر الآيات التي

(١) حاشية : يظن النصارى كما في قاموس بوست أن أناجيل متى ومرقس ولوقا كتبت بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ ميلادية وانجيل يوحنا بين سنة ٧٠ و٩٥ وأما رسائل بولس فكتبت كما يظنون بين سنة ٥٢ — ٦٧ وذلك يدل على ما كان لبولس من التأثير بفلسفته وأقواله في كتبة الاناجيل وخصوصاً الاخير منها مع اعتراف النصارى بسذاجتهم وجهلهم بالنسبة لبولس ومعارفه وعلومه

والمدد المذكورة هنا على تسليم صحتها تكفي لحصول التحريف والتبديل في أقوال المسيح وحصول الخطأ والزيادة في روايتها وخصوصاً لان النصارى لم يشتهروا بقوة الحافظة كما اشتهر بذلك العرب والمسلمون من عصر الرسول الى اليوم فقد وجد ويوجد فيهم من يحفظ كثيرا من أشعار العرب وألوفا من أحاديث الرسول مع سندها والقرآن كله عن ظهر قلوبهم بدون تحريف حرف واحد منه كما هو مشاهد للآن على أن منزلة الاحاديث عند المسلمين ليست كمنزلة أحاديث المسيح (الاناجيل) عند النصارى كما لا يخفى

المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرؤيا وحيا إليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه اذا ليس كل وحي قرآنا وانما القرآن ما يمكن تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالاوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية . و بنا على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقا . ومما تقدم تعلم أن ما رواه البخاري وغيره من نزول قرآن في في أصحاب بئر معونة صوابه (نزول وحي فيهم) فاشتبه الامر على الراوي فظن أنه كان قرآنا ونسخ لتوهمه أن كل وحي قرآن وهو خطأ كما بينا . ومثل هذا الخطأ لا يخلو منه كتاب من كتب الحديث ففيها غيره كثير مما صح سنده ولم يصح متنه و بالعكس

والفرق بين القرآن وغيره (١) ان القرآن هو الوحي الذي تجب كتابته دون سائر تعاليم الرسول وأقواله (٢) وهو وحي الله العام للبشر في كل زمان ومكان (٣) وكله متواتر بين المسلمين كتابة وحفظا (٤) وكل سورة منه معجزة باللفظ والمعنى (٥) وتصح الصلاة به ولو لم يكن المقروء بعد الفاتحة من قبل الدعاء وتجب قراءته في الصلاة . أما غير القرآن فلا تجب فيه هذه الشروط الخمسة

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وأن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين * » قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للاولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لان القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضا يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء جدا حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم اثنين فقط . فواعجبا ماهذا القلب ؟ و يلزم أيضا أن الله ـ على قولهم ـ لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك

القرآن كثيرا ولكن ليس في كل وقت ولا لى غير حد ويفضلان على الاخذ بالمثل الا اذا جرّا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تعارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف الحالين وقد ادرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء وجب علينا أن تكون خطته خطتنا فنجرب اولا اللين فان لم ينجح فالشدة متى قدرنا عليها . الا اذا خفنا ان يضيع اللين مركزنا ويمكن العدو منا فقد وصانا الله تعالى بالحذر من العدو كثيرا فقال (يا أيها الذين امنوا خذوا حذركم ـ وقال ـ وليأخذوا احذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم . وقد كان صلى الله عليه وسلم في مكة في زمن ضعفه أشد تهديدا وأكثر وعيدا للكفار عما كان بالمدينة في زمن قوته وكذلك اختلفت السور المكية والمدنية فلولا صدقه وثقته بوعد الله تعالى له لكان ألين في مكة منه في المدينة أما المسيح فلم يجسر على دعوة العالم كله للنصرانية إلا بعد موته ولم يتعرض لذلك بنفسه بل عرض تلاميذه وحدهم لها بعد رفعه (راجع متى ١٥ : ٢٤ و ٢٨ : ١٩) فمحمد (ص) لم يكن كغيره بل كان شجاعا في ضعفه شجاعا في قوته شديد الايمان بالله واثقا بوعده في الحالتين صلى الله عليه وسلم

(الثانية) مسألة القبلة ـ لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وانما هي نسخ لحكم لا ندري هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بامر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ٥٣ : ١٠ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليلة المعراج ولا ندري جميع ما أوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلغنا إياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى اليه شيء في منامه كرؤياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٤٨ : ٢٧ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن

كما يزعم بعضهم بل غاية الامر انه تارك لعمل مندوب اليه فيستحق اللوم والعتاب ولو كان مثل هذا التعبير دالا دائما على ماذ كروه لكان قوله تعالى (فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) دالا على أن هذا المصلح آثم يستحق العقاب لولا أن الله غفور رحيم

ثم قال تعالى (ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فان الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة وهو كالتأكيد للآية التي قبلها (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوا ذلك والحال ان الله تاب عليكم بعدم تكليفكم الآن بالامور الشاقة كما كان يكلف السابقين بل رجع اليكم بالتخفيف في التشريع فلم يجعل مثل هذا الامر فرضا عليكم ولم يعنتكم بشيء بل جعله أمرا مندوبا اليه مخيرا فيه فان تركتموه فلا تتهاونوا في الواجبات كاقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فان الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فان قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤:٣١ (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) هذا وقد ورد في سورة المزمل قوله ٧٣:٢٠ (فتاب عليكم) في مثل هذا المعنى أي رجع اليكم بالتخفيف كما سيأتي . وكلمة (إذ) هنا مستعملة في معنى الاستقبال كإذا وإن . وقد وردت بالمعنى الاستقبالي أيضا في غير هذا المقام كقوله تعالى (فسوف يعلمون. اذ الاغلال في أعناقهم)

وفي هذه الآيات دلالة على مبلغ تأخر الامة العربية في الآداب والكمالات والنظام حينما بعث رسول الله وفيها بيان لبعض طرق رسول الله العملية في تهذيبها وتأديبها حتى أخرجها من البهيمية الى أرقى سلم من المدنية الصحيحة في زمن قصير حتى سادت العالم كله بالآداب القرآنية والارشادات الإلهية التي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من أخلاقهم وأحوالهم وعاداتهم الفاسدة الا أصلحتها ومنها نتعلم كيفية تأديب الناس بالحسنى والسياسة

ولما تحقق أبطل هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ركيك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الاولى وعد من الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الامر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكأن واحدا منهم شق عليه ذلك فسأل : هل نمتثل هذا الامر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم) أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم امتثاله ثم قال (وعلم ان فيكم ضعفا) وهذا كالتعليل لعدم ايجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط مؤقتا الى أن يقووا . فكأنه قال: يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وان كان مثلكم مرتين ويعدكم بالنصر في الاستقبال ولو كان عدده عشرة أمثالكم وإنما قدم الوعد الاخير على الاول لانه أبلغ في الحض على القتال وحكمه أدوم وأعظم في البشارة بالنصر فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ (الآن) للدلالة على القصر فكأنه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الامر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة في القتال لانه يعدكم بالنصر حينئذ على عدوكم ولو كان كثيرا وقد تحقق هذا الوعد ومن راجع أخبار الحرب الطرابلسية الحالية علم من ذلك ما يعد من الغرائب أو المعجزات

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم * ١٣ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون *) والمعنى أن الله ندبهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤونهم ليتعودوا النظام والادب وتقل أسئلتهم الكثيرة الفارغة المهوشة عليه المعطلة له من غير طائل ثم قال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنه لا يؤاخذكم على ترك مثل هذا الامر اذا لم تجدوا ما تتصدقون به فالفقير غير مندوب اليه أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويوبخه وليس في قوله (فان الله غفور رحيم) دلالة على الوجوب ولا على أن تارك التصدق آثم يستحق عقاب الله تعالى

الاحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١٦ : ١١٤ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم اياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .) الى أن قال (١٢٣ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد : أننا اذا بدلنا آية في موضوع مّا بآية أخرى عند تكرر هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاجته للعرب وغيرهم توهموا أن فيها تناقضا وتضارباً وقالوا إنما انت مفتر كذاب والا لما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشيء عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم والقصص التي ان كررت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) وقوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بارشاداته وتعاليمه المتضمنة في عباراته المختلفة (وبشرى) لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الامم السابقة وأنه تعالى معهم فعلى هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة في هذه الآية ، ومن تأمل فيها وجد أنها لا تنطبق على رأيهم : فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نصّ على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشرى لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا ؟ وإذا صح مذهبهم في تبديل الآيات ونسخها فما معنى قوله تعالى (واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك

(الخامسة) قوله (٢: ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك بالحكمة نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وحكمته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه . وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة عنادا ومكابرة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (ان الله على كل شيء قدير) الى قوله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية وقد وفى الاستاذ الامام هذه الآية حقها في تفسيره المنشور بالمنار ج ١٤ م ٦ ص ٥٣١ ــ ٥٣٨

(السادسة) قوله تعالى (١٦: ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أننا اذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا إنما أنت كذاب لان الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع العظيمة (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة والرد على المكذبين وإفحامهم (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأنهم مقيمو شرائع الله وحملة دينه للخلق جميعا وأن الله جاعله فوق جميع الاديان وناصر المؤمنين . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٥ : ٤٤ انا أنزلنا التوراة ــ الى قوله ــ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدلك على صحة تفسيرنا ورود بعض

من الله ورضوانا) وهذا الوصف لا يناسب الكفار والمشركين ثم قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام) أي ولا يحملنكم بغض قوم لكونهم صدوكم عن المسجد الحرام فيما مضى على (ان تعتدوا) الآن على أحد من المؤمنين الذين يقصدون البيت الحرام عملا بمبدأ كم القديم في الاخذ بالثار فان الاسلام يجب ما قبله وهذا العمل هو محرم تحريما باتا مهما انتحلتم له من الاعذار ويجب عليكم أن تتناسوا كل ما كان منهم بعد أن صاروا اخوانكم في الدين (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) فأنت ترى من هذا أن عبارة سورة المائدة هذه هي في المؤمنين وأما عبارة سورة التوبة فهي في المشركين وعليه فلا تناقض بينهما ولا نسخ

فان قيل ولماذا صد المسلمون المشركين عن المسجد الحرام بعد أن كانوا يذمون هذا العمل ؟ قلت انهم لم يذموا مطلق هذا العمل حتى يرد هذا السؤال وإنما كان ذمهم له لان المؤمنين هم أحق ببيت الله من المشركين وهم الذين طهروه من الرجس وعبادة الأوثان وعمل القبائح عنده كطوافهم به عراة وغير ذلك من أعمالهم الشنيعة التي يخشى منها ان تفسد اخلاق بعض ضعاف المسلمين وخصوصا لانهم كانوا حديثي العهد بالاسلام فصدهم عنه لم يكن أخذا بالثار وإنما لتطهير بيت الله من الشرك والوثنية وإبعاد كل مايدنسه عنه حتى لا يسري شيء من قبائح الوثنيين الى أخلاق المؤمنين الذين هم أولياء بيت الله الحقيقيين فاستباح المسلمون صد المشركين عن البيت بناء على هذا المبدأ وهو :—

أن هذا البيت هو بيت الله تعالى باعتراف جميعهم فلا ينبغي أن يعبد فيه أحد سواه ولا يدخله احد من غير المؤمنين الذين هم أحق الناس بصيانته وحفظه وعمارته فالمشركون منعوا المسلمين عنه لغير ما سبب سوى الحقد عليهم لاسلامهم فلذا ذموا . والمسلمون منعوهم لانهم أهله ومطهروه وورثته بحق الفتح وحق الايمان فلا يدخلون فيه إلا من كان مرضيا عند الله بالتوحيد والايمان والاعمال الصالحة غير مدنس له بالقبائح والشرك والوثنية والمشركون ليسوا كذلك فلذلك كان عمل المسلمين غير مذموم بخلاف عمل الكافرين . فالمسلمون انما كانوا يذمون الصد عن

لا مبدل لكلماته) وأنت ترى أن لفظ « مبدل » ورد فيها نكرة في سياق نفي فيعم ولم يستثن الله تعالى منه نفسه ؟ و (لا) هنا لنفي الجنس

(الآية السابعة) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) قال بعض المفسرين إن قوله تعالى في هذه الآية (ولا آمين البيت الحرام) إلخ منسوخ بقوله (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وقال آخرون إن سورة المائدة ليس فيها منسوخ مطلقا وهو الحق كما ستعلم

واعلم أن جميع الروايات اتفقت على أن هذه السورة من أواخر القرآن نزولا إن لم تكن هي آخره بدليل قوله تعالى فيها (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (١) وقد نزلت في عرفة عام حجة الوداع أي سنة عشر وعليه فنزولها متأخر عن سورة التوبة التي فيها قوله تعالى (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أي سنة تسع ففي وقت نزولها كان المسلمون قد منعوا حسب هذا القول المشركين من الاقتراب من المسجد الحرام وأعلنوهم بذلك منذ سنة فلم يكن احد منهم يَأُمُّ المسجد الحرام وقت نزول سورة المائدة وإنما كان الآمون هم من المسلمين فقط فأراد الله تعالى ان يأمن كل من قصد بيته الحرام من المؤمنين ويمنع اي احد من إيذائه والتعرض له انتقاما منه أو أخذا بثار قديم كما هي عادة العرب فقال تعالى (لا تحلوا شعائر الله - الى قوله - ولا آمين البيت الحرام) أي من المسلمين ويؤيد ذلك أيضا وصفهم بقوله (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا كما وصفهم بذلك في قوله (تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا

(١) حاشية : من العجب ان النبي لم يمت قبل ان يتم القران ولم يتم القران الا في اخر حياته اي قبل موته بمدة قليلة فلو لم يكن نبيا صادقا فكيف كان له مثل هذا التدبير وهو مما ليس في طوع البشر ؟ ! وقد لخص في خطبته في حجة الوداع أحكام الدين وأشار فيها الى قرب وفاته وبهذا الطبع كمل للمسلمين تعليم دينهم علما وعملا قبل موته

وتوهم آخرون ان الاولى ناسخة للثانية ومنشأ ذلك كله ضعف العقل والفهم وإلا فإن معنى الآيتين ظاهر بدون القول بالنسخ كما لا يخفى على بصير

كان الله سبحانه وتعالى اباح لنبيه التزوج بأكثر من أربع لأسباب تقتضيها المصلحة الشخصية والاجتماعية والسياسية كما بينا ذلك في (كتاب الاسلام في الرد على اللورد كرومر) لكي لا يكون عليه حرج أو ضيق فيما يريد عمله للمصلحة العامة والخاصة فتعددت نساؤه صلى الله عليه وسلم للاسباب التي بيناها سابقا وإن كانت أقل بكثير من نساء بعض الانبياء السابقين كداود وسليمان إلا أن بعض المشككين أراد أن يتخذ من ذلك حجة على أن النبي عليه السلام نقض شريعته بنفسه ولم يقتصر على أربع كما أمر أتباعه وفات هذا المشكك أن من الوحي ما يكون خاصا برسول الله ولم ينزل فيه قرآن فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يخالف شريعته العامة الا لوحي خاص به في غير القرآن ولكن لما كان ذلك قد لا يكفي بعض الشاكين أو المشككين أنزل الله تعالى فيه قرآنا ليعلمه الناس كافة بعد ان علمه رسول الله من غير القرآن حتى لا يقال إن النبي خالف شريعته بنفسه بدون اعتماد على القرآن فقال تعالى (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك) اللاتي تزوجتهن من قبل فلم يكن زواجك بهن بدون أمر منا بل نحن الذين أبحنا لك ذلك فلا لوم عليك فيما فعلت فهذه الآية إخبار عن الشيء الذي كان أحله الله تعالى له وليست تشريعا جديدا كما توهم بعض المفسرين ولذلك عبر فيها بالماضي وبقوله « أزواجك » ولو كانت تشريعا جديدا له لقال « إنا نحل لك النساء اللاتي تؤتي أجورهن » إلخ والتقدير أن الله تعالى يقول له « إنا نحن كنا أحللنا لك أزواجك وباقي الاصناف المذكورة في الآية » فكان لك ان تتزوج من اي صنف شئت مما ذكر وأي عدد أردت ولكن الآن (لا يحل لك النساء من بعد) فلا يجوز لك الزواج من جديد بعد اللاتي تزوجتهن (ولا) يجوز (أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) فهذه الآية تحرم عليه ما كان أبيح له من قبل في غير القرآن فهي ناسخة لوحي لم يكن قرآنا وإنما جاء القرآن للحكاية عنه فقوله تعالى (إنا احللنا لك أزواجك) هو إخبار عما كان أحل له سابقا والخبر لا ينسخ إذ لا معنى للنسخ فيه

المسجد الحرام لا مطلقا وإنما لانه كان يصدر من غير أهله ضد أهله ولذلك قال تعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وقال تعالى أيضا (إن الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس « معبدا » سواءً العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فالمراد بالناس هنا المؤمنون أو الذين يصيرون مؤمنين فهم الذين صدهم المشركون وهم الذين يعكفون فيه لعبادة الله تعالى وحده ولا يريدون فيه بالحاد بظلم أي بشرك وقد سمى الله تعالى الشرك ظلما في غير هذه الآية فقال (إن الشرك لظلم عظيم) ثم بين تعالى أن البيت منذ تأسيسه لم يوضع الا المؤمنين الموحدين فقال (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) وقال(ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) وقال أيضا (قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج اهله منه أكبر عند الله)

والخلاصة ان المسلمين لم يأتوا عملا كانوا يذمونه ويعتقدون قبحه وانما كانوا يذمون ويستقبحون الصد عن المسجد الحرام مع الكفر بالله ومنع أهله عنه وهم المؤمنون وما كان يخطر على بالهم أن مجرد الصد قبيح فمبدأهم لم يغيروه من أول أمرهم إلى بعد الفتح والنصر التام لا كما يرميهم اعداؤهم بل كان واحدا في الأول والآخر كما بينا وعملهم هذا لم يكن قبيحا بل كان كعمل بعض صلحاء بني اسرائيل الذين كانوا يطهرون بيت أورشليم من أعمال الوثنيين وأصنامهم كما تقدم في قصة يهوذا المكابي

(الآية الثامنة) قوله تعالى (يا أيها النبي إنا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ـ إلى قوله ـ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك، وكان الله على كل شيء رقيبا) ظن بعض الناس ان الآية الثانية ناسخة للاولى،

والميل والجماع مستحيل على طباع البشر ومغاير للفطرة بل وضار بها أيضا . والدليل على عموم هذه الآية قوله تعالى في آخرها (والله يعلم ما في قلوبكم) بالجمع فهي كآية (وان تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل) إلخ

وإنما ذكر تعالى هذه العبارة هنا لئلا يتوهم من ذكر امتيازاته عليه السلام التي كانت منحت له في الزواج أنه يجب عليه في مقابلة ذلك أن يمتاز بعدم الطلاق وبالعدل التام دون سائر الناس فبين الله بهذه الآية أن ذلك غير واجب وأنه كباقي الناس لانه بشر مثلهم ولذلك كان عليه السلام يقسم فيعدل بين زوجاته ثم يقول (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك) يعني فرط محبة قلبه لعائشة رضي الله عنها

(المسألة التاسعة) ذكر بعضهم دليلا على النسخ سورة المزمل وما جاء فيها من الامر بالصلاة في الليل في أولها والنهي عنه في آخرها ولما كنت ممن لا يقول بالنسخ في القرآن وجب عليّ التكلم على هذه السورة بما لا يخل باصولي الآتية في تفسير القرآن الشريف وهي (١) عدم القول بالنسخ في القرآن (٢) عدم توقف فهم القرآن على روايات الآحاد (٣) كون آيات كل سورة تلتئم بعضها مع بعض كأنها نزلت دفعة واحدة . فمع مراعاة هذه الاصول الثلاثة نقول : ــ

ان النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كانوا في أول الاسلام يصلون في الليل إلى ثلثه أو نصفه أو ثلثيه ولعلهم كانوا يفعلون ذلك اتباعا لامر من الله لهم به في غير القرآن كما كانوا يصلون إلى بيت المقدس في أول الاسلام مع أن الامر بذلك لم يرد في القرآن وأمثال هذه الاوامر هي مما نسميه الاوامر الوقتية أو القولية (غير الكتابية أو غير الرسمية) كما تقدم . وكانت هذه الصلاة الليلية من أكبر ما يقوي الرابطة بين جماعة المؤمنين الاولى حينما كانوا قليلي العدد فقراء ضعفاء فكانت هذه الصلاة أعظم وسيلة لتثبتهم واتحادهم وتضامنهم وليزدادوا صبرا وتحملا للاذى وقوة في إيمانهم على قوتهم فيه كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) . فلما جهر بالدعوة إلى الاسلام وبدأ الدين أن يكون أعم مما كان وأخذ

فهذه المسألة تشبه مسألة القبلة : أخبر القرآن بأن المسلمين كان لهم قبلة غير الكعبة وأنه نسخ هذه القبلة بالكعبة فكذلك هنا : أخبر بما كان أحل للنبي من الزوجات وأن ذلك حرم عليه بعد هذه الآيات فليس فيها نسخ للقرآن وإنما هو نسخ لوحي ليس بقرآن فالقرآن لا منسوخ فيه مطلقا

هذا وقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) أدل دليل على أن النبي عليه السلام ما كان يبغي بدعواه النبوة الحصول على شهوات النساء إذ لا يعقل أن من قضى جل عمره مع عجوز ثيب (وهي خديجة) حتى فات الخمسين ثم لم يتزوج بعدها بكرا سوى عائشة في سن تكاد أن لا تشتهى فيه وكان أكثر نسائه غيرها كبيرات مسنات ثم بعد ذلك يحرم على نفسه الزواج بغيرهن أو استبدالهن بمن كن جميلات يعجبه حسنهن ويشيع ذلك بين جميع الناس في قرآنه ـ لا يعقل ان من كان هذا حاله يكون طالبا للشهوات وإلا لتمتع من صباه بالعذارى الجميلات وأكثر من النساء كعادة قومه ولم يحرمهن على نفسه فيما بقي من حياته وخصوصا لأنه كان في غاية القوة والصحة وعنده من حسن الذوق والتمييز ما لا يوجد عند غيره وكان يعجبه الجمال في كل شيء ومات وعمره ٦٣ سنة فقط فلماذا اذا كان شهوانيا يتقيد بكل هذه القيود ويضيع شبابه مع عجوز واحدة لا يذكرها بعد وفاتها إلا بالحسرة والألم والحزن ثم يحرم على نفسه النساء مطلقا ؟ فهل هذا هو شأن الشهوانيين ؟ اللهم كلا فاننا نشاهدهم يقضون حياتهم مع الغانيات الحسان ومع العذارى الجميلات حتى يأتيهم الموت ولا يشبعون ولو بلغوا من العمر أرذله . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أكثر من الزواج مع تلك القيود لاسباب ذكرناها مرارا ولما زالت تلك الاسباب حرم الله تعالى عليه جميع أصناف النساء وألزمه بالاقتصار على من كن عنده من الثيبات المسنات بدون تبديل ولا تغيير . فالله أكبر ما أجل شأن الانبياء في البعد عن الشهوات ! ! أما قوله تعالى بعد ذلك (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء) الآية فهو ليس خاصا به بل يعم المسلمين أيضا لاسباب تقتضيها حالة هذا المجتمع الانساني ولأن التكليف بالعدل التام بين الزوجات في الحب

ماتيسر منه) الآيات. وفيها دلالة على أن النبي وهو في مكة ضعيف كان ينذر قومه بالقتال وما كان يخفي هذه النية عنهم ولا يهابهم

والخلاصة أن قيام الليل كان فرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه وعلى أتباعه الاولين ولم ينزل قرآن في ذلك ولعله فعله بالاجتهاد او بالوحي غير القرآن ثم رفع الله تعالى ذلك عن المؤمنين بسورة المزمل وألزم به النبي صلى الله عليه وسلم دون سواه فالنسخ ليس للقرآن وإنما هو لما كان يفعله المؤمنون بأمر رسول الله والذي يدلك على أن قيام الليل صار خاصا برسول الله قوله في موضع آخر ٧٩:١٧ (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) أي فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة (*) فمما تقدم تعلم (١) أن سورة المزمل لا نسخ فيها للقرآن (٢) ولا تناقض فيها بين آياتها (٣) وان الامر في أولها هو للدوام والاستمرار وهو معهود في اللغة كقولك لمن يأكل « كُل» وقول المؤمن المهتدي في صلاته « إهدنا الصراط المستقيم » . والذي دلنا على ذلك قوله فيها « إن ربك يعلم أنك تقوم » إلخ (٤) وأن هذه السورة تفهم بدون احتياج لروايات الآحاد ومن كان خالي الذهن لا يفهم منها سوى ما قلناه (٥) وأنه لا حاجة للقول بأن جزءها الاول نزل اولا وأن جزءها الاخير نزل بعد مدة . بل على تفسيرنا تكون آياتها ملتئمة بعضها مع بعض كأنها نزلت دفعة واحدة . فكل من يدعي أن في عبارات القرآن تناقضا أو نسخا فإنما هو جاهل غبي بليد الذهن

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ بل كلها وقد علمت مما كتبناه انه لم ينهض لهم شيء منها فبأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فياقوم! كفا كم كفا كم ماحملتم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه ، . هداكم الله سواء الصراط .

(*) حاشية : هل من يفرض على نفسه وحده امثال هذه التكاليف الشاقة يكون شهوانيا او مفتريا على الله مع انه يقضي اكثر الليل في عبادته تعالى حبا فيه وخوفا منه ؟ !!

يدخل فيه أصناف مختلفة من الناس منهم ضعفاء الاجسام ومنهم ذوو الاعمال الدنيوية التجارية وغيرها ومنهم من لم يكن عنده من الايمان مايحمله على سهر الليل كما حمل أولئك المؤمنين الاولين ـ لما صار الامر كذلك أنزل الله سورة المزمل (٧٣) وفيها يأمر الله نبيه بالاستمرار على قيام الليل ويوجبه عليه دون غيره من المؤمنين فناداه بقوله (ياأيها المزمل قم الليل الا قليلا) الآيات والخطاب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم وحده كما يدل عليه باقي السورة . والمراد بقوله (قم الليل) الامر بالدوام والاستمرار

والذي يدل على ذلك قوله (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) الآية فكأنه تعالى يقول أنا أعلم ماتفعل ومطلع عليه وانما أمري لك به هو طلبا للاستمرار عليه (و) كذلك أعلم أنه يقومه (طائفة من الذين معك) يعملون ما تعمل ولا يعصون لك أمرا في ذلك .

ثم قال تعالى (علم أن لن تحصوه) أيها المؤمنين (فتاب عليكم) أي رجع إليكم بالتخفيف وجاءكم بالبيان و بالترخيص لكم في ترك ماأنتم فاعلوه وفي هذه العبارة التفات من الغيبة الى الخطاب فان المخاطبين هنا هم الطائفة الذين سبق ذكرهم . ونكتة هذا الالتفات البلاغية هي اظهار عنايته بهم ورعايته تعالى لهم واقباله عليهم إكراما لهم على ماقاموا به من التهجد بالليل فلفظ (تاب) هنا كما في آية مناجاة الرسول السابقة معناه الرجوع الى هذه الامة بالتخفيف والتسهيل في التشريع والعدول عن معاملتها كالامم السابقة وليس معناه التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب اذ لا ذنب هنا صدر منهم كما لايخفى

فلما بدأ أن يكثر عدد المسلمين ويوجد فيهم المرضى والمشتغلون بالتجارة وغيرها خفف الله عنهم و بين لهم أن قيام الليل لم يبق فرضا عليهم فلهم فيه الخيار لان تكليفهم به على سبيل الوجوب أصبح شاقا عليهم وخصوصا لانهم سيضطرون يوما ما إلى القتال دفاعا عن أنفسهم في سبيل الله فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا

قدمنا ذلك لتعلم أن النسخ لمقتضٍ أو لحكمة لاعيب فيه عند العقل ، وهو واقع بالفعل ، فانكاره جهل ، أو مكابرة للمحسوس ألا ترى ان الله يغير أوقات الليل والنهار وحرارة الجوّ وحال كل شيء في هذا الوجود فكيف لا يغير الاحكام والشرائع بما يناسب هذه الاحوال المتغيرة والزمان والمكان ؟ وأي عيب في ذلك أيها العاقلون ؟

كما وقع النسخ في الشرائع السابقة ، كذلك وقع في الشريعة الاسلامية ، لمقتضيات الاحوال في الامة العربية زمن التشريع فكان للشريعة اذ ذاك صورتان :

(١) صورة تمهيدية وقتية كمسألة القبلة وصلاة الليل و

(٢) صورة ثابتة باقية

فالصورة الاولى هي التي صارت منسوخة لايعمل بها . والصورة الثانية هي التي لم تنسخ وطولب الناس أجمعون بالعمل بهـا . أما الصورة الاولى فتجد لها أمثلة أخرى في الاحاديث النبوية . وأما الصورة الثانية فأمثلتها كثيرة في الكتاب (القرآن الشريف)

واذا فتشنا الاحاديث المنسوخة وجدنا بعضا منها نسخ بأحاديث مثلها والبعض الآخر نسخ بالقرآن . واذا فتشنا القرآن لانجد فيه مانسخ بقرآن مثله ولا مانسخ بحديث كما بينا ذلك في المقالة السابقة فالقرآن لايجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة و به قال الامام الشافعي رضي الله عنه وليس فيه منسوخ مطلقا كما قال بعض أئمة المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني . وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل

الكلام في الناسخ والمنسوخ في الشريعة الاسلامية نشأ بين المسلمين منذ نشوءها إذ لا يمكن الاستغناء عن البحث فيه بعد معرفة وقوعه فيها فكان اذا سمع أحد الصحابة حكما وعلم مايخالفه بحث في أيهما نسخ الآخر حتى يتضح له مايجب العمل به فلا غرابة اذا سمعنا فيما روي عنهم أن فلانا منهم قال ان هذا الحكم منسوخ بذاك

وقد نعثر في الروايات على قول من يقول بخلاف قوله وقد لانعثر . ولكن جميع هذه الروايات لايمكن القطع بصحتها وخصوصا ما كان منها واردا في

﴿ المقالة الثالثة ﴾

النسخ في الشرائع الالهية

(نشرت في الجزء ٩ من المجلد ١٠ من المنار ص ٦٨٣)

النسخ في اصطلاح المتأخرين من المسلمين هو ابطال حكم لبدل أو لغير بدل . وهو واقع في جميع الشرائع الالهية والوضعية خلافا لمن أنكر ذلك من الجهلاء . أما الشرائع الوضعية فوقوعه فيها مشاهد معروف . وأما الالهية فشواهد وقوعه فيها عديدة أغنتنا عن إيرادها مؤلفات كثيرة بين الامة الاسلامية أشهرها كتاب (إظهار الحق) لمؤلفه العلامة المحقق رحمة الله الهندي . فقد أتى فيه بما يفحم كل مكابر ويخرس كل عنيد.

يقع النسخ على ضربين (١) نسخ بعض شريعة رسول سابق بشريعة آخر لاحق (٢) ونسخ حكم في شريعة بحكم آخر فيها . والسبب في وقوعه إختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان . فما يلائم البشر في زمن طفوليتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم أو شيخوختهم . كما أن ما يوافق الانسان في صحته قد لا يوافقه في زمن مرضه . لذلك اقتضت حكمة الشارع العليم أن ينسخ من شرائعه ما أصبح غير مناسب. قال تعالى (١٣ :٢٨ لكل أجل « زمن » كتاب ٢٩ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

فالنسخ عندنا لا يقع إلا في الاحكام (الاوامر والنواهي) ولا يقع في القصص أو في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك كما أنه لا معنى لوقوعه في الالفاظ . فلسنا ممن يسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون . أو بنسخ لفظ و بقاء حكمه كما يزعمون اذ لو سلم ذلك لكان دليلا على جهل الشارع أو خطأه أو عبثه فسبحان ربك واسع العلم والحكمة عما يصفون

تفسير جميعه بلا حاجة الى ما يزعمون . وكيف ينسخ وهو لا يجوز التبديل فيه ؟

واذ كان القرآن (١) لم ينص على الآيات المنسوخة (٢) ولم يرد عن رسول الله نص قاطع بذلك (٣) وما روي عن أصحابه مختلفا وغير يقيني وله معنى أعم مما صار (٤) ولم يتفق المسلمون على الآيات المنسوخة بل ولا على القول بالنسخ (٥) وإذا كان لا حاجة اليه في التفسير (٦) ولا حكمة تظهر فيه ـ اذا كان كل ذلك فبأي شيء يتمسكون ؟

أما قوله تعالى (٢:١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها) وقوله (١٦:١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية) فقد فسرناهما في المقالة السابقة بما يشفي العلة ويروي الغلة . ونزيد الآن على التفسير أن الآية الثانية هي من سورة النحل وقد نزلت هذه السورة قبل ايجاب القتال على المؤمنين أي في مكة أو في أوائل مدة المدنية (*) كما تدل على ذلك الروايات الكثيرة وكذا قوله تعالى فيها (١٦:٤١ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ٤٢ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله في آخرها (١٦:١٢٦ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ١٢٧ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) واذا كان نزولها في مكة فالمراد بالهجرة في الآية السابقة هجرة الحبشة . وعلى كل حال إذا كان نزولها في مكة أو في أول مدة المدينة فأي حكم من أحكام الشريعة الاسلامية كان نزل في تلك المدة ثم نسخ حتى يرد فيها قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) ؟ فالظاهر أن القول بأنه مفتر انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة أو القليل منهم الموجود بمكة حينما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يحل ما حرمته الشريعة الموسوية من المطعومات كما في سورة الانعام المكية التي نزلت قبل سورة النحل وورد فيها قوله تعالى (٦:١٤٥ قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة ـ الى قوله ـ ١٤٦ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم

*) الظاهر انها نزلت قبل السنة الثانية من الهجرة اى قبل اتيان النبي بأحكام الشريعة

تفسير القرآن الشريف لكثرة المكذوب منها حتى قال أحد الائمة وهو الامام أحمد « ثلاثة لا أصل لها التفسير والملاحم والمغازي » ولا يخفى على أحد قدر أحمد في علم الحديث . ولذلك لا يمكننا معرفة رأي الصحابة في موضوع النسخ في القرآن على سبيل اليقين . وغاية ما يظهر لنا من الآثار المختلفة على علاتها أن بعضهم يقول بجواز وقوع النسخ فيه كعمر وابن عباس . والبعض الآخر كأبي بن كعب ينكر ذلك « أو على الاقل ينكر جواز نسخ أي عبارة من عبارات القرآن الشريف ان فرض أنه يسلم نسخ حكمها » راجع ما قلناه في المقالة السابقة ، على أن رأي أي واحد منهم لا يجوز الاخذ به بدون دليل . ومع ذلك فقد كان للنسخ عندهم معنى أعم مما صار عند المتأخرين فكانوا يطلقونه أيضا على تخصيص العام وتفصيل المجمل وتقييد المطلق وبهذا المعنى نحن أيضا لا ننكر وقوعه في القرآن الشريف

بل الذي نراه أن العقل لا يستقبح وقوع النسخ في القرآن الشريف بمعناه عند المتأخرين اذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ . أو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ذلك بيانا ينقل متواترا ويتفق عليه عملا بين المسلمين . واذا لم يكن هذا ولا ذاك فالقائل بالنسخ يعرض الدين لطعن الطاعنين ، واستهزاء الهازئين ، وعبث اللاعبين ، الذين جعلوا القرآن عضين ، فيعملون ببعضه ويتركون بعضه الآخر اتباعا لأوهامهم وأهوائهم فما جزاء من يفعل ذلك منهم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون

ومن العجيب دعواهم النسخ في كثير من الآيات . مع عجزهم عن بيان الحكمة في نسخها وليس عندهم من دليل عليه عقلي أو نقلي . والله تعالى يقول في شأن القرآن (١٨ : ٢٧ لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا) فلا يجوز أن يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ النكرة « أي لفظ مبدل » في سياق النفي تعم و (لا) هنا لنفي الجنس كما سبق

يقول المحققون منهم « إن النسخ خلاف الاصل ومتى أمكن التفسير بدونه وجب المصير الى ذلك التفسير » فأي آية في القرآن لا يمكن تفسيرها بدون هذه الدعوى الباطلة ؟ فهذا إقرار عظيم بأن القرآن لا نسخ فيه حيث إنه يمكن

أو الادبية ولكن كل ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف وخصوصا إذا زادت عليه حكما أو نقصت منه

الدين الذي يكفر منكره شيآن : القرآن وما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك باجماع المسلمين لأن إنكار المتواتر مكابرة وجحود فلا يجب التعويل إلا عليهما، ولا الرجوع إلا اليهما، قال تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) والرد الى الله يكون بالرجوع الى كتابه لانه مقطوع بأنه منه . والى الرسول بالرجوع اليه في حياته أو إلى ما أيقنا أنه منه بعد وفاته كأنه موجود . ولم يقل القرآن الى من ظننتموه الرسول أو ما حسبتموه صدر منه . فلا يمكن الايقان الا بالمتواتر أو بالدليل العقلي

لم يتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله الا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين كحديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وحديث (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) . أما سنن الاعمال فقد أراد الله أن تتواتر بين المسلمين لايضاح الكتاب ولتصوير ما اراده بالفعل ككيفية الصلاة والحج . لان الايضاح بالعمل في مثل هذه المسائل أبلغ من كل قول . ولذلك اجمل القرآن الكلام في هاتين المسألتين اكتفاء بعمل النبي صلى الله عليه وسلم لهما بين جماهير الناس الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب ، وهما مما يحسن اتيانه في الجماعة . بل لا يصح إتيان أحدهما (أي الحج) الا فيها ، فلا خوف عليهما من الضياع أو النسيان . ولا يجوز أن يتفق المسلمون على تحريفهما عن وضعهما فقد بلغا ولله الحمد من التواتر ما يمنع كل ذلك

الحق أقول لا يمكن للمسلمين أن يرتقوا ما داموا جامدين على كل خبر من أخبار الآحاد كلفين بالروايات ، وهي ممتلئة بالاكاذيب والاوهام والخرافات . وهي أعظم سبب لضلال كل أمة في عملها واعتقادها

ألا فلنحارب التوهات ، ولنقض على الضلالات ، ولنمت على ديننا : كتاب الله وما بين منه بالسنة العملية المتواترة ، فلا نحيا الا بهما في الدنيا والآخرة ،

ذلك جزيناهم ببغيهم وانا الصادقون ١٤٧ فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) فقد أشار تعالى في سورة النحل الى هذه الآيات بقوله (١٦ : ١١٨ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) بعد الآية التي نحن بصدد الكلام عليها بقليل وقد كذبوه كما أخبر وقلدهم في ذلك المشركون فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا : واذا أتينا بحكم في الشريعة الاسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا إنما أنت كذاب تختلق الاحكام وتنسبها الى الله: الى آخر الآيات . أما تفسيرهم لهذه الآية وآية ما ننسخ التي موضوعها كموضوع قوله (لكل أجل كتاب) الخ كما سنبينه فهو يخالف السياق في كل منهما . وينافي قوله تعالى (١٨ : ٢٧ أتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) الآية . على أن الله لم يأت ببدل كل آية يزعمون نسخها بآية مثلها أو بخير منها كما قال تعالى وإلا فأين البدل لآية الرجم المزعومة ؟ وما حكمة نسخ لفظها مع إبقاء حكمها كما يدعون ؟

والخلاصة أن القرآن لا نسخ فيه مطلقاً . أما السنة القولية (الاحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالاحاديث الاخرى . وعندنا أنه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير مأخوذ من القرآن صريحا أو استنباطا ـ كما سنبينه ـ لانها لم تكن الا شريعة وقتية تمهيدية أو تفسيرية لشريعة القرآن الثابتة الباقية ولذلك كانت قولية نهيت الصحابة عن كتابتها ولم يعاملها النبي عليه السلام ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن كما سيأتي وإن انكر علينا منكر ونسبنا للمروق قلنا له :

(١) اذا كان نسخ القرآن بالسنة غير جائز كما هو مذهب الشافعي (٢) واذا كان تخصيص عموم القرآن بها لا يجوز كما هو مذهب داود وأهل الظاهر والخوارج (٣) واذا كان العمل بالظن مذموما في القرآن الشريف . وكل ما ورد فيها من الأحكام ظني باجماع علماء الحديث لأنها أخبار آحاد ـ اذا كان كل ذلك مسلما به بين المسلمين بعضهم أو جميعهم فأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابدعته حتى أرمى بالمروق من بعض الجاهلين ؟ !

أنا لا أنكر ما للاحاديث من الفوائد العلمية أو التفسيرية أو التاريخية أو اللغوية

الآيات التي يحصل فيها هذا الخلاف . على أنه قد نقل فيما صح عنهم من الروايات أن بعض الصحابة كان ينكر النسخ في الآيات بمعنى أن يبطل حكمها مطلقا أو أن تلغى فلا تتلى ولا يعمل بها كأُبيّ بن كعب رضى الله عنه فانه كان يقول : إني لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد بذلك أنه لا يترك آية مـّا بدعوى أنها منسوخة كما رواه البخاري في صحيحه فالنسخ وان أنكرناه بمعناه عند الخلف فنحن لا ننكره ببعض معانيه كما عند السلف ، ولا نرى عيبا في تسميتهم التخصيص والتقييدوالتفصيل نسخا . فان كان هنالك اختلاف مـّا بين مثل أبي مسلم الاصفهاني أحد منكري النسخ و بين الصحابة فهو غالبا خلاف لفظي لا حقيقي كما لا يخفى

فمسألة النسخ هذه اختلف فيها المسلمون من عدة وجوه (١) في معانيها (٢) في الآيات المنسوخة وقد أنكر الامام الشوكاني وغيره النسخ إلا في بضع آيات وانكره غيرهم في جميعها بمعناه عند المتأخرين كما هو مذهبنا (٣) في جواز نسخ القرآن بالسنة وأنكره الامام الشافعي رضى الله عنه . فأنا بما قلته في هـذه المسألة لم أكن بدعا من المسلمين في شيء فان المسألة فيها اختلاف من عـدة وجوه من العصر الاول الى اليوم وأكثر ما فيها من الخلاف هو في الحقيقة لفظيّ وان كان بتقريرها على الوجه الذي ذهبنا اليه فيما كتبناه سابقا تندك دعائم شبهات المخالفين لنا في الدين وتسقط حججهم التي اكثروا الهذيان بها

أما الروايات التي تفيـد نسخ لفظ القرآن أو ضياع شيء منه فقد أنكرها كثير من محققي أئمة المسلمين سلفا وخلفا وأظهر بعضهم ان أكثرها من وضع الملاحدة لتشكيك المؤمنين. وهي تنافي النصوص المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الامين قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون — واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا) وهي لا تتفق مع ما علم بالتواتر من عناية المسلمين بكتابهم حفظا وكتابة من عهد الرسول الى اليوم فهي إن لم تكن موضوعة من أعـداء الاسلام المنافقين لغش المسلمين وتشكيكهم في دينهم فلا يبعد أن يكون الواضع لها من بعض الفرق الاسلامية لتأييد

﴿ المقالة الرابعة ﴾

ايضاح المسائل المتقدمة (*)

« وهي للمسلمين كالمقالتين السابقتين »

(الكلمة الاولى)

« في بيان اسباب نشوء مذهب النسخ بين جمهور المسلمين وتواتره بينهم في جميع الازمنة »

إعلم أن من أسباب ورود هذا اللفظ في عصر الصحابة أمور منها (١) كلامهم في نسخ الاحاديث والسنة فقد كانت الاحاديث والسنن تنسخ بأحاديث وسنن مثلها وتنسخ أيضا بالقرآن الشريف كما سبق فالكلام في النسخ قديم بين المسلمين ونشأ منذ نشوء الشريعة الاسلامية (٢) ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستعملون أيضا لفظ النسخ في القرآن ولكن بمعنى أوسع مما جرى عليه المتأخرون فكانوا يريدون به أحيانا تخصيص العام وتقييد المطلق وتفصيل المجمل لان من معاني النسخ الرفع وفي كل ما تقدم رفع لدلالة العام والمطلق والمجمل فلذا تواتر بين المسلمين الكلام في نسخ القرآن كما تواتر بينهم الكلام في نسخ السنة والاحاديث . أما رفع حكم الآية مطلقا فقد دل الاستقراء على عدم وجود شيء منه في القرآن كما بيناه في المقالات السابقة ولم يرد نص قاطع عن الرسول بشيء من ذلك ولم يصرح به الكتاب العزيز وان سلم أن بعض الصحابة قال به في بعض الآيات فهو مذهب له في فهمها ولسنا ملزمين بتقليد أي صحابي فيما فهم ولذلك خالف جميع المفسرين ابن عباس وهو أعلم الصحابة بالتفسير في كثير مما ذهب اليه فيه . على أن أكثر الروايات المأثورة عن الصحابة في التفسير موضوعة كما قال الامام احمد بن حنبل ونقله عنه السيوطي في الاتقان فلا يمكننا أن نعلم باليقين رأي الصحابة في أكثر

(*) نشرت في المجلد ١١ جزء ٨ و ٩ و ١٠ من المنار

وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره (يمحو الله ما يشاء) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هنالك « ما ننسخ » فالمحو والنسخ في الآيتين بمعنى واحد (ويثبت) مايشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته (وعنده أم الكتاب) أي أصل العلم التام بكل حال وما يناسبه . فالسياق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيهما وهما مفسرتان بعضهما لبعض

فكل آية من آيات الانبياء السابقين التي نسيها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى بمثلها في الاقناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان ويقدرها العقلاء قدرها فانها لا تشتبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقتها وأعم فائدة وأتم دليلا وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآن أتم الظهور فترى العلماء اليوم في أوربة وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أتي أنبياؤهم معجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف. فلو لم يؤت صلى الله عليه وسلم سواه لكفى ولذلك قال تعالى (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فما بالك وقد أعطي معجزات كثيرات غيره كما تواترت به الاخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى (ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير) فلو كان المراد آيات الاحكام كما يقولون لقال : ألم تعلم أن الله عليم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملاءمة لما يقولون ولما قال بعدها (ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل)

مذهب لهم في مسألة مّا أو إثبات دعوى باطلة لا يجدون لها سندا من الكتاب المتواتر فيختلقون الروايات و يدعون أنها كانت قرآنا ونسخ وقـد انطلت حيلتهم هذه على بسطاء المحدثين كما انطلى عليهم غيرها في مسائل أخرى كثيرة يقف عليها من مارس علم الحديث فاخترعوا من الاحاديث ما يؤيد مذاهبهم ومزاعمهم . وقـد يكون منشأ بعضها خطأ الراوي وعدم فهمه حقيقة بعض المسائل كأن يظن أن كل ما أوحي الى النبي ولا يجده الآن في القرآن كان قرآنا ونسخ كحديث (بلغوا قومنا أنا قـد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه) فوقع بسبب ذلك في الغلط رواية ودراية ولو علم ان من الوحي ما ليس بقرآن مطلقا ـ كما سبق ـ لما سماه قرآنا

واني لأعجب من قبول بعض المسلمين ذلك منهـم واستشهادهم على نسخ اللفظ بآية (سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله) مع ان مثل هـذا الاستثناء قد ورد — كما قرره الاستاذ الامام — في القرآن لتأبيد النفي مع بيان أن لا شيء في في هـذا الوجود يستعصي على مشيئة الله فكأنه يقول : انك لا تنسى أبدا الا إن قضى الله بذلك فلا راد لقضائه ولـكنه تعالى لا يقضي به كما وعد بذلك في مثل الآيتين السابقتين . وقد ورد مثل هذا المعنى في آيات أخرى في القرآن الشريف كقوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ) « مقطوع » مع قوله (خالدين فيها أبدا) (وماهم منها بمخرجين) وغير ذلك

(الـكلمة الثانية)

« في زيادة ايضاح بعض الآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن »

ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أومثلها) قد فنده الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في درس التفسير وأقره صاحب المنار أيضا كما نقلنا ملخصه عنه في مقالة الناسخ والمنسوخ السابقة وقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأييد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى بعينه (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية

قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) ولما كان اليهود هم الموعزين الى المشركين بذلك عناد لرسول الله وحقدا عليه ومكابرة له قال تعالى له (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس) الآية وهي واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب للسبب الذي ذكرناه وهو أنهم أمة واحدة ومتحدون على بغض الرسول وتكذيبه وتلقين بعضهم بعضا صنوفا من الشبهات والتشكيكات غير مبالين بمخالفتها لمعتقداتهم فلذا صح أن ينسب ما يقوله بعضهم اليهم جميعا لاتباعهم له وتعويلهم عليه في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في جميع اللغات المعروفة ينسب عمل بعض أفراد الأمة الى الامة جميعها خصوصا إذا رضيت به وأقرته وان اختلفوا عقيدة فما بالك إذا كانوا جميعا يأتون الشيء ويعملونه

ومن أمثلة ذلك أيضا قول المشركين (٢٨: ٤٨ اولا أوتي مثل ما أوتي موسى) مع أنهم لا يؤمنون بموسى ولا بما جاء به وهو يدل على أنهم كانوا يقلدون اليهود تقليدا أعمى و يطيعونهم في جميع مايوعزون به اليهم وان نافى معتقداتهم كما قلنا إرضاء لهم واستجلابا لودهم ولمعاونتهم لهم على الرسول وخصوصا لانهم كانوا أعلم منهم وأعرف بالاديان و بالوحي والانبياء فينفعونهم نفعا كبيرا في غرضهم . فكثير من مثل هذه الاقوال كان صادرا عن اليهود ثم اتبعهم فيه المشركون وصاروا يرددونه عنهم فلذا اتبعوا اليهود في تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إن القرآن نسخ بعض شرائع التوراة كالسبت وتحريم بعض اللحوم . ولذلك جاءت آية (وإذا بدلنا آية مكان آية) في سياق الكلام مع المشركين مع أن القول صدر أولا من أهل الكتاب وقلدهم فيه المشركون تقليدا أعمى كما قلدوهم في غيره مما سبق بيانه وجاءت به الآيات في سياق الكلام معهم لذلك قال تعالى بعد ذلك بقليل (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ــ الى قوله ــ إنما جعل السبت) الآيات . ولو صح اعتراض المعترضين لكان هذا الكلام أجنبيا عن سياق السورة ولا مناسبة له فيها وهو مما لا يقوله عاقل يفهم بلاغة القرآن

وقد استنكر هذا المعترض أيضا جعل قوله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله

وذلك أن بني اسرائيل سألوا موسى من قبل مقترحين آيات غير ما أراهم عنادا وكفرا (٤:١٥٣ فقالوا أرنا الله جهرة). فاذا كان تفسيرهم صحيحا فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟! وإذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل الله تعالى اتى بدل جميع الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثير من احكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ مثلا قالوا إن آية الوصية للوالدين والاقربين قد نسخت بحديث « ألا لا وصية لوارث » فلم لم يأت بدلها في القرآن ؟ وأين البدل للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله (عشر رضعات معلومات يحرمن) الذي نسخ على زعمهم بقوله (خمس رضعات معلومات) ثم نسخ أيضا لفظ هذا القول الاخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بدل للفظ : الشيخ والشيخة إذ زنيا فارجموهما البتة. وغير ذلك كثير !! وما الحكمة في مثل هذا النسخ مع بقاء الحكم يا ترى ؟

قال بعضهم منتقدا على تفسيرنا الآية (واذا بدلنا آية مكان آية) ان السياق لا يدل على ان هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فانه لم يتقدم لهم ذكر في السورة. ونقول إن صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في ترديده والموافقة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبا له فلذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب فانهم وافقوا أهل الكتاب منهم في دعاويهم الباطلة وتعاونوا معهم على تكذيب النبي عليه السلام ولذلك كانوا يقولون تقليدا لهم في تكذيب القرآن (٢١:٥ أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) فانهم لا يؤمنون برسل الاولين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقيه لهم أهل الكتاب وإن خالف معتقداتهم ما دام فيه تكذيب للنبي وإغاظة له ولذلك ترى في القرآن آيات كثيرة أمثال هذه التكذيبات اليهودية أو النصرانية واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب فانهم جميعا كانوا متضامنين ومتحدين بعضهم مع بعض على بغض النبي وتكذيبه وعرقلة مساعيه فهم ــ وان اختلفت أديانهم ــ أمة واحدة ويد واحدة على رسول الله. فمن أمثلة هذا التضامن والاتحاد في التكذيب قوله تعالى (٦:٩١ وما

لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولكن بطأني عن ذلك أن رجالا من أصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم »رواه ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث

ثالثا — إثبات عدالة رجال الاسانيد قد تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون أحيانا عدالة الرجال بروايات الآحاد ولا يخفى على أحد فساد ذلك فان ما يقال في رجال الاسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم وربما أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا — أكثر الاحاديث والروايات مقتضبة فلا تعرف الظروف التي قيلت فيها ولا مناسباتها ولا أوقاتها ومن المعلوم أن مثل هذه الاقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد تخرج عن المراد منها خروجا كليا أو جزئيا كما كان يمكن أن يحصل في حديث انس مثلا المذكور في ص ١٥٤ من هذا الكتاب لولا ماروواه ابن جرير في سبب هذا القول فنحن أحوج لمعرفة أسباب الاحاديث من معرفة أسباب نزول آيات الكتاب العزيز لان فهمه غير متوقف عليها كما بينا

خامسا — من المشاهد في جميع الاجيال وفي جميع الامم أن حفظ الاحاديث اذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان عسير جدا على الناس إلا من شذ وقليل هو وخصوصا اذا ألقيت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الاحوال فهو مفتر كذاب فالنقل في أغلب هذه الاحوال هو تقريبي ولا يخفى ما ينشأ عن مثل هذا النقل من الافتراآت والاختلافات والاكاذيب فاذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة

سادسا — قبل زمن تدوين الاحاديث كان جل رواتها إن لم نقل كلهم لا يكتبون الأحاديث ولا يعتمدون فيها الا على ذاكرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة

لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم) وصفا لليهود وفاته أن الله تعالى قد وصفهم بمثله في آيات أخرى كثيرة كقوله (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة ـ الى قوله ـ وما أولئك بالمؤمنين) وقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين)

(الكلمة الثالثة)

« بيان اسباب ان احاديث الآحاد لا تفيد اليقين »

أولا ـ قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومتظاهر بالصلاح والتقوى لسبب ما من الاسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فيغتر به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئا يجرحه لشدة احتراسه وتستره . وقد يكون بعض المحدثين مؤمنا صادقا مخلصا صالحا لكنه ينخدع لظاهر هؤلاء المنافقين فيأخذ الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون اذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله ظن أن أمثاله كثيرون وكثر انخداعه بأعمال المنافقين وظواهرهم وتجنب اساءة الظن والتجسس لشدة ورعه وتقواه أو بساطته وسذاجته في بعض الاحوال . وكثرة الكذابين وكثرة ما يضعونه من الاحاديث يشوش على الناقدين الباحثين فيها عملهم ويوقعهم في الارتباك والخطأ كثيرا فيقبلون احيانا ما ليس صحيحا ويرفضون ما هو صحيح ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن يكون جميع ما يقوله كذبا وقد يكون منفردا بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقا فيه . وقد يكون المرء صالحا صادقا ولكنه يضطر في بعض الاحيان الى أن يكذب ولو واحدة فلا يسلم ما يؤخذ عنه من أن يكون فيه بعض الكذب أو المبالغة وخصوصا لميل النفوس للغلو والعجائب والغرائب

ثانيا ـ قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه يخطئ المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم معتقدا انه صحيح . والتحديث بالمعنى كان عندهم جائزا . وقد ينسى شيئا مما سمعه فيقع في الغلط بسبب ذلك بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت

وليعلم الناس جميعا أن الاسلام ليس في احتياج إلى مثل هذه الروايات كاحتياج الاديان الاخرى اليها

= في كل الجزئيات ومن ذلك يظهر الفرق بين الاسلام والنصرانية من الوجهة التاريخية مع قرب زمن ديننا عن دينهم وتفرد المسلمين دون سائر الامم من قديم الزمان بعلم نقد الحديث والبحث في الرجال وتمحيص الرواة . فهذه الاناجيل عند المسلمين لا تساوي روايتها قيد بعير ولا شروى نقير ولا تبلغ مبلغ أضعف حديث ومع ذلك ترى النصاري يبنون عليها العلالى والقصور لانهم لا حيلة لهم سواها فهم مساكين واهمون ! !

واذا صحت علاقة مرقس ولوقا كاتب الانجيل وسفر الاعمال ببولس كما يفهم من رسائله (انظر فل ٢٤ وكولوسي ٤ : ١٠ و١٤ و٢تيمو٤ : ١١) كان لبولس اليد الطولى في وضع اكثر كتب العهد الجديد وأهمها اما بنفسه واما بيد غيره مع انه لم ير المسيح ولم يجتمع به قط في حياته وقول بولس ان مرقس هو ابن اخت برنابا كما في كولوسي ٤ : ١٠ خطأ محض والصواب « ابن عمه » كما صرح به الدكتور بوست في قاموسه للكتاب المقدس ص ٤٦ م ١ فتأمل وتعجب !!

فترى مما تقدم أن انجيل متى الحالي مجهول الاصل ولا يعلم ان كان هو ترجمة الانجيل العبري القديم أم لا ؟ ومن ترجمه ومتى ترجم ؟ وهل الترجمة مضبوطة خالية من الخطأ والتحريف ؟ وعليه فروايته لا يوثق بها

أما مرقس فهو لم ير المسيح كما سبق ولا يمكنهم اثبات أن بطرس رأى انجيله وأقره ولا أن بطرس كان ملهما من الله والمعجزات المنسوبة اليه لا تثبت ذلك كما تقدم في هذا الكتاب (ص ٥٩ و٦٠) على أن تاريخ بطرس فيه شيء كثير من الغموض وقد حمله الخوف من امرأة جارية على الكذب فانكر معرفته للمسيح وقت اخذه للصلب وأقسم على ذلك كما في جميع الاناجيل مع أنه لم يلحقه من الاذى ما يبرر ذلك العمل بل مجرد الوهم والخوف حمله على النكران والحلف كذبا قبل أن يوقن بالضرر وكان أيضا في أنطاكية يرائي اليهود ويداهنهم في مسائل الدين حتى أنكر بولس عليه ذلك وزجره لان مبدأ بولس كان التقرب من الامم غير اليهودية (انظر غلاطية ٢ : ١١ - ١٤) فمثل هذا لا يؤمن على شيء

أما لوقا فهو من صنائع بولس كما تقدم وكلاهما لم ير المسيح . وبولس هو أعظم واضعي النصرانية الحالية وكان يهوديا وتنصر والله اعلم بمبلغه من الصدق . فاقوالهما لا يمكن أن يطمئن اليها الانسان أو يثق بها

أما يوحنا فانجيله متأخر عن رسائل بولس كما تقدم وربما انه كان كمرقس ولوقا ممن تأثر بأقوال هذا الرجل الدخيل بينهم وممن خلبوا بفلسفته وعلومه ومعارفه وبلاغته . فرواية يوحنا للاشياء وحده لا توجب اليقين ولا يوثق بها وعقائدهم مع ذلك ليست ناضجة في كتاباته كما أريناك سابقا وهو لم يكن موحى اليه بدليل خطأه وظنه أن القيامة قربت جدا في عهده وأنها هي الساعة الاخيرة كما كان ذلك الاعتقاد سائدا بينهم جميعا في زمنه (انظر رسالته الاولى ٢ : ١٨ ومتى ١٦ : ٢٧ و٢٨ واتسا ٤ : ١٥ - ١٨ وغير ذلك كثير)و مع ذلك فقد ثبت يقينا أن النصارى حرفت كتبه كما اعترفوا هم انفسهم بذلك فزادوا مثلا في رسالته الاولى (٥ : ٧) أصرح عبارة في التثليث =

في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الاستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الاغر . ومن اعتمد على ذاكرته فقط لانبرئه من الخطأ والنسيان في جميع الاحوال مهما كان

هذا شيء مما يقال في روايات الآحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطروء مثل هذه الاحتمالات عليها و بذلك قال أيضا الجمهور من أئمة الاسلام

واذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد على أحاديث غيرهم (١) أشد وأقوى وأكثر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف عن الامة الاسلامية من العناية والتمحيص في الروايات والنقد والبحث في رجال الحديث ولم يكن يخطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك مع قرب زمن الاسلام عن زمن غيره من الاديان وانتشار العلم والعرفان بين أهله منذ نشأته

ولا خوف على الدين الاسلامي المتين من هذه المطاعن التي أوردناها على روايات الآحاد فان حجته ناهضة بالمتواتر فيه والمجمع عليه فليهدأ المسلمون بالا

---

(١) حاشيــة : أناجيل النصاري التى هي أساس دينهم وأصله الأصيل لا تخرج عن كونها من رواية آحاد قليلين وهي منقطع سندها أيضا كما سبق بيانه فهي تشبه أضعف الروايات الاسلامية التى لا يلتفت اليها المسلمون وذلك لان رواتها أربعة فقط : اثنان منهم لم يريا المسيح قط باعترافهم فهم ينقلون عن غيرهم ، واثنان منهم يقال انهما من الحواريين ولكن لم يثبت باليقين عند أهل النقد الحديثين أنهما هما الكاتبان للانجيلين المنسوبين اليهما

وبقطع النظر عن ذلك فروايتهما مختلفة لفظا ومعنى اختلافا كبيرا حتى تعب النصارى وكثرت كتبهم في التوفيق بين الاناجيل منذ وجودها الى الآن كما لايخفى على من قارن بينها . وقد انفرد كل من متى ويوحنا الحواريين برواية أشياء كثيرة عن المسيح لم يروها الآخر فكانت بذلك رواية فرد واحد لا كثيرين ـ أما مرقس ولوقا فلا يمكن الجزم بمن هو الذي نقل عنه كل منهما انجيله وما مبلغه من الصدق والضبط في الرواية وهل رأي المسيح بنفسه أو لم يره ؟ وكل ما يقوله النصاري في هذه المسألة مبنى على أخبار ضعيفة منقطعة مجهولة الاصل . ودعواهم الالهام لكتبة الاناجيل دون اثباتها خرط القتاد والمتبادر من مقدمة انجيل لوقا (١: ١ ـ ٤) خلافها أي انهم لم يكتبوا أناجيلهم بالوحي والالهام بل بالاجتهاد في الرواية . والخلاصة أن اخبار المسيح وسائر تعاليمه ليست الا رواية أربعة أفراد يحوم حولهم شيء كثير من الشك وبعض هذه الاخبار رواها واحد منهم فقط وقد فقد أيضا الاصل العبري الذي كتبه متى والانجيل الحالي اليوناني لم يكن معروفا عند النصارى الاقدمين ولم يذكروا شيئا عنه

أما الاخبار الاسلامية والاحاديث النبوية فرواتها غالبا عديدون وان لم يبلغوا دائما مبلغ التواتر ـــ

أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يرونه عن رسول الله . وعليه فهؤلاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لامر يسمعونه من أولياء أمورهم بآذانهم فيأخذون به ويعملون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أولم يقله فالعهدة فيه على رواته

فان قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن والا فكيف يوقن بأن هؤلاء القوم لا يبلغون عنه إلا ما يريد ؟ — قلت ان الرسول إن لم يعلم ذلك بطريق الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن أصحابه وغيرهم البعيدين عنه كما هو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والايمان وقوة العقل والعلم بالدين و يوقن بذلك وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم أخلاقهم وأميالهم وأحوالهم وسبر غورهم فهو يجزم بصدقهم واخلاصهم كما يجزم أحدنا ـــ وان كان نظره أضعف من نظر الرسول — بصدق صاحبه واخلاصه بعد معاشرته له زمنا طويلا في أحوال مختلفة . وان بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجويز للخطأ أو النسيان عليهم فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات منقطعة عن المسلمين بل كان بينهم وبين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين مرات عديدة في السنة للزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك ويذهب اليهم المسلمون لمثل هذه الاغراض فاذا حاد المبعوثون عن شيء مما تلقوه عن رسول الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فيصحح هذا الخطأ أو يعزلهم أو يعاقبهم . فبالوحي وبثقته الاكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا طويلا وباخبار الذاهبين اليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ عنه في تلك الجهات ومهيمنا عليه فان حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب إلا قليلا فيمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت ويزيله . وهذه الحالة ضرورية في مبدأ الدعوة حتى يعم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستفيضا متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك . وهي تشبه حالة التلاميذ مع معلمي المدارس وتلقيهم

﴿ الكلمة الرابعة ﴾

« في التواتر »

أهم ما يطعن به في لزوم التواتر لما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الآحاد للتعليم وللحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد ـ كما قلنا ـ لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرائن أخرى قطعية، لقوله تعالى (إن تتبعون إلا الظن و إن أنتم إلا تخرصون) فهؤلاء الآحاد الذين كان يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها أن يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والنسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات تحققوا من بعض القرائن أن رسول الله أرسل اليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم طاعتهم والاخذ عنهم ، وقبل أن يتحققوا من ذلك لا تجب عليهم طاعتهم ولا الاخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعد تيقنهم من أنهم مرسلون اليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنما هم مطيعون لله ولرسوله ولأولي الامر ، فاذا قالوا لهم ان الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول و وجب عليهم العمل به لا لانهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لانهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا اذا علموا بكذبهم وحينئذ يرفعون الامر الى رسول الله فيحكم بعزلهم عن تولي

= فبأي شيء من هذه الاناجيل يمكنهم أن يثقوا ؟ وهل يصح مقارنتها بالاحاديث الاسلامية التي تلقاها المسلمون بحثا ونقدا وتمحيصا بينما كانوا هم في غمرات الجهل غارقين منقادين لقسيسيهم ورهبانهم فيتصرفون فيهم كما يتصرف الانسان في العجماوات ومع ذلك ترى المسلمين في غنى عن جميع روايات الآحاد لعلمهم انها لا تفيد اليقين ويمكنهم أن لا يأخذوا في دينهم الا ما كان متواترا يؤمن عليه من الكذب أو التحريف وجميع أصول دينهم من عقائد وعبادات ومعاملات وغيرها هي كذلك ومنقولة اليهم في كتابهم المتواتر (القرآن) وسنة نبيهم العملية المتواترة أيضا . وكان الصحابة رضوان الله عليهم يضحون حياتهم في سبيل الله ولا يحملهم مجرد الوهم على الحلف باطلا والرياء في الدين والكذب على الله ورسوله (انظر ص ٨٠ من هذا الكتاب) كما فعل بطرس صخرة المسيحية وركنها الركين

بقي دينه ناقصا . فاي حرج في الدين أكبر من هذا ؟! وخصوصا كلما طال العهد على رجال الاسانيد و بعد مكانهم وزمانهم عنا والله يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج) لذلك نرى أن أمثال هذه المباحث إنما هو كمالي لا حاجي وأما الدين الواجب فقد وصلنا كله متواترا ولله الحمد

(الـكلمة الخامسة)

« في معنى السنة وبيان وجوب العمل بها »

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنته صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها وهي واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدقه صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بما جاء في الحث على اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهـم جميعا كما لا يخفي على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » أي عليكم بطريقتي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلا نزاع في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين أما أقواله صلى الله عليـه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولاصحابه فهي موضوع بحثنا وهي المقصودة في مقالتنا الاخيرة. تلك التي رواها الآحاد وانفردوا بها ولو كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم ورويت إلينا متواترة وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن دينا عاما لجميع البشر في كل زمان ومكان بل هي خاصة بمن وجهت اليهم لاحوال خاصة وظروف مخصوصـة أو أنها كانت للارشاد والندب لا للوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاما بينهـم . فهناك فرق عظيم بين لفظ (السنة) ولفظ (الاحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخبط . وقد أدرك الامام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل أهل المدينة على الاحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صحت أسانيدها وقد رد من ذلك مئات كثيرة

العلم عنهم وعملهم به فان الامة رقيبة عليهم فان أخطأوا في شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان ما يصل الى علم الامة وأولياء أمورها فيتلافونه في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا لان رواتها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى تجب طاعتهم من هذه الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الامر ولم يكن رقيبا عليهم لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الحالتين عظيم

أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك بكتب منه فالغرض من ذلك إلفات نظرهم إليه وتنبيههم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الايمان لاجلها إلا بعد التثبت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كالتمهيد للدعوة الحقيقية بوصول الدين اليهم متواترا على أيدي الجماهير من الناس كما حصل بعد وفاته . ألاترى أن الرسائل البرقية والبريدية الآن قد لا توجب اليقين إلا بقرائن أخرى فمن باب أولى تلك الرسائل القديمة

وعلم أن القرآن الشريف يذم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن ان الله سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين والا كان آمرا لهم بما يذم به غيرهم ويلومهم على اتباعه (راجع أواخر سورة الانعام ٦: ١١٦ و ١٤٨)

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما بيناه في الكلمة الثالثة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الأخذ به في الدين فدليلنا على ذلك مبني على حكم العقل وما جاء به في الكتاب العزيز

وإني لاعجب من أهل الاحاديث : هل إذا سمعوا أي قول منسوب الى رسول الله يلزمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتواريخهم أم يجب عليهم العمل به لمجرد نسبته إلى الرسول بدون بحث ولاتنقيب؟ أما الامر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فساده ، وأما الامر الاول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة الى رسول الله أن يفني حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على تواريخهم وإذا لاحظنا أن التقليد في الاسلام منهي عنه وجب على كل فرد ان يبحث بنفسه في احوال الرجال وينقدهم ويمحص كل ما وصله وما يصله من الاحاديث وإلا

تواتر بين المسلمين عنه قولا وعملا ومن مجموع ما روى عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة المتنوعة . فسنته معلومة المسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين : وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الامر باتباعه والاقتداء به والجري على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضا المراد بما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها العمل بلا انقطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة السادسة)

« آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها »

(١) قال الامام احمد بن حنبل ما معناه : إن الاحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها . كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الاتقان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لايجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الاصوليين « إنها ظنية »

(٥) وقال جمهور المسلمين « انه لايجوز الاخذ بها في العقائد »

(٦) وقال كثير من العلماء كالقاضي عياض « إنه لا يجب الاخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة ولو كانت موثوقا بها »

(٧) وقال جميع المحدثين ما مؤداه « إن الموضوع منها كثير وتمييزه عسير وفي بعض الاحوال مستحيل » راجع ما ذكرناه في الكلمة الثالثة

(٨) وذهب أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس الى ان الصحيح منها قليل جدا حتى أنه لم يأخذ إلا ببضعة عشر حديثا مع قرب زمنه من زمن الرسول فانه ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ هجرية

أما تسمية الاحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين واولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالاتنا الى تقييد لفظ السنة بقولنا (العملية) فان السنة لا تكون الا عملية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأ يجري عليه العمل دائما فلا يسمى (سنة) عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلا قد أكون متبعا لسنة الاستاذ الامام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف مايرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعا سنته فان سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب بالانصاف لا في التزام كل قول من أقواله التزاما أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية المحضة وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصلحة في زمننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعا سنته صلى الله عليه وسلم فان سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الاخبار المتعددة المصادر المختلفة المبني المتحدة المغزى وكما جرى عليه عمل كبار المسلمين وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وطاعته فيما أوحى به اليه أو ماوافق الصواب والمصلحة من آرائه واجتهاداته وليست سنته في الجمود والتقليد والبعد عن العقل والتفكير والمصلحة كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كان أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لآرائهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنته فان سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح العباد وتحري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خالف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته و بعد مماته بعض أقواله و بعض ما حكم به مراعاة للمصلحة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئا من ذلك كثيرا وقد وفيت هذا البحث في رسالة لي طويلة في هذا الموضوع وفقنا الله لطبعها

وسنته صلى الله عليه وسلم في الامور تعلم من نصوص الكتاب العزيز وشا

(١٩) ان أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أحد إلا خالف في مذهبه كثيرا منها ولو صح عند غيره

(٢٠) لم يعتن المسلمون بحفظها في صدورهم اعتناءهم بحفظ القرآن الشريف وكانوا يجوزون روايتها بالمعنى ولا يخفى ما ينشأ عن ذلك من الخطأ إذ يجوز أن الراوي لم يفهم حقيقة الامر

أما قول بعضهم في الجواب عن بعض هذه الاشكالات إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة . فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا حرفيا في الصدور لم يسبق له مثيل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وبإملائه على ما عرفوه إذ ذاك من أنواع القرطاس (وهو كل ما يكتب فيه) ولم يخالف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع سوره مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وإنما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد (كالورق الآن) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فان الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتبا ما كان معروفا لهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو رقي في الصناعة تابع لرقيهم في المدنية بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا علموه من قبل لعملوا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثنان (راجع مقالة تاريخ المصاحف السابقة) . ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدنيوية التي يمكنهم ان يصلوا اليها بعقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الأمم الاخرى الراقية فلذا لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام تعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتبا كما أنه لم يوح اليه تعليمهم أي صناعة أخرى بل تركوا وشأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان ورقي عقولهم تدريجيا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه « إن عمل أهل المدينة مقدم عليها » وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن تناقضها كثير ومعرفة ناسخها من منسوخها عسير أو مستحيل وكذلك أكثر أسباب قولها وأوقاتها والظروف والاحوال والمقامات التي قيلت فيها وهذه الاشياء ضرورية جدا لفهمها لانها في الغالب مقتضبة كما سبق

(١٢) قام الدليل الحسي على ان الله لم يتكفل بحفظها من التحريف والتبديل والزيادة النقصان

(١٣) لم يجمعها الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يبلغوها إلى الامم بالتواتر مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الاسلام إلا لضرورة كما في بعض الاحكام القضائية ومع ذلك تدرأ فيها الحدود بالشبهات ولا يؤخذ فيها بخبر الآحاد (الشهود) وحده مالم تؤيده قرائن أخرى توجب اليقين أو ما يقرب منه ولولا الاضطرار لمعرفة الحقيقة وتعذرها في كثير من الاحوال بدون استشهاد الناس لما ألجئنا لسماع شهادتهم ولا للبحث فيها . أما مسائل الدين فما تواتر فيه مغن كاف عن كل ماسواه من أخبار الآحاد التي لاتوجب اليقين

(١٥) انهم نُهوا عن كتابتها وأمروا باحراق ما كتبوه منها كما في الروايات التي صحت عن رسول الله

(١٦) قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أفاضلهم أقل الناس حديثا وأقلهم حفظا له ويصدفون عنه ولو كان واجبا لما كان هذا حالهم بخلاف القرآن فإنهم كانوا يواظبون على حفظه وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار ويحثون على ذلك

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجروه كما فعل عمر بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا انه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوه للجنون كما ورد في سيرته (راجع مثلا كتاب الاصابة لابن حجر)

السلام وقال له اذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لحمل الحجر نادي ابو قبيس ابراهيم فجاء فحفر عنه فجعله في البيت » استنتج منها بعد ان يزيل قشورها وأوهامها حقيقة هذا الحجر وهو أن أصله قطعة أخذها ابراهيم عليه السلام من أحجار جبل أبي قبيس السوداء القريبة من الكعبة ووضعها في أحد أركان الكعبة علامة على الركن الذي يبتدأ منه بالطواف ليعرف الطائف كم مرة طاف بالبيت وليبتدئ الناس بالطواف من نقطة واحدة حفظا للنظام وتسهيلا للطائفين (١) وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيرا من حقائق تاريخ اليونان مثلاً مما

(١) حاشية — تقبيل الحجر الاسود هو كتقبيل آثار رجال التاريخ العظام احتراما لهم واجلالا لشأنهم وحبا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أو دواة شكسبير وقلمه ان وجدت ولكل أمة آثار موروثة عن رجالهم العظام قد يقبلونها وهذا الحجر هو من آثار ابراهيم في بنائه الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الامة العربية فلذا قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبعه المسلمون في ذلك الى اليوم وان لم يقل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هذا الحجر في القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئا من هذه الآثار يضر أو ينفع فقد خرج عن عقله وكفر بالله ورسله . ومن العجيب ان الافرنج يسمون تقبيلنا لهذا الحجر عبادة — مع أن التقبيل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة — ولا يسمون سجودهم لصورهم وصلبانهم وقديسيهم وقد يسالهم والخبز في قربانهم — لا يسمون ذلك عبادة لهذه الاشياء مع انه شتان ما بين السجود والتقبيل . فانظر وتعجب !!!

هذا وقد كان أنبياء العهد القديم يقيمون مثل هذا الحجر لأسباب : منها أن يكون تذكارا لحادثة من الحوادث العظيمة كما فعل يعقوب حينما تراءي له ربه في منامه فانه أقام حجرا في مكان سماه بيت ايل (بيت الله) (تك ٢٨ : ١٦ — ٢٢) ونصب يشوع اثنى عشر حجرا تذكارا لعبور الاسباط نهر الاردن بتابوت العهد (يش ٤ : ٤ — ١٠) ومنها أن تكون الحجارة للشهادة كالحجر الذي أقامه يعقوب شاهدا على العهد الذي تم بينه وبين لابان (تك ٣١ : ٤٥ — ٥٢) وكالحجر الذي أقامه يشوع شاهدا على بني اسرائيل (يش ٢٤ : ٢٦ و٢٧) وعليه فالحجر الاسود يجوز أن يكون وضعه ابراهيم عليه السلام في الكعبة لسبب من مثل هذه الاسباب كأن يكون تذكارا لبنائه بيت الله أو شاهدا عليه وعلى ذريته لئلا يكفروا أو يخالفوا دين الله ووصاياه وقد قلده في ذلك أنبياء بني اسرائيل كما ذكرها ومما يؤيد ذلك ما ورد في بعض الآثار أن الحجر الاسود يشهد يوم القيامة لمن استلمه

على أن الاظهر أنه علامة على ابتداء الطواف كما ذكر في المتن . هذا ولم يسمع عن عرب الجاهلية مطلقا أنهم عبدوا هذا الحجر ولو حصل ذلك لمحاه الاسلام كما محا الوثنية وجميع أصنامهم من الكعبة ولكنهم كانوا يعظمونه وتبعهم المسلمون في ذلك لانه من آثار أبيهم ابراهيم فهو عند المسلمين كأعلام الدول التي لا تحترم لكونها قطعة بسيطة من القماش مرفوعة على قطعة من الخشب بل لكونها تمثل الدولة وعظمتها فكذلك هذا الحجر كالعلم لابراهيم وكالشعار لدينه الاسلام فلذلك قبله =

بالعلم والعرفان وإلا لتعطل عمل العقل وأصبح الانسان يقاد في كل شيء كالحيوان وذلك ينافي سنة الله في هذا الكون

فالقرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول وبأمره لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجاراة جواز الترقي في الصناعة. وقد ترقت صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً - كما ترقى كل شيء آخر - حتى وصلت الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي

وأما كتابة الاحاديث فقد كتبت فيها مرات في غير هذا الكتاب وأفاض القول فيها بعلمه الواسع أستاذ المنار فلا حاجة للتكرار

(الكلمة السابعة)

« أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي »

إعلم أن من الحجج ما يسمى (بالاقناعي) وذلك ان تحتج على الخصم بما هو مسلم عنده كأن تحتج على النصراني ببعض ما في الأنجيل الحالي وان كنت غير معتقد له. فأنا أورد الاحاديث غالبا لا لأثبت معتقدي لنفسي بل لأقنع من لا يقتنع الا بها ولست أعول في براهيني القطعية الا على ما يفيد اليقين فما أذكره من الاحاديث إما لأقناع المسلمين وإلزامهم بها أو للتكثير من الادلة بضم ضعيفها الى قويها ليقوى بها مع استعمال مبدأ الاستنتاج والنقد فيها. وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ العصريين فانهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعثرون عليه من الروايات ولو كانت من الاساطير ويستنبطون منها ما لا يستنبطه الجهلاء من الحقائق بعد ان يستنيروا في دياجير ظلماتها بمصابيح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين حكاياتهم شيئا من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من وسط الخرافات ويتثبتون من صحة ما التقطوه بالاقيسة المنطقية والقضايا العقلية فاذا اراد بعضهم ان يعرف مثلا أصل الحجر الأسود عندنا عمد الى رواياتنا فيه وحكها بمحك النقد والعقل فاذا سمع مثلا رواية « إن الله استودع الحجر أبا قبيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه

﴿ المقالة الخامسة ﴾

خوارق العادات
﴿ في الاسلام (*) ﴾

اطوار البشر والمعجزات — المعجزات العقلية والحسية — علم الغيب — التنويم المغنطيسي
استحضار الارواح — الكهانة — الاحلام — السنن الكونية والمعجزات
جرائم الامم والافراد والعقوبات الآلهية عليها

أتى على الانسان حين من الدهر كان في طور أشبه بطور الطفولية ، فسادت الأوهام والخرافات على العقول البشرية ، وكثر بين الناس الدجالون والمحتالون ، والسحرة والمشعوذون ، وملكوا نواصي الناس إفكهم وكذبهم وصاروا يتصرفون في جميع أمورهم ، فما كان أحد يقدم على عمل مّا إلا بعد مشاورتهم ، والاسترشاد برأيهم ، فكان الناس في أيديهم كالانعام بل هم أضل سبيلا : عقول فاسدة ، وآراء كاسدة ، وأفهام ساذجة ، وبصائر قاصرة ، وجهل وأوهام ، وخرافات وخزعبلات ، تقيمهم وتقعدهم ، وتفرحهم وتحزنهم ، وتخيفهم وتزعجهم ، فاذا برق بارق من السماء ارتجفوا واضطربوا ، وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتعبوا ، واذا أصابهم مرض مّا علقوا لدفعه الاوراق ، أو استنجدوا براق ، واذا نظر الى بنيهم ناظر أحاطوهم بالتمائم ، وأطلقوا حولهم بخور المباخر ، واذا كسفت الشمس أو خسف القمر صاحوا ودقوا الدفوف وقرعوا الطبول لإرضاء آلهتهم على ما يزعمون — الى غير ذلك من الاوهام والاباطيل .

هذا كان شأن الجماهير إلا من شذ منهم وندر ، وأضاء الله عقله بشيء من نور العلم ومع ذلك ما كان يسلم عقله من ترهاتهم

سار الله تعالى مع تلك الامم في هذا الطور سير الاب الحكيم مع أبنائه في

(*) نشرت في المجلد ١٢ جزء ٢ ص ١١٨

يجدونه عندهم من الاشعار والحكايات القديمة الخرافية وغيرها كالياذة (هومير) فاذا كان هذا ما يفعله العلماء في الاساطير فهل يستنكر مني أن أستشهد لقوم بأحاديثهم الصحيحة المسلمة عندهم وهي التي يعولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قول الناس فيّ إذا لم أؤيد مقالاتي بشيء من ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من النقول ولو كان صحيحا ما خلت الاحاديث منه فانها تكاد لا تغادر شيئا على أن كثيرا مما أذكره في مقالاتي مروي عن كثير من الصحابة بالاسانيد المعتبرة عند المحدثين صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول بأنها جميعا موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات وأسبابها لإرواء غلتهم و إشباع نهمتهم في العلم والتحقيق فلا بد إذاً من البحث والتنقيب . فاللهم اجعل العقل رائدنا . وأنر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبيك إمامنا وقدوتنا ، ولا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

= رسول الله كما قبل الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لانهما ليسا على قواعد ابراهيم

وهناك معنى آخر وهو ان التقبيل واحترام الاعلام هو رمز الى الخضوع والطاعة والعبودية فتقبيل الحجر الاسود هو ضرب من ضروب العبادة والتذلل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعا لله تعالى وانكسارا مع ان الحجر نفسه والارض لا قيمة لهما بالمرة ولولا حقارتهما لما كان هناك معنى للتعبد بوضع أشرف عضو في الانسان وهو الوجه على هذين الشيئين الحقيرين تعظيما لله تعالى وتذكارا لطاعة ابراهيم له وامتثاله لاوامره كمن يقبل أعتاب الملوك أوذيل ثيابهم لا تعظيما لها بل للملوك أنفسهم لذلك قال عمر رضي الله عنه (والله اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركنا من أركان الحج

فهل بعد ذلك يقال ان الكعبة بنيت لاجل هذا الحجر وان المسلمين يعبدونه؟ فليتق الله المنصفون وليترك الكذب هؤلاء المفترون فان زمن الاكاذيب قد مضى وزمن زعمهم أن المسلمين لهم أوثان من ذهب قد انقضى واستنارت العقول ولم يبق تأثير لمثل هذه المفتريات وعلم الناس جميعا أن الاسلام هو الماحق للوثنية بجميع اشكالها ومظاهرها وأنه دين الحق دين التوحيد الخالص لله تعالى

الماهرين ، وعجائب أهل الرياضات والمجاهدات من المتصوفين وغيرهم على مايقول بعض الناس وأنها ان اقنعت تلك العقول القديمة ، وأرهبت تلك النفوس وهي صغيرة ، وحملتها على الايمان ، فانها أصبحت لا تغني العقل فتيلا ولا تزيد الامور إلا تعقيدا . وأن الدليل إن لم يكن له من العقل أكبر نصير فهو أضعف ضعيف . وأما من كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فما كان يريد بها إلا الاعنات والاعجاز ، والسخرية والاستهزاء والعناد ، وإلا فان أمامه من البراهين والآيات ما يشفي علة النفوس ويروي غلة العقول (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وأما ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الحسية فلم يكن يراد به الا إفحام المعاندين المستهزئين ، والزيادة في تثبيت ضعفاء المهتدين ، وقد كان جل اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات دعواه على القرآن وحده . كما يتضح ذلك لمن تدبر آياته . فانه هو المعجزة التي تلتئم مع الدعوى ، وتعلو بالعقل إلى مستوى العلم والفهم ، وتناسب حال الاجيال من بعده فلا تقف عقبة في سبيل نظرياتهم وتفكيرهم ، ومعلوماتهم واختراعاتهم ، ولا تلتبس عليهم بحيل الدجالين وتدليس المحتالين ، ولا بكذب القصاصين وافك الراوين ، وتخيل الواهمين ، واختراع الكذابين ، بل تساعدهم على البحث وتحضهم على التفكير والنقد والتمحيص والاستدلال والاستنتاج

فببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ختم عصر العجائب والغرائب وبدأ عصر العلم والعقل فهو الحد الفاصل بين العصرين فلذا كانت معجزاته تشمل هذا وذاك وكان أجلها وأكبرها والباقي منها وهو القرآن مناسبا لزمنه عليه السلام ولكل ما أتى ويأتي بعده من الازمان فلا يناسبها غيره

وكما ختم عصر المعجزات ، وتمت النبوات ، كذلك أغلق باب الكهانة فكأن الله تعالى في العصر الاول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصائرهم أكثر مما يتجلى لأبصارهم . فان بصائرهم في العصر الاول كانت ضعيفة لصغرها فلا تتحمل أن تراه فلذا كان يظهر

زمن طفولتهم فأكثر فيهم الهادين والمرشدين والانبياء والمرسلين الذين أكثروا من وعظهم ونصحهم وإنذارهم ووعدهم ووعيدهم. وخذلوا من كانوا متسلطين على عقولهم من السحرة والمشعوذين . بما أجراه الله على أيديهم من المعجزات ، وأظهره لهم من الآيات البينات ، التي تركت السحرة مغلوبين على أمرهم ، حيارى في شأنهم ، ولولا تلك الآيات لما قدر الانبياء على تخليص أممهم من حبائل الدجالين والمحتالين ، بل الابالسة والشياطين ، فكانوا اذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول وحيرت الافكار وأعجزت السحرة وأفحمتهم وأدهشت الناس فيخضع المستعد منهم لهيبة من ظهرت على أيديهم فيؤمنون له ويتبعونه . ويطيعونه فيما يأمرهم به (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) ثم يأخذ الله المعاندين الذين خالفوا ضمائرهم ، وكابروا عقولهم وأبصارهم ، ولم يميزوا بين الغالب والمغلوب ، والصادق والكذوب ، بأنواع من العقوبات تناسب أحوالهم جزاء لهم وعبرة لغيرهم لعلهم يرشدون

مضت الايام والاعوام ، وتوالت القرون والاجيال ، وانتقل البشر من حال الى حال ، وارتقوا من طور الى طور . فأخذت العقول تستنير ، والافكار تضيء والسحر يضمحل ، والانبياء من بينهم تقل ، حتى ختمت النبوة ببعثة سيد الانبياء والمرسلين ، وأكبر الهادين والمصلحين

كان البشر على الجملة في عهد البعثة المحمدية ، قد خرجوا من طور الطفولية الى سن الرشد فأصبحوا لا يناسبهم من الدلائل والبراهين ما كان يناسبهم في القرون الاولى وقل فيهم تأثير المحتالين والدجالين والسحرة والمشعوذين . وصاروا يرجون الهداية من طريقها ، فساعدهم الاسلام على ذلك ونهج بهم منهجا لم يسبقه به دين من قبل ، فجعل الحجج العلمية والدلائل العقلية رائده في جميع دعاويه وعليها معتمده في كل مبانيه ، وقلل من شأن المعجزات الحسية بقدر الامكان ، حتى لا تكون عقبة في سبيل رقي عقل الانسان في مستقبل الزمان ، (وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب * يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان البشر في عهد النبوة المحمدية ، أخذوا يدركون قيمة المعجزات الحسية ، وانها لا علاقة بينها وبين دعوى النبوة ، وأنها لا يسهل تمييزها عن غيرها من أعمال السحرة والمشعوذين ، والصناع

فاعلم أن الشخص في حالة التنويم المغنطيسي لا يمكنه أن يعلم شيئاً ما لم يوجد فلا يمكنه أن يطلع على الغيب أي لا يمكنه أن يعرف شيئاً مما لم يكن له وجود وهو في تلك الحالة المخصوصة وغاية الامر أنه لا يحجبه عن رؤية بعض الموجودات حاجب لصفاء روحه عن كدورة المادة إذ ذاك ، ومن هنا تتسع دائرة معلوماته عن بعض الموجودات فيمكنه أن يخبر بالقياس أو الاستنتاج مما علم عن بعض أشياء قبل وقوعها كالامراض التي ستصيبه مثلا بعد وقوفه على حالته الجسمية كما يخبر الطبيب عن بعض الاشياء المرضية قبل حصولها لمعرفته الامراض وأسبابها ومسبباتها وأعراضها ، وكما يخبر الفلكي عن الكسوف والخسوف قبل وقوعهما ، أي ان الشيء اذا لم يكن موجودا فلا يمكن العلم بوقوعه إلا قياسا أو استنتاجا او استنباطا من موجود والا فالغيب (وهو ما غاب عن الانسان لعدم وجوده مطلقا أو لعدم وجود ما يستدل به عليه) علمه عند الله لا يعلمه الا هو ولا يعلمه أحد من عباده الا اذا أطلع هو (جل شأنه) أحدا على شيء منه فيخبر به ويفشو بين الناس كما أطلع الله رسله (الملائكة والانبياء) على بعض الغيب فعلموه وعلمه الناس منهم وكما كان يعلم بعض ذلك بعض الجن قبل إبطال الكهانة واستراق السمع من الملإ الأعلى فيخبرون به بعض البشر فيخيل للناس أنهم يعلمون الغيب والحقيقة أنهم أخبروا بما أخبروا به لصلة بينهم وبين عالم الارواح وان كانوا يكذبون في كثير مما أخبروا به . ولنا لا نزال في مسألة استحضار الارواح (١) دليل قاطع حسي على إمكان اتصال البشر (ومنهم الكهنة) بالعوالم الاخرى الروحية (ومنهم الملائكة والشياطين) وبذلك كان يمكن للبشر الاطلاع على بعض المغيبات من هذا الطريق لولا ابطال الكهانة كما يمكنهم أن يطلعوا الآن على بعضها من طريق الاحلام الصادقة ، فانها من بقايا الوحي الى بعض النفوس الصافية ، وفيها يُري الله تعالى بعض عباده شيئا مما سيكون بارادته كما كان يوحي الى الانبياء من قبل وليس للبشر في معرفة شيء من ذلك أدنى اختيار بل هو شيء يفعله الله متى شاء وكيف شاء

(١) حاشية : هذه المسألة قديمة العهد جدا بين الامم كما يفهم من قصة المرأة التي أحضرت روح صموئيل لشاول (راجع سفر صموئيل الاول ٢٨ : ٧ — ٢٠)

لأ بصارهم بأنبيائه ورسله الكثيرين وآياته ومعجزاته وبعض مخلوقاته كالجن الذين كانوا يسترقون السمع من الملأ الاعلى فيخبرون به بعض البشر وذلك لان الأب مع أطفاله يكثر التكلم معهم وتأديبهم وتهذيبهم وترغيبهم وترهيبهم ومكافأتهم بالماديات كالحلاوى والنقود والألاعيب أو معاقبتهم بالضرب ونحوه على حسب مايبدو منهم فاذا صاروا رجالا كف عن ذلك واكتفى بابداء بعض تعاليمه العامة وإرشاداته المكتسبة من طول التجربة والاختبار وتركهم يستعملون عقولهم فيما يرونه صالحا لهم وقل أن يضربهم أو يهينهم كذلك فعل الله تعالى (ولله المثل الاعلى) بعد أن بلغ الانسان رشده أعطاه الشريعة العامة والقواعد الثابتة وأباح له التصرف في الامور بحسب مايرشده اليه عقله. فبعد أن كان يوحي الى الأمم السابقة ـ كبني اسرائيل مثلا ـ في كل جزئية من جزئيات الامور اكتفى الآن بما في القرآن الشريف من القواعد العامة والاصول الثابتة فانها مع مايوحيه الينا العقل كافية لهدايتنا في جميع الامور بعد أن بلغنا رشدنا وقلل من عقوبات البشر الدنيوية

لذلك أغلق الله تعالى باب الوحي والمعجزات والكهانة وأخبرنا بذلك كله صريحا في الكتاب العزيز فلم يبق لمحتال علينا حيلة . ولا لمشعوذ أدنى وسيلة . وبذلك خلص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات ، وأصبح طريق العلم أمامه واضحا لايحجبه عنه حاجب ولا يقف أمامه فيه واقف . ولكي لايبقى هناك ثلمة في نفس أحد من المؤمنين يصل اليه منها شيطان من الشياطين نص الكتاب العزيز نصا صريحا لايقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لايعلمه الا هو وأن الامور كلها بيد الله يصرفها كما يشاء لايراعي فيها مجاملة أحد من عباده فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن انا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثل ذلك في القرآن كثير يصعب ان يستقصى في مثل هذه المقالة

يقول واهم اذا كان الغيب لايعلمه أحد الا الله فما بال التنويم المغنطيسي واستحضار الارواح والاحلام الصادقة تكشف كثيرا من الغيب وكانت الكهانة تكشف كثيرا منه من قبل ؟

القدرة الإلهية كما يقول الطبيعي عن الشواذ « هكذا وجدت » وإن كان عقله لا يدرك كيفية وجودها

قد يقول قائل إن هناك فرقا عظيما بين المعجزات وبين هذه الشواذ الطبيعية التى اتخذتها مثالا لها فالمعجزات لا يشاهدها أحد الآن بخلاف الشواذ فانها تشاهد كل يوم فان كانت المعجزات حقيقية وجارية على سنن الكون فلم انقطعت الآن ؟؟ ونقول أما انقطاع المعجزات (١) فهو لانقضاء زمن الانبياء وعدم حاجة البشر اليها ولو وجد داع لها الآن لوجدت كما أن كثيرا من الشواذ في العالم الطبيعي قد انقرضت الآن لانقراض الحيوانات والنباتات التي كانت تظهر فيها . فكأن سنة الله تعالى في هذا العالم هي أنه إذا وجدت الحكمة لظهور المعجزات تظهر ، كما أنه لو وجدت بعض الانواع من الحيوانات والنباتات البائدة لوجد فيها من الشواذ المخصوصة في خلقتها وكيفية معيشتها ما يدهشنا الآن ويعد من العجائب والغرائب . وقد كانت الاحياء في مبدأ أمرها تتولد من الجمادات مباشرة وهو ما يسمونه (التولد الذاتي) وقامت البراهين القطعية على ذلك والآن لا يوجد شيء منه بحسب علمنا فلم لاينكره المنكرون لانقضاء عهده الآن كما انقضى زمن المعجزات ؟ ؟ إن هذا لأمر عجاب ! !

بقيت كلمة واحدة تتمة لهذا الموضوع وهي أننا قلنا فيما سبق ما معناه ان الله

(١) حاشية : يزعم بعض الناس أن الخوارق لم تنقطع الى الآن وأنها قد تظهر على أيدي بعض أهل الرياضات والمجاهدات من المتصوفين وغيرهم حتى من الفسقة والكفرة الوثنيين (راجع مجلة الشرق والغرب النصرانية سنة ٨ عدد ١٤ ص ٣٢٠) . وهي عند القائلين بذلك نتيجة سلطان الروح الانساني على المادة وتأثيره فيها متى صفت النفس وتجردت عن الشواغل الجثمانية وهذه الخوارق تسمى عند المسلمين بالكرامات اذا ظهرت على أيدي الصالحين

واذا صح أن ما يظهر منها على أيدي الفسقة والكفار ونحوهم ليس من قبيل الشعوذة والتدليس والحيل كان ذلك أعظم الاسباب التي تقلل قيمة المعجزات الحسية في نظر العقلاء وتظهر أنها وحدها ليست دليلا قاطعا على النبوة لقدرة غير الانبياء عليها فشتان ما بين قيمتها وقيمة المعجزات العقلية العلمية الادبية كالتي أتى بها الاسلام (راجع أيضا ص ٥٩ و ٦٠ من هذا الكتاب) على أن الثقة برواية أخبار تلك المعجزات قليلة فانه لا تخلو أمة من أمم الارض من نسبة معجزات عديدة الى أنبيائها وأوليائها وصلحائها ! ! فلم تسلم رواية قوم دون قوم وربما كانت روايتهم أصح وأضبط من التي سلموها ؟

أما علم أحد من تلقاء ذاته (أي بدون وحي أو سماع من غيره) بغيب حقيقي (أي لا يستدل عليه من موجود) فهو محال إلا على الله الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء متى شاء وكما شاء ، ودعوى معرفة أحد غيره الغيب دعوى باطلة كاذبة ولا يمكن لاحد الجزم بوقوع شيء من الغيب باليقين وما يقع منه مطابقا للخبر فلا يكون إلا اتفاقا ما لم يكن موحىً به

فالغيب المنفي علمه في القرآن الشريف هو هذا الذي ذكرناه أي الغيب الحقيقي لا مطلق الغيب . فان الغيب أمر إعتباري فما غاب عنك لا يغيب عن غيرك وما لا تعرفه لجهلك بشيء مما يعرفه غيرك ممن علم هذا الشيء

أما مسألة إنكار المعجزات بسبب مخالفتها لما اعتاده الناس فهي من السخافة بمكان . نعم ان سنن الله تعالى في هذا العالم لا تتبدل ولا تتغير كما نطق به القرآن الشريف في عدة مواضع منه ولكن خرق العادة ليس خرقا للسنة فان من سنة الله إيجاد الشواذ في كثير من الاشياء المعتادة إذا اقتضت حكمته ذلك . ولذلك نشاهد في عالمي الحيوان والنبات من الشواذ التي يسمونها (الفلتات الطبيعية) ما يصعب حصره ، وما قال أحد بأن هذه الشواذ خارقة لسنن الكون ونواميس الوجود وإن كانت خارقة للمعتاد . ولو سألتهم عن حكمة وجودها أو عن كيفية خلقتها لعجزوا عن الجواب . أما نحن فنقول ان الحكمة في وجود مثل هذه الاشياء الشاذة هي أن الله تعالى يريد أن يرينا شيئا من مبلغ قدرته وعظمته وأن قدرته تعالى لا تقف عند الحد الذي عهدناه بل هي أوسع من أن تحيط بها معارفنا ومداركنا وأما كيفية خلق هذه الشواذ والعلل المباشرة لتوليدها فانا نجهلها الآن كل الجهل وربما علمنا عنها شيئا في المستقبل . كذلك نحن نعلم حكمة ايجاد الله تعالى للمعجزات وهي أنها تخيف الناس وتلجئهم إلى الاحتماء بالانبياء فيتعلقون بهم ويؤمنون لهم ويتبعونهم فتصلح حالهم . وتنفرهم من أعمال السحرة والمشعوذين وتبعدهم عنهم ولولاها ما أمكن الانبياء في تلك الازمنة الجاهلة تخليص الناس من مكرهم ودهائهم وتلاعبهم بهم . ولكنا إلى الآن لا يمكننا بحسب العلم الطبيعي الحالي أن نفهم كيفية إيجادها ولا الاسباب التي تنشئها وغاية ما نقول إنه هكذا أوجدتها

﴿ المقالة السادسة ﴾

الصلاة والصوم بالقطبين (*

سأل سائل عن مواقيت الصلوات الخمس وعن الصوم في الاقطار الشمالية مع العلم بطول لليل والنهار فيها وكون كل منهما أشهراً كثيرة واستفهم بعد ذلك عن حكم الصوم في البلاد التي يبلغ نهارها ٢٣ ساعة مع شدة البرد فيها . والبرد كما لا يخفى يقتضي كثرة التغذية وهو ينافي القدرة على الصيام

ذكرني هذا السؤال بمجلس للاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وهو يقرأ التفسير لكلام الله الحكيم في الجامع الازهر فأكثر أحزاني وزاد آلامي لفقد هذا الامام العليم

راجعت ما قاله هذا الامام في هذا المقام . فوجدت انه أحسن جواب لذلك السؤال ولعلمي ان غيره من حضرات العلماء قل فيهم من يدقق في هذه المسائل فلذا نقلت لحضرة السائل ما قاله الاستاذ المرحوم منذ سنين خدمة للاسلام والمسلمين

قال رحمه الله تعالى في تفسير آيات الصوم من سورة البقرة عند قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ما يأتي كما في المنار مجلد ٧ ص ٦٥٧ : —

« قال بعض المفسرين ان المراد بالشهر هنا الهلال وكانت العرب تعبر عن الهلال بالشهر ويرده أنهم لا يقولون شهد الهلال وانما يقولون رآه ومعنى شهد حضر ، وقال بعضهم ان المعنى فمن كان حاضراً منكم حلول الشهر فليصمه . ونقول وانما عبر بهذه العبارة ولم يقل « فصوموه » لمثل الحكمة التي لم يحدد القرآن لأجلها مواقيت الصلاة وذلك ان القرآن خطاب الله العام لجميع البشر وهو يعلم ان من المواقع مالا شهور فيها ولا أيام معتدلة بل السنة كلها قد يكون فيها

*) نشرت في اللواء عدد ٢٤٦٣

تعالى كان يؤدب الامم السابقة ببعض أنواع من العقوبات المادية كالخسف والمسخ والقحط وغيره فهل ما يقع الآن بالأمم من ذلك هو جزاء لهم على أعمالهم أم لا ؟

الجواب — إن ما يفهم من القرآن الشريف هو أن ما يقع بالامم من المصائب المهلكة هو عقوبة لهم على أعمالهم (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وكذلك ما يصيب الاشخاص من المصائب هو في الغالب جزاء لهم على ذنب ارتكبوه (إن ربك لبالمرصاد) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ولكن لا يفهم من ذلك أن جميع المصائب هي بسبب ما كسبه الانسان بل إن ذلك بحسب الغالب فان الآية لا تدل على التعميم وإذا فهم منها العموم فانه يخصص بمثل قوله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) الآية . أي إن بعض المصائب قد يراد بها الاختبار أو نحوه لا العقوبة كما أن قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) لا يراد به ظاهره مع أنه أصرح في افادة الكلية من قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) الآية على أن هذه الآية في سورة مكية والخطاب كان فيها للمشركين وآية (ولنبلونكم بشيء) في سورة مدنية وكان فيها الخطاب للمؤمنين فالمصائب هي للكافر عقوبة وللمؤمن قد تكون ابتلاء واختبارا فالله تعالى لم يترك البشر تركا تاما في هذا الطور (طور العلم والعقل) بدون مراقبة ومجازاة لهم في الدنيا على أعمالهم كلا ! ! بل هو أحكم من الاب البصير بشأن أولاده فلا يترك عياله اذ كبروا بدون تأديب لهم اذا كثر اجرامهم بل قد يتداخل في أمورهم أحيانا و يعاقبهم على ما يجرمون . لتستقيم أحوالهم وتصلح أمورهم ، فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ،

آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) فيمكن لسكان الارض قاطبة أن يمتثلوا ذلك فيصلون صلواتهم المفروضة في أطراف نهارهم وقبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفي زلف من الليل ولم يبين القرآن الشريف عدد ركعات مخصوصة في وقت من هذه الأوقات كأن يقول : صلوا فرض الصبح ركعتين فقط قبل طلوع الشمس . حتى يرد على كلامه الاشتباه . فكأن سكان القطبين مأمورون بالصلوات عدة مرات في نهارهم الطويل وكذلك في لياليهم حتى يساووا باقي المسلمين في ذلك والا لكانوا خارجين عن قوله تعالى (والذين هم على صلواتهم يحافظون) وقوله (الذين هم على صلاتهم دائمون) ولكانوا مخالفين لأمره تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) أي الفضلى المعتدلة . ومما تقدم تعلم الحكمة في أن القرآن لم يقل في الآية الاخيرة مثلا (حافظوا على الصلوات الخمس في كل يوم وليلة) كما يعبر الفقهاء . فهذا هو الاطلاق الذي اراده الاستاذ الامام في كلامه السابق . وهو دليل على صدق النبي وصحة القرآن والا لكانت عباراته كعبارات الكتب الفقهية لاتوافق الاحالنا

ألا ترى أن القرآن لما أراد أن يفرض على الناس صلاة الجمعة لم يأت بما يشعر أن هذا اليوم موجود في كل الارض ولم يقل مثلا (ان صلاة يوم الجمعة فرض على الناس كافة) أو (صلوا في ظهر يوم الجمعة تلك الصلاة المخصوصة) أو نحو ذلك مما يفيد وجود هذا اليوم عند سائر الناس بل قال (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) فعلق وجوب السعي للصلاة على حصول النداء من يوم الجمعة وجعل هذا اليوم كأنه هو المنادي لها وعليه فاذا لم يحصل النداء من يوم الجمعة بأن لم يحضر هذا اليوم كما في بلاد القطبين فلا تجب الصلاة

وانما لم يفرض القرآن على سكان القطبين مثل هذه الصلاة (الجمعة) لأن الفائدة من اجتماعهم لها قليلة وقل أن تتوفر عندهم الشروط التي اشترطتها الشريعة الاسلامية لوجوب صلاة الجمعة في البلاد الاخرى فاذا كانت هذه الصلاة في البلاد المعتدلة تسقط بالمطر الكثير وبقلة عدد المصلين عن حد مخصوص وعدم وجود المسجد الجامع وغير ذلك فمن باب أولى سقوطها عمن لا يوم جمعة عندهم في

يوم وليلة تقريبا كالبلاد القطبية فالمدة التي يكون فيها القطب الشمالي في ليل وهي نصف سنة يكون القطب الجنوبي في نهار وبالعكس ويقصر الليل والنهار ويطولان على نسبة القرب والبعد عن القطبين . أرأيت هل يكلف الله تعالى من يقيم في جهة القطبين وما يقرب منهما بان يصلي في يومه (وهو سنة) خمس صلوات احداها حين يطلع الفجر والثانية بعد زوال الشمس الخ ويكلفه بأن يصوم شهر رمضان بالتعيين ولا رمضان له ؟ كلا ان من الآيات الكبرى على كون هذا القرآن من عند الله المحيط علمه بكل شيء لا من تأليف البشر ما تراه فيه من الاكتفاء بالخطاب العام الذي لا يتقيد بزمان من جاء به ولا مكانه ولو كان من عند النبي صلى الله عليه وسلم لكان كل ما فيه مناسبا لحال زمانه وبلاده وما يليها من البلاد التي يعرفها اذ لم تكن العرب تعرف أن في الارض بلاداً أنهارها (جمع نهار) كعدة أنهرة من أنهرتنا أو أشهر من شهورنا ولياليها كذلك

فمنزل القرآن وهو علام الغيوب وخالق جميع البلاد والافلاك خاطب الناس كافة بما يمكن أن يتناوه فاطلق الامر بالصلاة (أي في القرآن) والرسول بين أوقاتها بما يناسب حال البلاد المعتدلة التي هي القسم الاعظم من الارض واذا وصل الاسلام الى أهل البلاد التي أشرنا اليها يمكنهم ان يقدروا للصلوات باجتهادهم والقياس(١) على ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الله المطلق . وكذلك الصيام ما أوجب رمضان الا على من شهد الشهر وحضره والذين ليس لهم شهر مثله يسهل عليهم أن يقدروا له قدره . وقد ذكر الفقهاء مسألة التقدير بعد ما عرفوا بعض البلاد التي يطول ليلها ويقصر نهارها والبلاد التي يطول نهارها ويقصر ليلها واختلفوا في التقدير على أي بلاد يكون . فقيل على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة وقيل على أقرب بلاد معتدلة اليهم) انتهى كلام الاستاذ

أما ما ورد في القرآن الشريف من نحو قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) وقوله (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن

(١) حاشية : تذكر قوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وقوله (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)

﴿ المقالة السابعة ﴾

الدين كله من القرآن (*)

نكتب هذه الكلمة المختصرة بيانا للنصارى الذين يطعنون في القرآن ويرمونه بالتحريف لعدم وجود ذكر لرجم الزاني المحصن فيه فنقول :-

قد استنبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحكام شرعية قليلة تخفى مآخذها لأول وهلة على الناظر في الكتاب العزيز وهذه المسائل مع كونها قليلة جداً معروفة ومتواترة بين المسلمين وأهم هذه المسائل هي :

(١) تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها

(٢) رجم الزاني المحصن

(٣) تحريم استعمال أواني الذهب والفضة

(٤) تحريم لبس الحرير على الرجال

(٥) النهي عن أكل الحمر الاهلية (وكان ذلك في واقعة خيبر)

(٦) منع بيع الامة اذا افترشها سيدها وولدت له

أما الامر بقتل المرتد فلم يصرح به القرآن الشريف في أي موضع منه وهو كما قلنا وقال السيد صاحب المنار كان خاصاً بظروف خاصة تقتضيها الحالة في ذلك الوقت لمنع تشكيك ضعاف المسلمين (١) في دينهم بتلاعب بعض الناس

---

*) نشرت في المجلد ١٥ جزء ٣ ص ٢١٥ من المنار

(١) حاشية : (الاسلام) لغة هو الخضوع والانقياد ومن معاني كلمة (الدين) الانقياد والطاعة أيضا

والدين الاسلامي هو عقيدة وسياسة دنيا ودين دولة وملة وكان الاعراب يسلمون وينقادون أيضا للمسلمين لاسباب دنيوية ومن خرج منهم عن الاسلام كان لاسباب دنيوية قال تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) فحقيقة هؤلاء الناس أنهم كانوا طالبي دنيا لا دين وكان ذلك معلوما للنبي وأصحابه

فحديث (من بدل دينه فاقتلوه) اذا صح أن النبي قاله لا يمكن حمله على ظاهره والا لأنهار =

بلادهم الشديدة البرد الكثيرة المطر القليلة السكان البعيدة عن العمران والحضارة والمدنية والتي ظلامها نصف السنة . لان الغرض من هذه الصلاة اجتماعي ديني لا ديني محض

فمثل هذه الاحتراسات في العبارات القرآنية مما لا يصل اليه علم البشر

بقيت نقطة أخرى في سؤال السائل وهي ان البرد الشديد الذي هناك قد يميت الصائم أو يضره فما حكم الصوم هناك ؟ الجواب :

قال الله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وقال الاستاذ الامام في التفسير « هذا هو القسم الثاني من المستثنى من الصوم (والقسم الاول هو « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر») وهو من لا يستطيع الصوم الا بمشقة شديدة لان الاطاقة في اللغة هي أدنى درجات المكنة والقدرة على الشيء فلا تقول العرب أطاق الشيء الا اذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث يتحمل به مشقة شديدة فالمراد بالذين يطيقونه هنا الشيوخ الضعفاء والحوامل والمراضع يخفن على الاجنة والاطفال ونحوهم كالفعلة الذين جعل الله معاشهم الدائم بالاشغال الشاقة كاستخراج الفحم الحجري من مناجمه » انتهى كلامه وأقول ان من هذه الاصناف أيضا سكان القطبين فهم لا يستطيعون الصوم لشدة البرد عندهم فهم ممن استثناهم الله تعالى بقوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)

فهذا هو الجواب الشافي عن هذه المسائل وعن مثلها مما يهذى به المبشرون وغيرهم والله ولي التوفيق الهادي لأقوم طريق

النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) ولمنع إفساد أمرهم وإفشاء أسرارهم وتشتيت كلمتهم وإضعافهم باظهارهم أمام أعدائهم شاكين منقسمين متفرقين ولمنع عبث المعتدين بهم الذين كانوا يظهرون الاسلام اذا تمكن المسلمون منهم ثم يرتدون ويؤذونهم اذا أفلتوا من أيديهم أو قووا عليهم . أما في غير هذه الاحوال فلا يجوز للمسلمين قتل أحد لمجرد الارتداد قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأوجب تأمين المشرك الذي كان أبيح لهم دمه اذا جاءهم تاركا الاذى راغبا النظر في الدين وطالبا البحث فيه لكي لا يدخله مكرها كما قال تعالى في سورة التوبة (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون . أي يجب تركه حتى يسمع القرآن ثم نرده الى أهله آمنا مطمئناً ليتروى فيه ويتدبر فان شاء آمن بعد ذلك وان شاء لم يؤمن بشرط أن يعد ونعرف منه انه لا يعود لايذاء المسلمين فان ذلك كان كل مقصودهم . وأما الايمان والكفر فهما متروكان لحرية الشخص (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) فهل بعد ذلك يقال ان الاسلام يكره الناس على الدخول في الدين ؟؟ !!

وأما تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها فذلك لان العمة أو الخالة تعتبر كالأم وتسمى أما كما أن العم والخال يسمى كل منهما أبا قال تعالى في يوسف (ورفع أبويه على العرش) مع أن أمه كانت ماتت من قبل وكانت الموجودة خالته . وورد ايضا في سفر التكوين تسمية خالته أماله كما في القرآن (راجع أصحاح ٣٥ : ١٩ مع ٣٧ : ١٠) وقال تعالى عن لسان بني يعقوب (نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا) فسموا اسماعيل عمه أبا له

= وطلب النظر في الدين واوجب اسماعه القرآن والدلائل ثم تأمينه حتى اذا اقتنع واراد الدخول فيه لا يكون مكرها على ذلك . فاذا كان غرضهم الاكراه على الدين فلماذا يعفى مثل ذلك من القتل ويؤمن ؟ ولماذا يقاتل مانع الزكاة من المسلمين وهو لم يخرج عن دينهم؟

وأي دولة من الدول لاتحارب الخارج عليها المانع لضرائبها العاصي لاوامرها الطارد لعمالها كما كان يفعل الخارجون من المسلمين (وهم المرتدون) ؟

بالدين ودخولهم وخروجهم منه كما قالوا (آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه

= وجوب قتل الكافر اذا أسلم فانه حينئذ يكون قد بدل دينه أيضا من الكفر الى الاسلام ولذلك نقول ان هذا الحديث خاص بهؤلاء الناس الذين عاصروا رسول الله (ص) حقيقة أمرهم أنهم ليسوا طلاب حق بل كانوا مشاغبين معاندين متربصين الدوائر بالمسلمين فاذا وجدوا فرصة خرجوا منهم عليهم أو انضموا لغيرهم من أعدائهم فخروجهم عن الاسلام كدخولهم فيه لاسباب دنيوية سياسية فكذلك قتل المسلمين لهم كان سياسيا لا دينيا لمنع اضعاف دولة المسلمين وايذائهم وتفريق كلمتهم ولاخذ مال الزكاة منهم وغير ذلك مما بين في الفتن . فهذا الحكم كان كحكم باقي القوانين الاخرى المدنية القاضية بقتل كل خارج على دولها عاص لها مانع لضرائبها ويجوز أيضا أن يراد بلفظ (الدين) في الحديث المعنى اللغوي أي ان من خرج عن طاعتهم عليهم وناصبهم العداء يقتل

أما اذا ارتد أحد عن الاسلام لاسباب دينية محضة بأن شك في عقيدة من عقائده بدون عصيان وخروج على المسلمين أو ايذاء لهم في دينهم أو دنياهم وكان من المخلصين المنصفين الطالبين للحق لما جاز قتله لمثل هذا الارتداد كما قال تعالى (لا اكراه في الدين ــ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ــ وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) الآية وهي نص صريح في أنه لا يجوز قتل الكافر اذا كان طالبا للحق راغبا في البحث والنظر فكل حديث أوهم خلاف ذلك وجب تخصيصه بهؤلاء المعاندين المؤذين الذين كانوا لا يبالون بالحق ولا يهمهم البحث فيه ولا سماع الحجج والدلائل والنظر فيها

فالقرآن الشريف صريح في أنه لا يجوز الاكراه لاجل العقيدة لان الاعتقاد لا يدخل القلب بالقوة بل بالاقناع كما أن الايمان لا يخرج من القلب بالاكراه (راجع قوله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)

نعم يجوز استعمال القوة لمنع الخروج علينا لايذائنا والاضرار بنا في ديننا أو في دنيانا وكذلك الحكم في قوانين الامم الراقية كما قلنا ولا عيب في ذلك بل هو محتم واجب وخصوصا عند ابتداء نشوء الدول وفي زمن ضعفها كما كان الحال في مبدأ الاسلام

فالمرتد كان اذ ذاك يقتل سياسة لا دينا فانهم كانوا اعتادوا الارتداد لاسباب دنيوية كما كان دخولهم من قبل في الدين لهذه الاسباب الدنيوية أيضا . أما المسلم المخلص الداخل في الدين بالاقناع اذا شك فيه وخرج منه لشبهة قوية عنده بدون أن يبدو منه أي خروج على دولة المسلمين أو ايذاء لهم وكان ديدنه طلب الحق والبحث والاستدلال فمثل هذا لا يجوز قتله ولا اكراهه على الدين بنص القرآن الشريف بل ولا يجوز مجادلته الا بالتي هي احسن كما امر هذا الكتاب العزيز وهو مع ذلك لم يصرح بقتل المرتد في أي موضع منه كما يفتري النصارى عليه

هذا هو الذي يستنتج مما ورد في هذه المسألة من الاحاديث وعمل النبي (ص) واصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ولا يمكن ان يكون شيء من ذلك مخالفا لنصوص القرآن الشريف

ألا ترى انهم كانوا يقاتلون مانعي الزكاة ولو بقوا على الاسلام واقاموا الصلاة ؟ لان غرضهم الحقيقي كان منع العصيان والحصول على اموال الزكاة (وهي الضرائب اذ ذاك) وحفظ دولة الاسلام من الضعف او السقوط . فهذا هو السبب الحقيقي الوحيد لقتال اهل الردة ولم يكن غرضهم اكراههم على الايمان . وقد حرم القرآن الشريف عليهم كما سبق قتال اي كافر استجارهم =

حكمها من النص العام فكذلك مسألة رجم الزاني المحصن في الاسلام التي لم يذكرها القرآن صراحة للتنزه عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين

وعليه فالرجم حق مما كتبه الله علينا في شريعته وإن لم يصرح به في القرآن لما أوضحنا . هـذا وفي اللغة العربية كثيرا ما يراد بلفظ (كتاب) المكتوب اي المفروض كما في قوله تعالى (كتابَ الله عليكم) في سورة النساء وقوله (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرضا له أوقات معينة وقوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) الآية . فمن ذلك نشأ خطأ كثير من المحدثين والرواة إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه يقول مثلا (إن الرجم من كتاب الله تعالى) أي مما فرضه الله على المسلمين . فظنوا ان حديث (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما) (١) آية من القرآن وشتان ما بين ألفاظ القرآن وتراكيبه العالية وما بين هـذا الحديث . وكذلك أخطأوا وخلطوا في كثير من الاحاديث الواردة في هـذه المسألة كقول عمر ما مثاله (ان الرجم فريضة من كتاب الله تعالى ولولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها فيه) أي هذه الفريضة . فلو كان هذا الحكم معروفا بين المسلمين أنه من القرآن لكتبه عمر فيه ولما خشي أحـدا ولما قال الناس إن عمر زاده . فقوله هذا يدل على انه ليس من القرآن وانما يريد عمر به المبالغة في أنه فرض كفروض القرآن ولولا أنه ليس منه لكتبه فيه يعني أنه حكم كاحكام القرآن لا يجوز الشك فيه لعدم ذكره في القرآن (كتاب الله) . فلفظ كتاب الله في هذه العبارة الممثل بها له معنيان (الاول) بمعنى المفروض الواجب (والثاني) بمعنى القرآن وفي اللغة من مثل هذا كثير كقوله تعالى (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار، يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لآية لاولي الابصار) فالابصار الاولى بمعنى العيون والثانية بمعنى البصائر والعقول وقد اختلفت رواية هذه العبارة عن عمر فرويت على عدة أوجه منها ما رواه

(١): حاشية هذه العبارة رويت في كثير من كتب الحديث على أنها حديث لا على أنها قرآن ومع ذلك لم يأخذ بها أحد من أئمة المسلمين وذلك أعظم دليل على بطلانها فان الشيخ ان لم يكن محصنا لا يرجم لمجرد شيخوخته وكذلك الشيخة في جميع المذاهب

وأما رجم الزاني المحصن فهو لان الزنا مع الاحصان إفساد في الارض وموجب لخلط الانساب (١) واضاعة حقوق العباد في المواريث وغيرها ومؤدلوجود الشحناء والبغضاء والاقتتال بين الاشخاص والبيوتات وذلك يضعف الامة و يفرق كلمتها. والقتل في القرآن لا يباح إلا قصاصا للقتل وللافساد في الارض قال تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا) وهذا هو حكم لنا أيضا لقوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون في الارض فسادا أن يقتلوا) الآية ولا شك أن الزنا محاربة لله ولرسوله بالعصيان وسعي في الارض بالفساد . وقوله (يقتّلوا) يشعر بأن القتل لا يكون دفعة واحدة بل تدريجيا كما في الرجم . والرجم معروف في الشرائع الالهية القديمة كالموسوية كما لا يخفى فلا عيب فيه . فبهاتين الآيتين خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم العام الوارد في قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الآية أي إن ذلك خاص بغير المحصن ونقل المسلمون عنه هذا التخصيص نقلا متواترا . أما عدم التصريح في القرآن برجم المحصن فهو للاشارة إلى ان الزنا مع الاحصان مع ما في الاسلام من التسهيل في مسائل النكاح من حقه أن لا يكون معروفا بين المسلمين ولا فاشيا فيهم ومن الواجب أنه إذا وقع لا يكون الا نادرا جدا وعجيبا غريبا بينهم فكأنه لا يحتاج لتشريع خاص به لشدة ندرته . وكأن لفظ الزاني اذا اطلق لا ينصرف عندهم الا الى غير المحصن وفي القوانين الوضعية كثيرا ما يدمجون الاشياء النادرة الوقوع في حكم واحد مع غيرها بحيث لا يتيسر إلا للمتضلع فيها استنباط

---

(١) حاشية : عند كثير من امم الافرنج لا يسمى جماع غير المتزوجات (بالزنا) على ما نعرف ويخصون هذا الاسم بوطء المتزوجات فقط لانه هو الذي يجر الى خلط الانساب ونسبة الابناء لغير ابيهم . وفي الانكليزية اسم الزنا (Adultery) يفيد معنى الخلط فلذا كان في الشريعة الاسلامية عقاب الزاني غير المحصن من الذكور والاناث أخف من عقاب المحصن لان الاول لا يؤدي الى الفساد الذي يؤدي اليه الثاني ويلتمس له تعليله بعض العسر وكذلك في الشرائع المدنية لا يعاقبون الزوج اذا قتل زوجته والزاني بها ولا عقاب عندهم للزاني و غير المتزوجات اذا كان برضاهن وكن رشيدات ويعاقبون قاتله ولو كان أباها او ابنها فان حق العصمة بيد الزوج فقط

الله عليه وسلم عن كتابة أي شيء آخر عنه سوى القرآن لمنع مثل هذا الخلط وهو أن يختلط كلامه بكلام الله تعالى

وأما تحريم استعمال أواني الذهب والفضة فهو لان ذلك إسراف وكنز لهما مؤد الى الحرج على الامة والعسرة المالية والغرور والطغيان . وكل من الاسراف والكنز مذموم في القرآن الشريف . قال تعالى (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) وقال (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) وقال (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)

وأما تحريم استعمال الحرير على الرجال فهو لانه ينافي الرجولية والشهامة ويؤدي الى الاعجاب بالذات والفخفخة والخيلاء أو التخنث فضلا عما فيه من الاسراف وكل ذلك مذموم في القرآن قال تعالى (ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك) الآية فقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) الآية هو مخصص بهذه الآيات السابقة أي إن الزينة مباحة إن لم تؤد الى الاسراف أو الكنز أو الاعجاب والخيلاء والغرور أو غير ذلك والا كانت محرمة كما في الآيات المتقدمة

وأما النهي عن أكل الحمر الاهلية فهو إما انه كان للحاجة اليها في ذلك الوقت أو لمرض فيها يخشى منه على المسلمين إذا أكثروا من الاقتراب منها وتناولها بالايدي (كالسقاوة والسراجة Glanders) أو لأن أكلها مكروه لأنها لم تخلق لذلك كما قال تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) الى قوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) والخلاصة أن حرمتها لا يمكن أن تكون كحرمة لحم الخنزير بالاجماع فهي (إذا سلم أن النهي عنها كان عاما) اما أن تكون مكروهة واما أن تكون من الصغائر ولذلك لم يذكرها الله تعالى في آيات تحريم المأكولات كقوله (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية وغيرها وهذه الآية واردة في السور المكية والمدنية فلا يأتي فيها قولهم (إنها نسخت)

سعيد بن المسيب أن عمر قال (رجم رسول الله ورجم أبو بكر ورجمت ولولا أني أكره أن أزيد في كتاب الله لكتبته في المصحف فإني قد خشيت أن يجيء أقوام لايجدونه في كتاب الله فيكفرون به) وهو صريح في أن الرجم وإن كان حكما من من أحكام الشريعة الا أنه لم يرد في القرآن وأن كتابته فيه تعتبر زيادة لا تجوز ولم يقدر عمر على الاقدام على فعلها مع اعتقاده بوجوب الرجم . وليس في هذا الحديث ذكر لآية الرجم المزعومة كما في الروايات الأخرى عنه . وربما أنه يريد بكتابته في المصحف كتابته على هامشه أو في أوله أو في آخره بعد سور القرآن كأنه ملحق بها لتكون روايته ثابتة مكتوبة مقطوعا بها كالقرآن وذلك مبالغة من عمر في التعبير كما قلنا لوجوب المحافظة على هذا الحكم الثابت عن رسول الله لئلا ينكره أحد . والظاهر أن عبارته هذه أصح من غيرها وربما كانت هي الأصل ومنها نشأت الروايات الأخرى عن عمر في هذه المسألة ولعدم ضبط الرواة ألفاظ عمر وعدم نقلهم لها كما هي وقع فيها ماوقع من الخلط والوهم والغلط وقال علي رضي الله عنه فيمن جلدها ورجمها (جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسوله) أي لان الجلد صريح في القرآن والرجم صريح في السنة وهذا يدل على أن الرجم ما كان معروفا بين المسلمين أن فيه آية صريحة في القرآن وإنما هو يستنبط منه والا لما قال علي ذلك استنباطا . فجميع الاحاديث التي تدل على أنه كان من (كتاب الله) اما أن يكون منشأها ماذكرت خلط فيها الرواة وخبطوا لعدم فهمهم المراد منها واما ان تكون من الاكاذيب التي أدخلها المنافقون على الغافلين من المحدثين افتراء على الله وعلى رسوله وعلى أصحابه (وكثير ماهي) ولا فان القرآن اجماع المسلمين نقل متواترا عن رسول الله لفظا ومعنى مكتوبا في السطور ومحفوظا في الصدور عند جماهير الامة في كل زمان ومكان وكل ماليس متواترا فهو ليس بقرآن كما لايشك في ذلك أحد من المسلمين وإنما هو من الاكاذيب والمفتريات لغش المسلمين في دينهم أو تشكيكهم فيه أو تأييد رأي أو مذهب لبعض أهل الاهواء والاغراض أو لبعض الفرق الضالة وقد نهى رسول الله صلى

جزء ٧ ص٥٢١ و ٥٢٢) فمثل هذه المسائل لم يرد في تفصيلها نص قاطع في القرآن ليتيسر لأولى الأمر من المسلمين - بدون مخالفة لنصوص الكتاب - أن يضعوا لها من القواعد المفصلة ما يتفق مع حاجتهم ومصلحتهم المختلفة بحسب الزمان والمكان قياسا على ما بينه الرسل من أمر الله المطلق بالنسبة لزمنه و بلاده وما ماثلها وقد أوجب القرآن طاعة أولى الأمر وأباح لهم القياس والاستنباط بصريح الآيات (راجع سورة النساء ٤ : ٥٩ و ٨٣)

أليس من أعجب العجب أن يحث القرآن كثيرا على الصلاة والزكاة و يعدهما من أكبر أركان الدين و يكثر من ذكرهما في أغلب سوره ومع ذلك لا يذكر عنهما إلا ما كان صالحا لكل زمان ومكان تاركا التفصيل والجزئيات التي تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ؟! فكيف تحاشى الوقوع في الغلط بسببهما كما تحاشاه في مسألة الصوم السابقة وفي مسائل أخرى كثيرة (١) كان يجب أن يسقط فيها في الغلط الفاضح الكثير لولا أنه وحي الله الى النبي الأمي الناشيء بين الجاهلين ، مع انه لم يسلم من مثل هذا الخطأ في تقرير المسائل أعلم العلماء وأحكم الشارعين ، بل غلب عليهم الوهم والجهل الفاشي في أممهم فوقعوا بسبب ذلك في الغلط المضحك الفاضح . لا أذهب بك بعيدا إلى غير كُتّاب العهدين . أنظر مثلا إلى قول سفر التكوين أن الحية إنما تمشي على بطنها لأنها وسوست لحواء وأنها تأكل التراب. وهي لا تأكله (تك ٣ : ١٤ وأش ٦٥ : ٢٥ ومي ٧ : ١٧) وقول سفر اللاويين وغيره إن الارنب الجبلي يجتر (لا ١١ : ٦) وقول يشوع إن الشمس مع القمر وقفت له في كبد السماء يوما كاملا (يش ١٠ : ١٣) وقول سفر القضاة إن قوة شمشون كانت في شعره كما يقول العجائز (قض ١٦ : ١٧ - ٢٢) وامتلاء الأناجيل بحكايات الشياطين ودخولها وخروجها في الانسان والحيوان وإحداثها الامراض والاسقام وغير ذلك مما أفسد عقول النساء في العالم قديما وحديثا . وقول انجيل يوحنا ١٢ : ٢٤ (إن لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت

(١) انظر مثلا الحاشية الثانية في ص٩٦ من هذا الكتاب وكذا مقالة (علم الفلك والقرآن) في المنار مجلد ١٤ جزء ٨ ص ٥٧٧ - ٦٠٠

وأما منع بيع الامة إذا ولدت لسيدها فلذلك لان بيعها تقطيع للارحام وذلك مذموم بقوله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) فليتأمل في هذه الآية المكثرون من الطلاق ! ! المخالفون لقوله تعالى (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب * والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ـ إلى قوله ـ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقد سمى الله تعالى رابطة الزوجية ميثاقا غليظا في سورة النساء ٤ : ٢١ لذلك قال عليه الصلاة والسلام (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) وقال (لا تطلقوا النساء إلا من ريبة (أي تهمة ظاهرة) فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات)

والخلاصة ان الاسلام كله من القرآن وقد تخفى مآخذ بعض شرائعه اللهم إلا بعض المسائل العمليـة القليلة التي توضيحها بالعمل خير من توضيحها بالقول وكانت تتكرر بين المسلمين كثيرا ككيفيـة الصلاة والحج فلم يأت تفصيلها في القرآن الشريف وكذلك لم يذكر القرآن عدد ركعات الصلاة ولا أوقاتها للحكمة التي بيناها في المقالة السابقة وقد حث على الزكاة كثيرا ـ كما حث على الصلاة ـ وبين مصارفها بكلمات عامة ولكنه لم يتعرض لمقاديرها ولا لبيان أنواعها ولا للنصاب فيها لمثل تلك الحكمة السالفة فان هذه الاشياء تختلف باختلاف البلدان والأزمنة . ألا ترى أن من يعد غنيا في بلد أو وقت قد يعد فقيرا في بلد آخر أو وقت آخر . وما يكفي لسد حاجات الناس والأمم يختلف أيضا باختلاف الزمان والمكان كما لا يخفى وكذلك الأنواع التي تؤخذ منها الزكاة ، فقد يوجد حيوان أو نبات في بلد ولا يوجد في الأخرى ومن الاشياء ما له قيمة عظيمة أو حقيرة في بعض البلاد أو الأزمنة ولكنه لا يعبأ به في غيرها أو تكون قيمته أعظم أو أحقر . وقد بينا هذه المسألة بتفصيل أوسع في بعض أعداد المنار الماضية (أنظر مثلا مجلد ٩

(ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) أي لما جاء هذا الرسول (محمد) طبق ماعند أهل الكتاب من البشائر عنه في التوراة والانجيل وبه ظهر صدق هذه البشائر التي معهم حتى الآن (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله) وهو القرآن فلم يؤمنوا به مع أن كتبهم ألزمتهم بالايمان به متى جاء أو المراد (بكتاب الله) الكتب الإلهية التي أوحيت إليهم فنبذوها ولم يعتدوا بما فيها من البشائر عن محمد ودينه مع أنها صريحة فيه كما بينا سابقا وسماها بكتاب الله باعتبار أصلها فانها موحاة منه تعالى لانبيائهم فبلغوها لهم ولا ينافي ذلك وقوع التحريف والتبديل فيها بعد ذلك وإن كان كثير من البشائر التي فيها حفظها الله سالمة إلى اليوم لتكون حجة عليهم الى يوم القيامة (وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) أن هذه البشائر من الله وأنها لا تنطبق على أحد سواه ولا تصدق إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم فلولاه لكانت نبوات كاذبة لم تتحقق (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) أي ماتقصه شياطين الانس عليهم من الاكاذيب والخرافات. قال تعالى (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) وقال (شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) والذي يعين أن المراد هنا (شياطين الانس) قوله (تتلو) وقوله (يعلمون الناس) فان تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد فانهم إنما يسمعون هذه الاقاصيص والاكاذيب على سليمان من شياطين الانس وهم رؤساؤهم الفاسقون وهم الذين يعلمونهم السحر (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر — وما أنزل على الملكين ببابل —) أي إن السحر لم ينزل على الملكين ببابل كما يزعمون والملكان هنا هما جبريل وميكائيل اللذان سبق ذكرهما قبل هذه الآية في قوله تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) وهما أشهر الملائكة فكان اليهود يكذبون على الملائكة في زمن رسول الله ويقولون إن السحر نزل على جبريل وميكائيل في بابل من الله فكذبهما الله تعالى في هذه الآية وأظهر بآيات أخرى أن الملائكة لا تنزل لتعليم البشر شيئا اللهم إلا الوحي الى الانبياء فقال تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم) وقال (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون) وقال (لولا

فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير) مع أنها لو ماتت لما نبتت مطلقا والمراد بالموت هنا الموت الحقيقي لان ذلك ضرب مثلا لموت المسيح ولكنه تمثيل غير وجيه والظاهر منه أن قائله يعتقد وجوب موت الحبة قبل نباتها ونموها وهو من الوهم الشائع . إلى غير ذلك من الغلطات والأوهام المالئة كتب المؤلفين سواء كانت مقدسة عند الناس أو غير مقدسة . أنا لا أجهل أن النصارى يحاولون الجواب عن مثل هذه الغلطات ولكن لشدة صراحتها ووضوحها تجد أجوبتهم ضعيفة ركيكة متكلفة تكلفا باردا أما القرآن فهو خال من كل عيب كما بينا في هذا الكتاب وفي غيره فأين تذهبون أيها النصارى وبماذا تطعنون في الدين الحنيف والقرآن الشريف ؟

﴿ المقالة الثامنة ﴾

في رد بعض شبهاتهم على القرآن

﴿ الشبهة الاولى : هاروت وماروت ﴾

ذكرنا مسألة هاروت وماروت (١) في كتابنا (الدين في نظر العقل الصحيح) وتكلمنا عليهما هناك بالتفصيل الذي أزال كل شبهة في هذه المسألة وقد ظهر لنا الآن وجه آخر أردنا أن نثبته هنا لحق كل شبهة على الاسلام من هذا الباب فنقول إن معنى هذه الآيات الواردة في هاروت وماروت هكذا : ـ

(١) حاشية : ـ هذان الاسمان هما لسميين شهيرين عند الفرس والأرمن واليهود ولهم فيهما خرافات عجيبة غريبة ومنهم من ادعى لهما الالوهية او قال بأنهما ملكان نزلا من السماء الى الارض وظهرا للناس في جسم بشري . وحقيقة أمرهما هي ما ذكره القرآن الشريف فيهما هنا فهو القول الفصل في شأنهما

ووجود هذه الحكايات عنهما عند هذه الامم يدل على أن لهما أصلا صحيحا وأنهما ليسا اسمين وهميين كما يزعم بعض الجاهلين الطاعنين في القرآن.

دليل على شناعة عملهم وعلمهم باعترافهم فهي أقوال حق أريد بها الباطل للغش والايهام والتدليس على العقول ولذلك قال تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) فهما أكبر من يعلمون الناس السحر ويقولان ذلك للتظاهر بالصلاح والتقوى غشا وتدليسا وهو أيضا اعتراف منهم بشناعة تعليم السحر وتضليل الناس فان ذلك مذموم حتى من فاعليه وكذلك الشأن في سائر الشرور فان الزاني يزني ويذم الزنا والسارق يسرق ويلعن السرقة وهكذا في سائر الشرور فكأن الله تعالى أنطق أهل الشر بذمه لكي ينفر الناس منه ولكي لايجد الباطل من ينتمي اليه أو يمدحه . والسحر هو ضروب الحيل والخبث والمكر وأساليب الدهاء وأفانين اللؤم والخداع والشعوذة والتدليس وغير ذلك مما نشاهده الى الآن في جميع البقاع حتى المتمدينة منها قال تعالى في سحرة فرعون (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وهو صريح في أن السحر تخييل فقط لايقلب حقائق الاشياء وقال أيضا (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) فهو غش وايهام وتخويف للاعين وهو مشاهد للآن فان كثيرا من ألاعيب المشعوذين لايمكن للناقد البصير أن يدرك حقيقتها مهما حدق اليها وفكر . والسحر لغة كل ماخفي سببه

ثم قال تعالى (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) أي بلغ من إحكام هذه الخدع والحيل واتقانها وخبثها أن المتعلمين منهما يصيرون قادرين على حل عقدة أعظم مجتمع وأشرف متحد وأمتن رابطة كما بين المرء وزوجه فهم بخداعهم وغشهم قادرون على التفريق وهدم روابط الاجتماع المتينة والاضرار بالناس في دينهم ودنياهم . وعلم السياسة في هذا العصر هو من هذا القبيل ولعل القدماء كانوا وصلوا إلى ضروب كثيرة منها في المكر والخبث والدهاء والحيل حتى صاروا قادرين على مثل ما ذكره القرآن الشريف. وهذه الآية الشريفة تفيد أن ارتباط المرء بزوجه هو ارتباط وثيق متين حتى يصعب حله على غير الابالسة والشياطين من أهل السحر والدهاء ولذلك مثل الله تعالى بههنا على مبلغ قدرتهم على التفريق بين الناس كأنه لارابطة بينهم أوثق من الزواج فليتدبر في ذلك المكثرون من الطلاق

أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ـ الى قوله ـ انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) فالملائكة لايجوز أن تنزل لتعليم الناس شيئا كما يزعم اليهود وهم لا ينزلون الا بأمر الله تعالى على الانبياء كما قال عنهم (وما نتنزل الا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) والله تعالى لا يحب السحر ولا الغش ولا التضليل كما قال تعالى عن لسان موسى (ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين) فكيف يأذن الملائكة بتعليم ذلك للناس مع أنه يذمه ذما بليغا في هذه الآيات وغيرها ويذم معلمه ومتعلميه ويعد عملهم هذا كفرا ومعنى الكفر لغة الستر والتغطية وهذا العمل لاشك أنه يستر الحق ويحجبه عن الناس حتى يضلوا و « ما » في قوله (وما أنزل على الملكين) نافية كما في قوله (وما كفر سليمان) (وما يعلمان من أحد) (وماهم بضارين به من أحد) وجملة (ماأنزل على الملكين ببابل) معترضة (١) بين قوله (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) وقوله (هاروت وماروت وما يعلمان من أحد الخ) وهما اسمان لرجلين خبيثين من شياطين الانس اشتهرا عند اليهود وغيرهم بتعليم الناس السحر وكانا من أكبر أساتذته وهما منصوبان على البدل من الشياطين في قوله (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) فهو بدل بعض من كل لشهرتهما بذلك دون باقي الشياطين المعلمين للسحر ويجوز أن يكون النصب فيهما بفعل محذوف تقديره (أخص هاروت وماروت) بالذكر لذمهما فانهما أخبث معلمي السحر ومن شدة خبثهما ومكرهما بالناس أن يقولا لهم (انما نحن فتنة) ليوهماهم أنهما لايريدان الا الخير بهم كأنهما ناصحان مصلحان لاشريران مفسدان وقد جرت عادة الدجالين أن يقولوا مثل هذا القول لمن يريد أن يتعلم منهم فيقولوا لمن يعلمونه شيئا لاجل المحبة أو البغض على زعمهم (لاتجعل زوجا يبغض زوجته ولا تحببها في غير زوجها) ليوهموا الناس أنهم صلحاء وأن صناعتهم شريفة لاخبيثة وفي أقوالهم هذه

(١) حاشية : الاعتراض كثير في القرآن الشريف كقوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم « قل ان الهدى هدى الله » أن يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم) الآية وقوله (ويجعلون لله البنات « سبحانه » ولهم ما يشتهون) وقوله (قالت رب اني وضعتها انثى « والله اعلم بما وضعت » وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم)

الطين فاجعل لي صرحا) فقالوا ان هامان كان وزيرا لاحشويروش ملك فارس وهو متأخر عن فرعون بسنين

وهذه الشبهة من أضعف الشبهات فانه لا يبعد أن يكون لفرعون وزير يسمى هامان ثم سمي بهذا الاسم وزير آخر لملك الفرس ومن عرف علاقة المصريين بالامم المجاورة لهم وتغلبهم على بلادهم تارة وخضوعهم لهم تارة أخرى كما كان يحصل بين ملوكهم وملوك فارس لايتعجب من دخول بعض أسماء أهل مصر في لغات الأمم الاخرى ولا من دخول بعض أسماء من تلك الأمم في لغة مصر القديمة على أننا لا نعرف جميع أصول ما ورد في الكتب المقدسة من الاسماء ولا ندري جميع مصادرها فيجوز أن يكون للفظ هامان أصل في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) لا نعرفه أو أنه كان عماليقيا أو عبرانيا أو غير ذلك . ولا يخفى أن رد الاعلام المنقولة من اللغات بعضها الى بعض عسير وفي بعض الاحيان يكون متعذرا . وخصوصا مثل هذه الاسماء القديمة الواردة في كتب الأمم المقدسة . فكم في كتب العهدين من أعلام لا يعرف اشتقاقها إلا رجما بالغيب !! وكم فيها من أسماء لاشخاص من أمم يسمون عند أممهم بغيرها ولا يعرف سبب لهذا الاختلاف . ويجوز أيضا أن لفظ (هامان) ما كان اسما لوزير احشويروش وإنما كان لقباله ومعناه (المشهور) وربما لقبوه بذلك لاشتهاره بينهم بالظلم والعدوان تهكما أو تشهيرا به كما أن أحشويروش (أي الملك الأسد)هو أيضا لقب ملكي لا اسم علم لمسمى بعينه فهو كلفظ (فرعون) و (أبيمالك)وأما اسم أحشويروش هذا في كتب التاريخ فهو (زركسيس) وأمثال هذه الالقاب كثيرة في كتب العهد القديم . وهامان وزير أحشويروش هو ابن همداثا الأجاجي اي العماليقي وكان العمالقة يسكنون بين مصر وأرض كنعان فلا عجب حينئذ إذا سمي واحد منهم باسم وزير فرعون أو لقبه اليهود بذلك وان كان له اسم آخر لان أعماله معهم كانت كأعمال وزير فرعون كما يسمى الجواد الكريم بحاتم وأمثال ذلك كثيرة . ولما طال على اليهود الامد نسوا اسم وزير فرعون لعدم وروده في كتبهم التي لم تفقد منهم

بين المسلمين المهينون للمرأة المحتقرون لها الناسون قوله تعالى (وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا)

ثم قال تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) فانه لا يحصل شيء في هـذا الكون بغير ارادته تعالى فلا يحملنك الخوف من السحرة على الاستسلام والخنوع لهم والجبن والتأثر بخزعبلاتهم بل كن مقداما ولا تخش أحدا الا الله الذي بيده تصريف الامور كلها : قال تعالى ذلك بعد الآية السالفة كالاستدراك عليها لينقذ من أيدي السحرة نفوس الجهلة الضعفاء الذين ربما توهموا من الآية أن للسحرة قدرة على كل شيء متى أرادوا فكذبهم الله وهدأ روع الناس منهم فكأنه قال (انهم مهما بلغوا من المكر والاذى فلا يمكنهم أن يفعلوا شيئا هم أو غيرهم الا بارادتي فاطمئنوا) ثم نفر تعالى بعد ذلك من السحر بقوله (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق. ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)

ومن ذلك يتبين لك أن السياق كله في ذم السحر ومعلمه ومتعلمه حتى سمي تعليمه كفرا فلا يمكن أن يكون المراد بهـذه الآيات مدح هاروت وماروت ولا يجوز أن يكونا هما المرادين بالملكين فانهما شريرين عاصيين معلمين للسحر. والملائكة (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

﴿ الشبهة الثانية : هامان وزير فرعون ﴾ (١)

قال الله تعالى حكاية عن فرعون (٢٨ : ٣٨ فأوقد لي يا هامان (٢) على

(١) راجع ايضا مقالات القرآن والعلم في المنار م ١١ ج ٣ و ٤ و ٥ و ٦

(٢) حاشية : لم يصرح القرآن بأن « هامان » هذا كان وزيرا لفرعون والظاهر من هذه الآية انه كان فقط رئيس المسخرين (بكسر الخاء) لبني اسرائيل او رئيس مدبري التسخير كما هو مذكور في سفر الخروج (خر ٥ : ٦ – ٢٣) وربما كان أصل هامان هذا من العمالقة الذين أتوا الى مصر قبل فرعون موسى او كان من خونة بني اسرائيل أنفسهم ولعل هذا هو السبب في عدم ذكر اسمه في كتبهم حتى انه لم يذكر فيها اسم أي أحد آخر من هؤلاء الرؤساء [illegible] المسخرين لهم في عمل الآجر والأعمال الشاقة الاخرى

هارون فما كان يليق بها أن تفعل ما فعلت على حسب اعتقادهم أن حملها لم يكن إلا من زنا فهم أوردوا هذه العبارة (أخت هارون) زيادة في توبيخها وتأنيبها فالمراد بها التشبيه لا الحقيقة كأنهم قالوا (يامن كنا نظنك كهارون كيف فعلت ذلك ؟)

﴿ الشبهة الرابعة : « يحيي » بن زكريا ﴾

قال الله تعالى ١٩ : ٧ (يازكريا إن نبشرك بغلام اسمه « يحيي » لم نجعل له من قبل سميا) فاذا صح أن لفظ (يحيي) هو تعريب (يوحانان) العبري ومعناه (الله حنون) وهو اسم شهير بين اليهود سمى به كثيرون من قبل يحيي بن زكريا فكيف قال الله تعالى إنه لم يجعل له من قبل سميا ؟

الجواب : — (السميّ) هنا هو النظير الذي يستحق مثل اسمه وقد وردت هذه الكلمة بهذا المعنى في قوله تعالى في نفس هذه السورة بعد ذلك ١٩ : ٦٥ (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) أي نظيرا يستحق اسم (الآله) تعالى فكذلك يحيي لم يسم باسمه أحد من قبله وكان يستحق هـذا الاسم الدال على الرحمة والشفقة والحنان كما قال تعالى فيه ١٩ : ١٣ (وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا) فالآية جواب لقول أبيه ١٩ : ٦ (واجعله رب رضيا) فقد جعله الله أفضل من جميع من سموا باسمه ولم يشاركه أحد منهم في صفاته العالية . بل قال المسيح عليه السلام فيه اكثر من ذلك كما في انجيل متي ١١ : ١١ « إنه لم يقم بين المواودين من النساء أعظم منه » فالظاهر أن قدر يوحنا (يحيي) عند الله يجهله كثير من الناس (راجع أيضا ص ٦٣ من هـذا الكتاب) وأيضا فانه لم يسم أحد بهذا الاسم في أهله وعشيرته من قبل كما جاء في انجيل لوقا (١ : ٦١) . راجع بقية الكلام على هذه المسألة في المنار مجلد ١١ ص ٢٨٥ و ٢٨٦

﴿ الشبهة الخامسة : تظليل الغمام وحرق العجل الذهبي ﴾

أنكر صاحب كتاب الهداية على القرآن قوله (وظللنا عليكم الغمام) مدعيا أن

وصاروا لا يعرفون إلا « هامان »وزير أحشويروش ونسوا أيضا اسمه الاصلي والسبب الحقيقي الذي من أجله لقب بهامان فظنوا أنه هو اسمه الاصلي وبقي هذا الاسم مكروها عندهم الى اليوم لان صاحبه اشتهر عندهم بالظلم والجور فاذا سمعوا هذا الاسم في (عيد الفوريم) صفروا استهزاء به وإن كانوا نسوا أنه هو أيضا كان اسما أو لقبا او وزير فرعون أو أحد الرؤساء الذين اضطهدوهم من قبل كثيرا

والظاهر ان اهل الكتاب من العرب كانوا يسمون وزير فرعون أو أحد الرؤساء الظالمين في مملكته بهامان ولذلك لم يسمع عنهم أنهم انتقدوا تسمية القرآن له بذلك وربما كان هذا الاسم واردا عندهم في رواياتهم وأحاديثهم وكانوا أيضا يسمون (شاول) طالوت لطوله

فاذا كان الأمر كذلك فلا معنى لتلك الشبهة . فان الشبهة لا تدحض حجة إلا إذا بنيت على أساس ثابت مقطوع به . وما دامت الشبهة وهمية أو ظنية فلا يلتفت إليها . ولا يعبأ بها في مقابلة الدلائل اليقينية

﴿ الشبهة الثالثة : مريم اخت هارون (١) ﴾

تكلمنا على هذه المسألة في كتابنا (الدين في نظر العقل الصحيح) بما يمحو الشبهة ونزيد المسألة هنا إيضاحا لبيان الوجه في تشبيه مريم أم عيسى بهارون إذا سلم ان المراد به أخو موسى لأن بعض المسلمين لا يعرفون حكمة ذلك فنقول :ـ

إن لهارون منزلة دينية عالية خاصة به عند أهل الكتاب (راجع مثلا خر ٤٠ : ١٢ ـ ١٥ واو ١ : ٥ وعب ٧ : ١١)

فهو أبو كهنة اليهود جميعا وأعظمهم وهو رأس الكهنوت في الشريعة الموسوية ولا يخفى ما لوظيفة الكاهن من الأهمية عندهم في عباداتهم وسائر أمور دينهم بل ودنياهم أيضا فهارون في الحقيقة هو أكبر رؤسائهم الدينيين فلذا شبهوا مريم به كأنها لصلاحها وتقواها وعلمها بالدين وحبها لأمتها وخدمتها لها صارت عندهم بمنزلة

(١) راجع سورة مريم ١٩ : ٢٨

﴿ بيان الخطأ المعنوي الواقع في هذا الكتاب وصوابه ﴾

صفحة	سطر	صحة العبارة ـ :
١٩	١	(بعد خمسين عيدا من أعياد فطركم الخ)
١٩	٥	« (بعد خمسين أسبوعا) أي من نوع واحد من هذه الاسابيع العيدية »
١٩	٩	« لأن كل أسبوع معين منها يقع في سنه واحدة »
٢٠	٧	(في مدة السبعين الاسبوع) وقد وقع مثلها خطأ كثير فيصحح على هذا النحو
٢٢	١١ـ١٣	« وهو أعظم من ولى عليهم بعد السبي وأول من جدد مجد أورشليم وأعاد اليها رونقها القديم وكان بعد تمام عمارتها الوالي الوحيد من بيت داود ولذلك قال الله عنه لأرميا »
٢٣	١	« من أسابيع الاعياد المعينة يقع في سنة »
٢٣	١٦	« لمقامه ولذلك فصل هنا السبعة الاسابيع وحدها عن باقي الاسابيع وانما عبر في هذه النبوة بالاسابيع »
٣٠	١ـ٤	(أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن) وصحة الترجمة أراد وفي نسخة الكاثوليك (والرب رضي أن يسحقه بالعاهات فانه اذا جعل نفسه ذبيحة اثم يرى ذرية وتطول أيامه) والمعنى أنه إذا وضع نفسه موضع الذبيحة بأن تحمل بدلهم المصائب والبلايا والاضطهادات وغيرها ولاقاها بالصبر والسكوت والرضا بقضاء الله وقدره وحمده على ذلك ولم يفتح فاه بضجر أو جزع كالشاة ـ اذا فعل ذلك رأى ذرية عظيمة ونسلا يعمر الارض المقدسة وتطول أيامه فيها . وقال أشعياء أيضا ٥١: ١٩ (اثنان هما ......)

أن كتابهم المقدس لم يقل ذلك ومع أن مثل هذا الانتقاد لا يهم المسلمين إلا أننا في أثناء تأليفنا هذا الـكتاب قد عثرنا في كتبهم على مثل قول القرآن فننشره هنا تكذيبا لهذا الرجل وليزداد خذلانا وخزيا . جاء في سفر العدد ١٠ : ٣٤ قوله (وكانت سحابة الرب عليهم نهارا في ارتحالهم من المحلة) وهو قول يظهر جهل هذا الرجل وشدة تعصبه وتحامله على الاسلام حتى عمي عما في نفس كتبه المقدسة عنده

وقال بعضهم إن العجل إذا كان من ذهب لا يحرق مع أنه جاء في القرآن قوله في عجل بني اسرائيل (لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا) ونقول قد ورد مثل ذلك تماما في سفر التثنية فقال ٩ : ٢١ (وأما خطيئتكم العجل الذي صنعتموه فأخذته وأحرقته بالنار ورضضته وطحنته جيدا حتى نعم كالغبار ثم طرحت غباره في النهر المنحدر من الجبل) والمراد بالاحراق صهر العجل بالنار لإذهاب صورته وقول القرآن يحتمل معنى آخر وهو ان المراد (البرد بالمبرد) بخلاف عبارة كتابهم فلا تحتمل هذا المعنى

هذا وإنما تركنا الـكلام على شبهاتهم الأخرى لانه سبق لنا الـكلام عنها كلها بالتفصيل في المنار وفي غيره

صفحة	سطر	صحة العبارة :ـ
١٢٦	١٠	أصرح من هذا ؟ وقوله (لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض) كقوله تعالى في القرآن (والله يعصمك من الناس) فمحمد (ص) لم يقتل أو يمت حتى كمل دينه ووضع الحق اللام وكانت مدة نبوته أطول بكثير من مدة المسيح الذي صلب بزعمهم وقتل بعد ثلاث سنين منها واضطهدت اتباعه بعده . انتهى الخطأ المعنوي

(الخطأ اللفظي الواقع في هذا الكتاب وصوابه)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١	سبقتهم	سبقهم
٥	١٠	وغيرهما	وغيرها
٥	٢٤	اسرائيل	اسرائيل
٧	٢٥	المنبهات	المنهيات
٩	٢٠	لانهم	لأنهم
١١	٢٥	وقواميسا	وقواميسها
١٨	٢	خال الله	خليل الله
٢٢	٢٠	لا تمسحوا	لا تمسوا
٢٦	٢٤	ارتحشتا	أرتحشستا
٥٣	٢٣	الذبيح	الذابح
٦٥	٥	نحميا ص ٧ : ٨	ص ٨ : ١ ـ ٨
١٠٩	٢	كليون الثالث	كليو الثالث
١٠٩	١١	اليهود غينوز	الهيو غينوز

صفحة	سطر	صحة العبارة ـ :
٣٢	١٢	قوله (كأسد يداي ورجلاي)
٤٤	٧و٨	« ومع ذلك يعبدون الناسوت الحادث مع اللاهوت القديم بلا تفرقة بينهما . »

وفي صحيفة ٣٧ بعد سطر ٤ تزداد هذه العبارة :ـ(واذا سلم أن هذه نبوة عن قصة يهوذا مع المسيح فهي لاتدل على الصلب وان دلت على خيانة يهوذا وتسليمه للمسيح إذ يجوز أنه بعد القبض عليه فر من السجن ونجا من الصلب ثم وقع يهوذا فيما دبره لسيده أو صلب واحد آخر غيره . فمن الجائز أن الحراس لما لم يجدوا المسيح خرجوا للبحث عنه فصادفهم يهوذا أو واحدٌ آخر يشبه المسيح في طريقهم فأخذوه ظنا منهم أنه هو أو لينجوا أنفسهم من العقاب على تفريطهم في المحافظة على المسيح وقد انطلت حيلتهم هذه على أولياء الامر ولم يكتشفوها ومثل هذه المسألة قد تحصل في بعض السجون من الحراس في بعض البلاد وخصوصا في الازمنة القديمة أزمنة الجهل والظلم والهمجية وعدم معرفتهم اذ ذاك طرق التحقيق الدقيق في اثبات الشخصية (Identification) كالآن . وهناك احتمالات أخرى سنشير اليها فيما بعد وقد ذكرنا بعضها في مقالات (القرآن والعلم) في المجلد ١١ من المنار ص ٣٦٧ فليراجعه من شاء)

صفحة	سطر	صحة العبارة
٥٦	١٩	يزاد قوله : ـ (راجع أيضا أش ٥٦ : ٢)
٩١	٣	تزداد هذه العبارة : ـ(مايفهمونه يتفق مع معنى (الكلمة) عند اليهود بحسب ورودها في العهد القديم (كما في مز ٣٣ : ٦) قبل إلصاق النصارى بها هذا المعنى العجيب الغريب ويناسب الخ)

﴿ فكاهة مضحكة ﴾

جاء في العدد ٧١٧٤ من جريدة المقطم الصادرة في يوم الخميس ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٢ — ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٣٠ ما يأتي بالحرف الواحد : —

(ورد على محافظة العاصمة اليوم اشارة تلفونية بحدوث تجمهر كبير وهياج عظيم أمام الكنيسة الجديدة التي ينشئها النزلاء اليونانيون في هذه العاصمة وان أكثر المجتمعين يرمون بالحجارة العساكر الاحتياطية الذين أرسلهم قسم بولاق لحفظ النظام وان بعضهم أصيب بجراح فذهب في الحال سعادة هارفي باشا ومعه قسم من بلوك الخفر وقسم كبير من بلوك السواري وجناب البكباشي ارثر المفتش ببوليس العاصمة وحضرة عبد الرحمن افندي أحمد المفتش بالحكمدارية الى مكان الحادثة ولما رأى كثرة الجموع المتألبة في ذلك المكان أمر باحضار وابور المطافئ ثم أطلقت المياه منه عليهم فتشتتوا ووقفوا جماعات جماعات رجالاً ونساء في أماكن بعيدة وجعلوا يصيحون يامتبولي يامتبولي

ثم حضر الى مكان الحادثة سعادة ابراهيم باشا نجيب محافظ العاصمة وعزتلو علي بك وكيلها وشهدا الاجراآت التي اتخذها البوليس لتشتيت شمل المجتمعين

وكان السبب في هذا التجمهر والهياج أن بعض الموسوسين من سكان جهة المتبولي اشاع أمس الساعة الثامنة مساء انه رأى الشيخ المتبولي المدفون في ضريحه المعروف أمام محطة مصر قد قام من ضريحه ووقف على قبته ثم طار في الفضاء ونزل على الكنيسة اليونانية التي تقدم ذكرها فتناقل الناس هذه الاشاعة واجتمع خلق كثير في نحو الساعة العاشرة مساء امام الكنيسة وجعلوا يصيحون سرك يامتبولي فحضر حضرة مأمور القسم وبعض العساكر وفرقوهم

ثم حدث في الساعة الثامنة من صباح اليوم أن مجذوبا من سكان قسم بولاق وهو رجل في السبعين من عمره يدعى فارس اسماعيل واصله من أسيوط وقد حضر الى مصر منذ خمسين سنة خرج من منزله لابساً عمامة وملابس خضراء وأخذ يركض في الشوارع ويصيح فيها أنا المتبولي أنا المتبولي فاجتمع خلفه خلق كثير وساروا في موكب من بولاق الى شارع الدواوين وكانوا جميعاً يصيحون يامتبولي ويلثمون يده وملابسه وما زالوا سائرين كذلك الى المسجد الزينبي حيث دخل الرجل فتبعه الناس وازدحم الميدان بالمتجمهرين فقام حضرة الصاغ علي شكري

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٥٩	١٣	من قبل	من قبيل
١٧٧	١	(أو الأدبية)	(أو الأدبية أو غيرها)
١٨٧	٣٢	يقنا	يقينا
١٩٠	١٣	وعلم	واعلم
١٩٨	١٤	وفتقبيل	فتقبيل
١٩٩	٣	الاسلام	الاسلام
٢١٦	١	سعيد ابن المسبب	سعيد بن المسيب
٢١٦	١٥و١٦	وإنما هو يستنبط منه والا لما قال على ذلك استنباطا	وإنما هو يستنبط منه استنباطا دقيقا وإلاّ لما قال عليّ ذلك

انتهى الخطأ اللفظي وقد ضربنا صفحا عن بعض غلطات أخرى وهي لاتخفى على النبيه البصير من القراء

فندي مأمور القسم وقبض على الرجل وأحضره الى الحكمدارية . أما الجماهير التي كانت تسير معه فقصدت الكنيسة اليونانية وأفضى ذلك الى تلك المظاهرة التي فرقها رجال البوليس) اه

ذكرنا هذه الحادثة المضحكة هنا ليعلم القارئ مبلغ تأثير الوهم والاشاعات الكاذبة على عقول العامة والجهلة من الناس وخصوصا النساء . بل قد يتسلط الوهم على بعض العقلاء حتى يروا ما لا حقيقة له . فاقرأ بعد ذلك قصة قيامة المسيح من الموت وما حدث للنساء اللاتي ذهبن الى قبره . هذا إذا صح أن هذه القصة ليست ملفقة من أولها إلى آخرها وانها في الاصل كانت كما رويت في هذه الاناجيل الحالية على أن التلفيق ثابت عليهم فيها . راجع ص ٧٦ من هذا الكتاب

دلائل الإعجاز

(الطبعة الثانية)

قدرت نظارة المعارف المصرية وادارة معارف السودان كتاب دلائل الاعجاز قدره وكذا كتاب أسرار البلاغة لامام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني فقررتاه في مدراسهما العالية لانه لا وسيلة لطبع ملكة البلاغة في النفوس والالسنة وظهور اثرها في الخطابة والكتابة كقراءة هذين الكتابين . وقد اعترف بذلك جميع علماء البلاغة ومدرسو علومها .

اقبل الناس على الكتابين فنفدت الطبعة الاولى لدلائل الاعجاز فشرعنا في إعادة طبعة عن النسخة التي قرأها في الجامع الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى وصححناها عليها ووضعنا في هامشها جميع التعليقات التي كتبها عليها الاستاذ للاستعانة بها على التدريس وزدنا عليها هوامش أخرى عرفنا من بعض مدرسي الكتاب شدة الحاجة اليها . وسيزيد الكتاب بهذا صفحات كثيرة واننا عازمون مع هذا على ان نبقي ثمنه عشرين قرشا كما كان